الدين والمجتمع

دراسة فى علم الاجتماع الدينى

دكتور

حسين عبد الحميد أحمد رشوان

دكتوراة فى علم الاجتماع

جامعة الأسكندرية سابقا

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ شارع د/ مصطفى مشرفة

تليفون : ٠٣/٤٨٤٦٥٠٨

الدين والمجتمع

دراســـة فــى

علم الاجتماع الدينى

دكتور

حسين عبد الحميد أحمد رشوان

دكتوراه في علم الاجتماع

كبير مدرسي علم الاجتماع بدرجة مدير عام / أستاذ

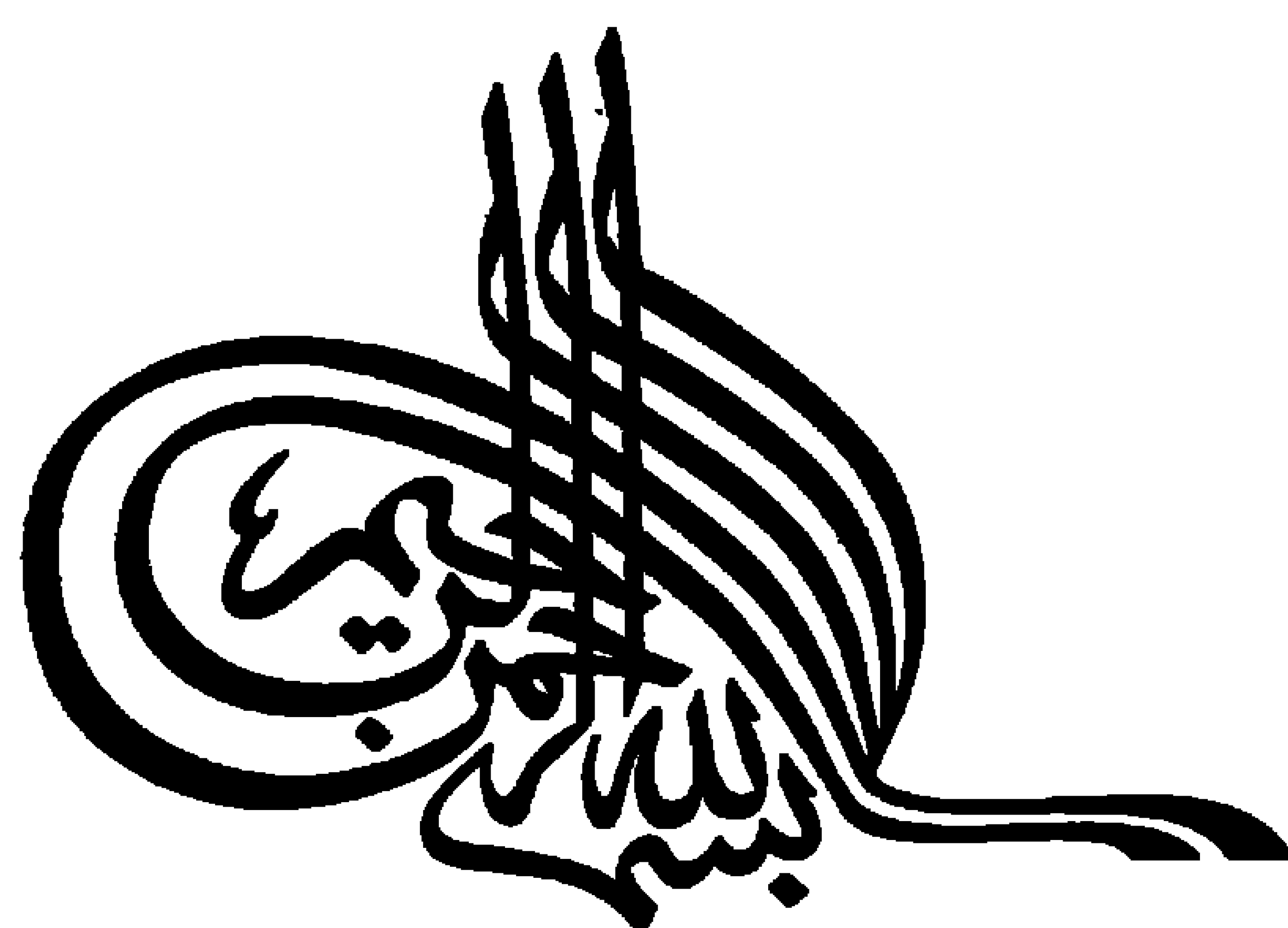
جامعة الاسكندرية (سابقاً)

٢٠٠٤

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ ش . د. مصطفى مشرفة – الأزاريطة

ت / ف ٤٨٤٦٥٠٨


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

المقدمة

الدين عنصر جوهرى فى خطرة كل إنسان ، ولـــذلك صـــحب الدين الإنسانية منذ نشأتها . فهو قرينها وموجهها .

ويستهدف هذا الكتاب إلقاء الضوء على سر نشأة الدين وبقائـــه على اختلاف العصور والحضارات ، حيث يلعب دورا هاما فى حياة الفرد والمجتمع ، وسيظل المحرك الأول لجميع العمليات الإجتماعية .

واستخدم المؤلف عدة مناهج علمية ، نذكر هنا المنهج التاريخى ، فالفصل الثانى طرق موضوع نشأة الأديان وتطورها ، إذ ظهرت عـــدة نظريات تفسر نشأة الدين ، فمنها ما يتجه اتجاها ثيولوجيا ينادى بفطرة الدين ، ويقول بأن التوحيد دين الفطرة ، وبعضهم يرى أن عبادة الحيوان أو النبات (الديانة التوتمية) ، هى الأولى . ومنهم مـــن يـــزعم أن أرواح الموتى أو أرواح الطبيعة هى العبادة الأولى ، وأن الانسانية مرت بمراحـــل عديدة حتى انتهت إلي التوحيد .

واستخدم المؤلف كذلك المنهج المقارن فقد عقد مقارنـــة بـــين الأديان السماوية الثلاثة ، فقد صور العهد القديم الإله تصويراً يقربه مـــن صفات البشر . وأخذت سلطة الكنيسة المسـيحية بالثـــالوث المقـــدس Trinity. وهى دين روحى نفسى ، وعقد المؤلف مقارنة بين الكاثوليكية والبروتستانتية . ثم جاء الاسلام ، وهو دين التوحيد . وقارن الباحث بين الثقافة والحضارة والمدنية .

وقد استخدم المؤلف فى كتابة هذا الكتاب مائة وأربعة وعشـــرين مرجعا ، منها ثمانية وسبعون مرجعا عربيا يقف على رأسها كتب الأستاذ

الدكتور / محمد أحمد بيومى ، وهى وبياناها مبينة فى نهاية الكتاب تحت عنوان المراجع العربية ، وسبعة مجلات ، وعشرة كتب أجنبيـــة مترجمـــة أبرزها كتاب روجيه باستيد . مبادئ علم الاجتماع الـــدينى . ترجمـــة د.محمود قاسم . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصـــرية ، ١٩٥١ ، وتســـع وعشرون مرجعا أجنبيا يقف على قمتها :

R.R Dayes ,Towards The Sociology Of Religion, Sociology of Social Research, V .36, No ,4 , March, April, 1954.

وينقسم الكتاب إلي ثلاثة أبواب ، وعشرين فصلا . تناول الفصل الأول تعريف الدين ، فهو عام لدى جميع الناس ، إذ الانسان البـــدائى ، وباعتباره كائناً حياً إجتماعياً له حاجات كثيرة تتعدى لقمة العـــيش . ومن بين هذه الحاجات حاجته إلي التدين . كذلك فإن الانسان لا يعيش بالمعرفة والعلم وحدهما ، فهو مخلوق عاطفى عقلانى . وحين يفشل فيما كافح فى الحصول عليه ، فإنه يلجأ إلي القوى فوق طبيعية تخفـــف مـــن أحزانه . كذلك فإن خشية المجهول هدت الانسان إلي الدين .

وتشتق كلمة الدين Religion من الفعل اللاتينى Religare بمعـــنى ربط . ويعتقد فريق آخر بأن الكلمة ترجع أصـــلا إلي الفعـــل اللاتـــينى Religere بمعنى العبادة المصحوبة بالرهبة والخشية والاحترام .

وهناك تعريفات قائمة على التأمل الباطنى ، وأخرى قائمة علـــى الحدس ، وثالثة قائمة على الموضوعية . ويتعلق الدين بالحياة الروحيـــة فى المجتمع ، ويشتمل على نسق من العقائد ، وعلى طقوس وشعائر ويتضمن العناصر الآتية :

١- المقدس ٢- العنصر الروحى / المعتقدات

٣- العنصر الطقسى ٤- العنصر النصوصى

وأوضح الفصل الثانى نشأة النظم الدينية وتطورها ، فقد نشأ الدين مع الانسانية ، ومنذ أقدم العصور . فقد زعم البعض أن أولى الديانات الانسانية هى النظام التوتمى ، وخلص البعض الآخر إلي أن نظام عبادة الأجداد هو الأسبق ؛ ورأى العلامة السير جيمس فريزر أن المجتمعات الانسانية مرت بمراحل ثلاث ، هى: السحر والدين والعلم .

هذا ومن الصعب أن نجزم بأن مرحلة سبقت مرحلة أخرى ، ولهذا فقد استعرض الفصل الأديان البدائية دون النظر إلي تسلسلها فى مراحل ، وهى السحر ، " والمانا " ، وهى قوى روحية تفوق قوى الطبيعة المادية ، وقوى الانسان البشرية ، ونظام عبادة الأجداد ، وعبادة الطوطم، والديانة الزرادشتية ، والبرهمية ، والبوذية ، والكونفوشيوسية ، وديانة المدينة ، واليهودية ، والمسيحية ، والإسلام .

وعنون الباب الثانى بـ " علم الدين " وعرَّف الفصل الثالث "علم الدين " ، وهذا العلم يعود إلي عصر التنوير فى أوروبا ، حيث تقدمت العلوم الطبيعية ، وحدثت الفتوحات الاستعمارية ، وشاهد الأوروبيون الديانات فى المجتمعات البدائية وفسروها فى ضوء نظرية التطور.

وأوضح الفصل أن علم الدين يتفرع إلي فرعين : التاريخ العام للأديان ، وما يسمى بالدين المقارن . وبدأت الدراسة العلمية للأديان فى أواخر القرن التاسع عشر عندما قام ماكس موللر بتدريس علم مقارنة

الأديان فى جامعة اكسفورد عام ١٨٩٦ ، وتمخضت بحوثه عن المذهب الطبيعى . وبعد الحرب العالمية الثانية حلت المقارنات الدقيقة محل التعميمات السطحية عن الأنظمة والسلوك الدينى .

وشرح الفصل الرابع صلة علم الدين بالعلوم الأخرى ؛ إذ يرتبط علم الدين بالعديد من العلوم ، بل ويستخدم نفس الطرق والمداخل . ومن ذلك العلاقة بين علم الاجتماع الدينى وعلم اللاهوت ، والاتجاه إلي النزعة التاريخية ، ولجوء الباحث فى علوم الدين إلي علم آثار ما قبل التاريخ ، والدلائل اللغوية للماضى . كما يقع الشعور الدينى داخل إطار البحث السيكولوجى . يضاف إلي ذلك إهتمام الأنثروبولوجيين بدراسة الأديان فى المجتمعات البدائية .

وحمل الفصل الخامس عنوانا هو " علم الاجتماع الدينى " إذ تعتبر دراسة الدين من الموضوعات التى نالت إهتماما كبيرا من جانب علماء الاجتماع ، فللدين جانب مقدس فى حياة الجماعة ، والإحساس به إجتماعيا ، لأنه لا ينضج ولا ينمو ولا يمكن القيام بشعائره إلا فى جماعة . وتبين من الفصل أن الظاهرة الدينية هى ظاهرة إجتماعية . فعلم الإجتماع الدينى يقدم التفسير الكامل للوقائع الدينية من خلال الظواهر الدينية ومن خلال وظيفتها الاجتماعية . وهو يهتم بتأثير الدين فى المجتمع والثقافة والشخصية ، وفى عمليات الثبات والتغير الاجتماعى . وناقش الفصل السادس نشأة علم الاجتماع الدينى واتجاهاته ، وعرض الاتجاه العقلانى واللاعقلانى ، والفلسفة الوضعية عند كونت ، والمدخل الأنثروبولوجى ، والمدخل التاريخى ، والمدخل البنائى الوظيفى .

وطرق الباب الثالث موضوع العلاقة بين الدين والمجتمع . وأشار الفصل السابع إلي الدين والعامل الجغرافى ، حيث تبين أن للعامل الجغرافى تأثير فى حياة المجتمع ، فأنشطة وحياة المجتمعات تختلف بإختلاف الظروف البيئية والجغرافية . وبالتالى يؤثر العامل الجغرافى فى الحياة الدينية . وحكى عالم الاجتماع مارسيل موس أن سكان الاسكيمو عندهم شبه ديانتين : شتوية وصيفية .

وعرض الفصل الثامن العلاقة بين الدين والمجتمع ؛ إذ لا جدال فى وجود علاقة بين النماذج الدينية ، ومختلف التراكيب الاجتماعية ، وعلى ذلك فإن المجتمع والدين كلاهما يؤثر فى الآخر ، وأى تغير يطـرأ علـى المجتمع يصاحبه تغيير فى نظام الديانة . كذلك يؤثر الدين فى المجتمع .

ويعرض الفصل التاسع العلاقة بين الـدين والثقافـة والحضـارة والمدنية . وفرق الفصل بين كلمة ثقافة Culture ، وكلمة حضارة ومدنية Civilization، وأشار إلي موقف اليهود من الحضارة ، مبينا أن الحضـارة تقوم على الايمان ، وأن حضارة اليوم هى ثمرة الرسالات السماوية . أما مصطلح المدنية فيدل على مرتبة من مراتب الحضارة ، وهى من صنع الله الذى أتقن كل شئ .

وربط الفصل العاشر بين الدين والعلم ، وشرح الفصل مفهـوم مصطلح العلم ، الذى على أساسه خرج منه علم الدين ، لأن كلمة الدين ترد بمعنى الطريق والتفقه ، ويقوم الدين على المسائل الاعتقادية ، وعلـى أمور معتمدة التسليم بمقررات لا تخضع للامتحان والتجربة ، وهى ليست

من الطريقة العلمية فى شئ . أما العلم فيستخدم وسائل علمية إمبيريقية لتحقيق غايات إمبيريقية ، وعلى ذلك فهو طريقة ومنهج .

ومع ذلك كشف الفصل على ارتباط العلم بالدين . وضرب الفصل أمثلة بالمجتمعات البدائية ، والقدماء المصريين ، وعند عرب الجاهلية ، والطب اليونانى القديم ، وأثناء حياة المسيح عليه السلام ، وتبين أن العلم قيمة أساسية فى الإسلام .

وعرض الفصل الحادى عشر للعلاقة بين الدين والفن ، حيث تبين أن الدين يؤثر فى الفن ، وبدى ذلك فى العصر الحجرى القديم ، وعند الهندوس ، ورسم المناظر الدينية فى الكنائس ، مما ينم عن الدين المسيحى، كما عرض الفصل الفن فى ظل الإسلام .

وطرق الفصل الثانى عشر موضوع العلاقة بين الدين والمعايير الاجتماعية ، والمعايير الاجتماعية قاعدة أو مقياس أو نمط للسلوك ، وذلك كالعادات والعرف والقيم ، والتقاليد والقانون والرأى العام والرقابة الاجتماعية ، وهى ترتبط بالدين . فالأفراد ينساقون فى ركاب العرف ولما يفرض من المعتقدات . فالعشائر البدائية - مثلا - تحرم أكل توائمها ، بينما تعتبر هذه التواتم من أهم أنواع الغذاء الحيوانى عند غيرهم من الشعوب .

وللدين أثر واضح على نسق القيم ، فالمسيحية فى شكلها البروتستنتى تنمى الاتجاهات أو القيم بتنمية الحاجة العالية إلى الإنجاز . ويحث الدين الاسلامى على السلوك وفقا للقيم .

وألقى الفصل الثالث عشر الضوء على العلاقة بين الدين والعمليات الاجتماعية ، فالتفاعل الاجتماعى ينشأ عنه العمليات الاجتماعية ، والتي تنقسم إلي : التعاون ، والتنافس ، والصراع ، والتوافق، والتكيف ، والتنشئة الاجتماعية ، فالاسلام يقوم على التعاون والتضامن.والتضامن بين البلدان الاسلامية يشمل حل مشكلات التضخم السكانى ، والتضامن فى المجال الزراعى ، والتكافل الأجتماعى ، والزكاة .

وشمل الفصل موضوع التنافس والصراع ، وكيف أن الصراع العنصرى يستمر أيضا داخل المجال الدينى . وقد يقع صراع بين هيئة دينية وهيئات دينية أخرى ، أو بين رجل دين وآخر . وأشار الفصل إلي تقييد الاسلام للحرب . ويؤثر الدين فى عملية التنشئة الاجتماعية . والدين كذلك وسيلة للتكيف الاجتماعى

وأوضح الفصل الرابع عشر العلاقة بين الدين والأسرة ، حيث يرتبط الدين بالأسرة ارتباطا شديدا ، فالدين له دور كبير فى النظم الأسرية ، ونظم الزواج والطلاق والنفقة . وضرب الفصل -مثلا— بالمجتمعات البدائية التوتمية ، والعلاقة بين الكونفوشية والعائلة فى الصين القديمة ، والارتباط بين الدين والأسرة عند اليونان والرومان القدامى . وأورد الفصل المسموحات والمحرمات فى الديانة اليهودية ، وفى المسيحية ، وفى الاسلام .

وتناول الفصل الخامس عشر العلاقة بين الدين والسكان ، حيث يلعب الدين سواء فى المعتقدات الدينية المبكرة أو فى الديانات السماوية دورا هاما فى زيادة النسل أو نقصانه وفى الهجرة. وضرب الفصل أمثلة

بالديانة الزرادشتية ، وعند الشعوب البدائية ، وفى قـوانين المـانو ، وفى الديانة اليهودية ، وفى المسيحية ، وفى الاسلام .

وألقى الفصل السادس عشر الضوء على العلاقـة بـين الـدين والتربية، حيث يرتبط الدين بعملية التربية و التعليم . ويتمثـل ذلـك فى الكونفو شوسية القديمة ، وفى الهند القديمة ، حيث قوانين مانو ، وتعاليم الديانة البوذية ، ومصر الفرعونية ، وفى اليونان القديمة . كمـا نـادت المسيحية بقيمة الفرد . وأهاب الاسلام بالآباء أن يقوموا بواجب التربيـة لأهليهم وأولادهم .

وتناول الفصل السابع عشر العلاقة بين الدين والاقتصاد ، حيث تختلط الظاهرة الدينية بالظاهرة الاقتصادية ، وبدى ذلك فى المجتمعـات البدائية حيث توزيع الأراضى يغلب عليه الطابع الصوفى ، وكانت الهيئات النقابية الإغريقية مثل نقابة الحطابين وتجار الخشب ونقابات صناع المعادن طوائف للسحرة . وفيما يرى بعض العلماء فإن المسـيحية تعـبر عـن عواطف الكراهية التى يشعر بها الأرقاء تجاه أسيادهم . وهى تعبير عـن المقولة التى مؤداها :" من ضربك على خدك الأيمن فـأدر لـه خـدك الأيسر". ويعتبر الإسلام عقيدة وعمل .

وتناول الفصل الثامن عشر العلاقة بين الـدين والسياسـة،حيث يرتبط الدين بالسياسة،بل وامتزجت السلطة الدينية بالسلطة السياسـية، واستعانت كل منها بالأخرى.فما زال التنظيم السياسى يحقـق ذاتـه فى معظم المجتمعات عن طريق المذهب السائد،كما يحاول الـدين تـدعيم وجوده بالتوافق مع السلطة السياسية.فقد كان رؤساء القبائل المتـأخرة

يتمتعون بسلطة سياسية كبيرة بجانب سلطتهم الدينية. وكان الاسرائيليون القدامى يعتقدون أن الله هو الذى يختار الملك،وكان نتيجة ذلك تقديس الملك.وترتبط الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وإعلان حقوق الانسان بحركة الاصلاح الدينى البروتستنتى.وفى شيلى تأرجحت القوى السياسية بين الحزب الديموقراطى المسيحى الكاثوليكى وبين الحزب الماركسى F.R.A.P. والاسلام عقيدة ودولة،فالحكم بيعة وطاعة يقيدها العدل.ويمتلئ تاريخ السياسة الإسلامية بالشواهد الدالة على ما للفرق الدينية والمذهبية والطرق الصوفية من دور فعال فى الأحداث السياسية .

وطرق الفصل التاسع عشر موضوع العلاقة بين الدين والطبقات الاجتماعية،إذ يعد الدين أحد المحكات المحددة للطبقة الاجتماعية.ويبدو ذلك فى نظام الطوائف فى الهند القديمة،والصين،ومصر الفرعونية،ويحتل بعض رجال الدين مكانة عليا فى كثير من المجتمعات.كما أن رجال الدين ليسوا جميعا فى مرتبة وطبقة واحدة،وإنما تتخذ السلطة الدينية أشكالا هرمية .

وتناول الفصل العشرون العلاقة بين الدين والتغير الاجتماعى . وهنا نجد اعتمادا متبادلا بين الدين والمجتمع.فالدين يقوم بدور فى التغير الاجتماعى،كذلك فإن هناك مواقف تعضد تأثير المجتمع والثقافة على الاعتقاد والنظم والشعائر الدينية،فالأخلاق البروتستانتية لها دور تاريخى فى التغير الاجتماعى . كذلك الحال عند ظهور الاسلام . وقد يقف الدين معوقا للتغير الاجتماعى ، ومعارضا له .

دكتور / حسين عبد الحميد أحمد رشوان

٢٠٠٤

الباب الأول : الدين

الفصل الأول : التعريف بالدين .

الفصـل الثـانى : نشـأة الأديـان وتطورها .

الفصل الأول

تعريف الدين

يختص عالم الميتافيزيقا بصدق المعتقدات الدينية وحقيقتها . امـــا علم الاجتماع فيهتم فى هذا المجال بالدور الذى يقوم به الدين فى الحيـــاة الاجتماعية ، والطبيعة العامة للتطور الدينى .

وإذا أردنا أن نعرف الدين وجدنا صعوبة كبيرة . إذ أن من يتعرض لذلك يجد نفسه أمام عدد متباين من التعريفات والتفسيرات.

ويرجع هذا إلي أن الدين يتضمن علاقة بين الفرد والجماعة ، وبين شئ أو كائن مقدس غير مطوع للتعريف بالألفاظ التى يفهمها العقــل . كما ترجع الصعوبة إلي وجود العديد من الديانات لكــل منــها فرقــا ومذاهب وملل ، كذلك فإن النظم الدينية شأنها شأن النظم الاجتماعيــة الأخرى ، إذ تخضع للتطور والتشعب [١] .

كما ترجع صعوبة تعريف الدين كذلك إلي أن للــدين حرمتــه وقداسته لدى الناس،فما يكاد الكاتب يحاول ذلك،حتى يوصم بالإلحاد ، أو أنه مشكك ، أو أنه مادى ، وذلك مهما كان الباعث عــن تعريــف الدين ، أغراض سامية خالصة ، أو كانت نتيجة بحث مثقفة ومهذبة.

ويواجه عالم الاجتماع الدينى مشكلة إيجاد تعريف للدين يتناسب مع اهتماماته ، ويكون بمثابة أداة تحليلية تفيده فى فهم أشكال معينة مــن

---

[١] - د.حسين عبد الحميد أحمد رشوان،تطور النظم الاجتماعية وأثرها فى الفرد والمجتمع ،ص ٨٤ .

الحياة الدينية . وكذلك يجب أن يكون هذا التعريف من الاتساع والشمول بحيث يشتمل على أنواع من السلوك الديني في مختلف الظروف. هذا إلي أن الذين يحاولون تعريف الدين تختلف ثقافتهم ، وتتنوع اهتماماتهم ، مما يترتب عليه وجود عدد هائل من التعريفات .

وعلى كل فإن ما يهمنا في هذا المجال هو أن الدين موجود في كل مجتمع إنساني ، ومنذ الأزل ، ولم يكشف بعد أي انثروبولوجي أي جماعة إنسانية بدون أن يكون لها سلوك ديني . ولاشك أن مظاهر السلوك الديني قد تكون متداخلة مع الجوانب الأخرى والهامة للسلوك الانساني ، وأنه من الصعب التمييز بين ما هو ديني فيها [١] .

وعلى ذلك فإن الدين هو فطرة الله التي فطر الناس عليها جميعا ، قال الله تعالى : " **فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** " (الروم : ٣٠)

لقد خلق الله تعالى بني آدم وفطرهم على معرفته وتوحيده وطبعهم على الاستعداد للإيمان والهدى وجبلهم على العقيدة الصحيحة وهيأهم لقبولها بالتفكر والنظر في السموات والأرض ، فالفطرة التي فطر الله الناس عليها هي ذلك الشعور الذاتي الذي ينبع من أعماق النفس بأن لهذا الوجود إلهاً واحد يسيطر على كل شئ ويدبر بمشيئته كل أمر .

وقد سأل رجل الإمام جعفر الصادق عن الله ، فقال له : ألم تركب البحر ، قال :بلى ، قال : فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم الريح عاصفة ؟ قال : نعم . قال : وانقطع أملك من الملاحين ووسائل

١- د. محمد أحمد بيومي وآخرون . علم الاجتماع ص ٢٤٨

النجاة ؟ قال : نعم . قال : فهل خطر ببالك ، وانقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء الله ؟ قال : نعم . قال جعفر . فذلك هو (الله).

ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى " **هو الذى يُسَيِّركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم، دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين**" (يونس : ٢٣)

وقد سئل أعرابى كيف عرفت الله؟فقال بفطرته:البعرة تدل على البعير،وأثر السيل يدل على السير ، فكيف بسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا يدل ذلك على العلى الكبير.

ويقول ديكارت أنا مع شعورى بنقص فى ذاتى وفى الوقت نفسه بوجود ذات كاملة ، أرانى مضطر إلى اعتقادى بأن هذا الشعور قد غرسته فى ذاتى تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال وهى الله .

والدين عام لدى جميع الناس .وهو لا يتطور ولا يرتقى ، بل هو موجود على نفس المستوى لدى الشعوب ، لا طبقات فيها ولا أجناس. فالإنسان البدائى ، وباعتباره كائنا حيا اجتماعيا له حاجات كثيرة تتعدى لقمة العيش . ومن بين هذه الحاجات حاجته إلي التدين فهو يخاف من بطش الطبيعة ، ولما لم يستطع أن يعلل كثيرا من ظاهراتها المحيطة به

واعتقد وتصور أنها أشد منه قوة ، كانت من الطبيعي أن يسترضيها ليحصل على معونتها ، أو لتمتنع عن أذاه .

والانسان كذلك لا يعيش بالمعرفة والعلم وحدهما ، فهو مخلوق عاطفي عقلاني ، رصين تتحطم آماله ، ويفشل فيما كافح فى الحصول عليه ، فإنه يلجأ إلي القوى فوق طبيعية لتخفف من أحزانه .

والانسان هو الكائن الوحيد الذى يعرف فكرة الموت ، وأنه ميت لا محالة . ولهذا فإنه لا يلجأ إلى هذه القوى الفوق طبيعية ، وغير المرئية لتغفر له ذنوبه ، وتزوده بالفضائل والتفاؤل . ومن هنا فإن خشية المجهول هى التى هدت الانسان إلي الدين .

وتعريف الدين مطلب أساسى طالما أن السلوك الدينى عام بين كل الكائنات الانسانية.فلم يكشف بعد أى أنثروبولوجى أن جماعة إنسانية بدون أن يكون لها سلوك يسمى دينى.ومظاهر السلوك الدينى قد تكون متداخلة مع الجوانب الأخرى والهامة للسلوك الانسانى.ومن الصعب التمييز بين ما هو دينى فيها.

وتشتق كلمة الدين **Religion** من الفعل اللاتينى **Religare**.بمعنى ربط،وقد أخذ بهذا التفسير العلامة دى لاجراسرى **De La Grasserie**.وذهب إلي أن الدين هو ارتباط جماعة إنسانية بإله أو بآلهة بمعنى أن كل ديانة تجمع بين معتنقى الديانة الأحياء منهم والأموات،وآلهتهم فى مجتمع واحد يعتبر جزءا لا ينفصل عن الكون الطبيعي والوجود الحيوى .

وينطوى هذا التفسير على اعتبار الآلهة كائنات حية،ترتبط بعضها ببعض وبالبشر بعلاقات محبة أو كراهية ، على النحو الذى تصوره أساطير اليونان والرومان وخاصة ما ورد عن الآلهة والأبطال فى الإلياذة والأودسا .

أما الفريق الآخر ، ويمثلهم كل من جيفونز Gevons ، وروجيه باستيد Bastide ، فيعتقد أن كلمة Religion ترجع أصلا إلي الفعل اللاتيني Religere ، بمعنى العبادة المصحوبة بالرهبة والخشية والاحترام . على أن هذا المـــدلول لا ينطبع إلا على العاطفة الدينية الراقية التي تظهر في بعض الديانات ، والمعروفة باسم الديانات السماوية. أما الدراسات الأنثروبولوجية فتمدنا بالمعلومات عن مواقف البشر من آلهتهم والتي يظهر فيها تجردهم من الخشية والرهبة لآلهتهم ، خاصة إذا مروا بمحنة أو بتجربة اجتماعية فاشلة [١] .

وقد ألم لوبا Leupa [٢] بالمحاولات السابقة لفهم طبيعة الدين وتعريفه. فأورد ثمانية وأربعين تعريفا وضعها السابقون ، وبعد مناقشتها تـــبين لـــه أن محاولة تعريف الدين هي محاولة عقيمة .

ووضع بعض العلماء تعريف للدين في ضوء ثلاثة أساليب ، هما :

١- تعاريف قائمة على التأمل الباطني .

٢- تعاريف قائمة على الحدس .

٣- تعاريف قائمة على الموضوعية .

أولا التعاريف القائمة على التأمل الباطني :

وهي تقوم على الدعامة الذاتية الباطنية التي تعتمد علـــى التأمـــل الباطني للعاطفة الدينية. ويتمثل ذلك في تعريف هربرت سبنسر Spencer، إذ يقول [٣] : الدين هو الشعور بأننا نسبح في بحـــر مـــن الأســـرار، والإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمنية ولا المكانية .

١- روجيه باستيد ، مبادئ علم الاجتماع الديني ، ص: ٩.

٢- د. عبد المنعم عبد العزيز المليجي . تطور الشعور الديني عند الطفل والمراهق ، ص: ٥.

٣- د. محمد إبراهيم الفيومي . مقدمة في علم الاجتماع الديني ، ص: ٥٠.

ويعرف ماكس موللر Max Muller الدين بأنه: محاولة التعبير عما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه. إنه إحساسنا باللامتناهي، وحب الله والتطلع إليه بإعتباره الكمال المطلق. ويعرف شيلر ماخر Shle er Macher الدين بأنه: شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة، وخضوعنا لموجود أسمى منا. ويرى فيرباخ أن الدين هو الغريزة التي تدفعنا نحو السعادة [١].

وهذه التعاريف ذات طابع شخصي ، وتتسم بالفردية ، ولا تنطبق على كل ما تتصف به الظاهرة الدينية من عموم . ومن الممكن أن تتخذ هذه التعاريف أساسا لمذهب فلسفي يذوق المرء حلاوته وشدة وقعه في النفس . ولكن ليس من الممكن أن تتخذ أساسا لعلم من العلوم .

وفي الواقع تبدو في هذه التعاريف بعض الآراء الحديثة : كالتفرقة العصرية بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة الخارقة للطبيعة ، أو كالتربية المسيحية (الشعور باللانهائي) ، وذلك لأن المسيحية قد شكلت حتى قلوب هؤلاء الذين يتمردون عليها من أبنائها .

وعلى ذلك فإن طريقة التأمل الباطني لا تمكننا من وضع تعريف مقبول للدين .

ثانيا : التعاريف القائمة على الحدس

وهي تقوم على الفطرية الحدسية التي ترتكز على انتزاع الانسان نفسه من تأثير البيئة الخارجية ، وأن ينسى لحظة ما زوده به المجتمع من عادات عقلية أو عاطفية ، حينئذ تقف النفس الانسانية وجها لوجه أمام الحياة الدينية في صفاء جوهرها ونقاء عنصرها . ولو كانت هناك وراثة

---

[١] د. علي سامي النشار . نشأة الدين – النظريات التطورية والمؤلهة .

للعادات المكتسبة لحجبت الحقائق التي تكشف فيها الانسانية عنـــها دون انقطاع هذا الأساس الأول.

وتتمثل هذه التعاريف في تعريف الفيلسوف الألمـــاني إيمانويـــل كانط[١] ، فقد عرف الدين بأنه الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية سامية .

والدين في نظر العلامة الفرنسي برجسون Bergs n : هو رد فعل دفاعي تقوم به الطبيعة تجاه ما عسى أن يؤدي إليه الذكاء من الانهيار لدى الفرد ، ومن الانحلال لدى المجتمع .

وقد ميز برجسون بين نوعين من الديانات : الديانة الاســـتاتيكية المغلقة Religion Statique ، والديانة الدينامية النامية Dynamique. والديانة الأولى مصدرها الغريزة الاجتماعية ، وتنحصر وظيفتها في تهيئة جهاز من الطقوس والمراسيم والعادات ومجموعة من الجزاءات المادية والخلقية للعمل على صيانة المجتمع ، وتحقيق تماسكهووحدته وتآذر عناصره ، وهيئاتـــه . فهي ضرورة اجتماعية Pression Sociale .

وتنطوي الديانات المغلقة عادة على أمور وهميـــة غـــير معقولـــة Infra-Intellectuelle مختلطة بالأمور السحرية والأساطير الوهمية، وأغلـــب الظن أن مصدر تلك الخرافات والأساطير التي يتميز بها الدين الساكن هو ملكة إنسانية يطلق عليها برجسون اسم الملكة المبدعة للعناصر الخرافيـــة Function-Fabulatrice التي تمكن الإنسان من أن يتصور موجودات خيالية ينسب إليها صفـــات متعددة ومتباينة ، فقد يتصور أنها "أرواح" بـــادئ

---

[١] - انظر د . أحمد الخشاب . الاجتماع الديني ص ٧٥ .

الأمر ، ثم قد يستحيل بعد ذلك إلى "قوى إلهية" تقوم بوظيفة اجتماعية هى الرقابة الاجتماعية وتأكيد سطوة الجماعة عن طريق مقاومة الفـــرد لذاته الفردية Resistanc- a'-Soi-meme والخضوع للواجبات الدينية العامة المطلقة Impersonn el Imperatifs وفى مقابـــل ذلـــك تشـــبع الوظيفـــة الأسطورية فكرة الخلود الذاتى ، بمعنى أن تطمئن النفس إلي بقائها وعدم فنائها على بالرغم من إدراكها لواقعه الموت الحتمية .

وفى هذه الجماعات الساكنة المغلقة تجرى طقوس تتمثل فى الصلاة وتقديم الأضحيات والقرابين وإقامة الأعياد الدينية ومراعـــاة المحرمـــات المقدسة من أجل استجداء رضا هذه القوى القاهرة . ويصعب التمييز بين الطقوس الدينية والأعمال السحرية فى هذه الديانات المختلفة ، إذ يبدو أن السحر والدين صنوان صدرا عن مصدر واحد ، ويشـــتركان فى تحقيـــق غاية واحدة ،ألا وهى إقناع الأفراد بضرورة الخضوع لسطوة الجماعـــة المغلقة حفظا لكيانهم وكيانها [١-] .

أما الديانة الدينامية المتحركة ، فإن مصدرها الحدس " Intuition " وهى ملكة فوق مستوى العقل Supra – Intellectuelle تبلغ أسمى درجاتها عند الصفوة المختارة من أهل التجربة الصوفية السامية التى تنـــزع نحـــو العمل لصالح الإنسانية ، وتجعل مثلها الأعلى الكمال والمحبة .

وهذه الديانة ليست وليدة الضـــغط الإجتمـــاعى أو الضـــرورة الاجتماعية كالديانة الأولى المغلقة . وإنما هى تصدر عن نـــزوع ســـام وإستجابة لنداء الإلهام الروحى والحدث الصوفى الذى يتبلور فى شـــكل

١- نفس المرجع . ص ص : ٨٤-٨٥

تصور عقلي ، ويستحيل إلي مذهب عقائدى إبداعى . فالدين المتحـــرك هو ذلك النوع الذى نلقاه عند القديسين الذى تجيش فى نفوسهم عاطفة المطابقة بين النشاط الانسانى والمبدأ الحيوى وهذه المطابقة Coincidence لا تتأتى إلا بالخلاص والتحرر من العوائق المادية وعدم التقيـــد بـــالأمور الطبيعية أو التهالك على المظاهر المدنية ، وبذلك تتفتح نفوسهم أو قلوبهم لإلهام إلهى يستحوذ على جوهر وجودهم ويشيع فى جوانحهم الطمأنينـــة والسكينة Serenité ، ثم يصبحون مصدرا إشعاع لهذه الانفعالات الجياشة بحب الانسانية المطلقة. وعن هذا الطريق تنتقل الـــديانات المفتوحـــة إلي روادها ومعتنقيها ، فهى لا ترتكز فى إنتشارها على القـــوانين الصـــارمة والضرورات الاجتماعية القاهرة ، وإنما تنتشر عن طريق النداءات Appels التى يوجهها القديسيون إلي ضمائر الأفراد فيتمثلونها بالقدوة أو الاقتداء ، ومعنى ذلك أن الديانات المفتوحة الدينامية تتوقف على مـــدى انصـــهار مبادئها وامتزاجها بنموذج بشرى يعتبر رمزا للوثبة الحيوية التى تســـوق ورائها المجتمعات المتحضرة نحو آفاق واسعة تتخطى حدود الإلتزامـــات الاجتماعية المحلية وتنطلق إلي المجالات الانسانية المطلقة حيـــث تختـــلط الارادة البشرية بالارادة الإلهية .

ثالثا : التعاريف القائمة على الموضوعية :

وفى مقابل هذه النظرية التأملية الاستنباطية النفسية ظهرت نماذج من التفكير الوضعى عن الدين . وهى تقوم على أساس مقارنة الـــديانات

القديمة والحديثة ، والبدائية والمتحضرة ، والحية والميتة ، وتحدد من خلال هذه الدراسة العناصر المشتركة لكي تحتفظ بتلك العناصر [١] .

ويرى بسكال ضرورة نبذ البراهين الميتافيزيقية على وجـــود الله ، ذلك لأنها بعيدة عن استدلال الناس ، فضلا عن غموضها وتعقدها بحيث أنه لا يمكن الاعتماد عليها فى التأثير فيهم . ولكن لـــيس معـــنى ذلـــك الإعراض عن الدين كأداة فعالة فى توجيه سلوك الأفراد وتحديد علاقاتهم الاجتماعية ، بل إنه على النقيض من ذلك يتحمس للدعوة إلي الدين .

ويعلمنا الدين - كما يرى بسكال — أن الشقاء الانسانى راجع إلي خطيئته ، وأن سعادته راجعة إلي خلاصة ، وأن الانجيل وهو الكتاب المقدس للمسيحية هو الذى يوفق بين الشر والخير بفن الهى من عند الله ..

ويعتقد الفيلسوف الهو لندى سبينوزا Sipinoza أن الديانة الوضعية ضرورة اجتماعية ، وإذا كانت العقائد الدينية قد أنزلت فى صورة وحى على الانبياء بألفاظ محددة وصور محسوسة أو متخيلة ، فإن هذه العقائـــد والطقوس اللازمة لها تختلف عند كل نبى أو رسول باختلاف فهم الأنبياء لها وتخيلهم إياها وتصورهم لواقعها .

وقد يكون من غير الضرورى بالنسبة لكل فرد يستطيع أن يعمل عن طريق عقله ما قد تحمل الديانة على عمله بـــالتقوى ، ولكـــن مـــن الضرورى بالنسبة للجمهور والعامة أن يؤمنوا بما يرويه الكتاب المقـــدس من أخبار ووقائع وأن يسلموا بما جاء فيه من توجيه وتدبير وبما انطـــوى

١- انظر روجيه باستيد ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .
وانظر د. محمد ابراهيم الفيومى . مقدمة فى علم الاجتماع الدينى ، ص ٥٠ ــ ٥١ .

عليه من تعاليم متعلقة بوجود إله صانع وخالق ومدبر وحافظ ، يصيب الأخيار ، ويعاقب الأشرار .

أما عن الطقوس الدينية فلا بد للشعب أن يؤديها لتكون مظهرا ماديا لإيمانهم بالتعاليم الدينية .[١]

كما تتمثل هذه التعريفات عند بعض علماء الاجتماع الذين أوضحوا مدلول كلمة" الدين " ، فقالوا أنه ينم عن العقيدة والعبادة . وهى تقابل عند المسلمين الأصول والفروع . والعقائد حالات فكرية أو مجموعة من التصورات الذهنية ، أما العبادات فهى مبادئ عملية تعبدية فهى طرق عملية للسلوك ينبغى أن يقوم بها الانسان حيال أشياء مقدسة .

ونذكر من هؤلاء العلماء ، العلامة سان سيمون Saint Simon الذى نادى بإنشاء ديانة مسيحية جديدة تؤكد معانى المحبة والأخوة بعد أن طغت المادة على العلاقات الانسانية .

وأقام أوجست كونت ديانته الوضعية على أساس أنها تحقق الأخوة التامة بين أبناء الجنس البشرى ، والحب المتبادل فيما بينهم . ولذلك فهو يطلق عليه عادة الانسانية أو الكائن الأعظم ، والدين فى نظره هو الوسيلة الفذة لاتحاد أفراد المجتمع فى الحب ، والانسجام التام بين العقل والقلب . فوظيفة الديانة الوضعية هى تحقيق وحدة دينية فى العالم بأسره لأن جميع الأفراد سيتجهون بقلوبهم نحو فكرة واحدة ومركز واحد، وفضلا عن ذلك فإن وظيفتها أيضا تنظيم حياة الفرد وتقوية الروابط الروحية بين أفراد الإنسانية ، ولذلك فإن المبدأ الأسمى فى هذا الدين الوضعى هو

---

[١] انظر يوسف كرم . تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ١٠٢ - ١١٦ .
وانظر د. أحمد الخشاب . المرجع السابق ، ص ٩٠ - ٩١ .

" عش للغير [١] " كما أن الطقوس الدينية التي ترتكز عليها تلك الديانة الوضعية المقترحة لابد وأن تكون وسيلة للوصول بالانسانية إلي درجة الكمال المطلق وتحقيق المثل العليا للإنسانية فى الحياة الاجتماعية ، والقضاء على الأنانية الفردية التي تتنافى مع المبادئ الإنسانية.

ولما كانت الديانات السائدة فى الجماعات المتحضرة تعمل على تحقيق بعض هذه المبادئ وتؤدى كثيراً من الوظائف الاجتماعية ، فإن كونت لا يرى هدمها ولكن كل ما ينبغى عمله هو أن تحل الديانة الوضعية محلها بعد استبعاد العناصر المنافية للمبادئ الغيرية بما فى ذلك التضحية المطلقة ، لأن مبدأ الغيرية لا يعنى مطلقا الهلاك والفناء وإنما معناه أن يدرك الفرد مركزه فى العالم وفى الانسانية .

ولقد أغرق كونت فى تصوراته الدينية إلي مدى بعيد ، وقرر أن ديانته الجديدة يمكن أن تعم الجماعات التي تدين بوحدانية الله فى سبع سنوات؛كما تنبأ بتعميم هذه الديانة بين الجماعات الوثنية فى ثلاثة عشر سنة .

ومن هذا التصور الميتافيزيقى.خرج كونت عن نطاق فلسفته الوضعية إلي لون من التأملات الميتافيزيقية والرمزية،وتصور معبدا للإنسانية تحج وتتجه إليه كل الجماعات البشرية،وتمثل فيه الإنسانية بتمثال امرأة جميلة فى سن الثلاثين تحمل بين ذراعيها طفلا ويقام فى نفس المعبد ثلاثة عشر تمثالا لجهابذة المفكرين والقديسين فى مقدمتهم موسى [٢] " .

ويعرف إميل دور كايم الدين بأنه ذلك : النسق الموحد للاعتقادات والممارسات ، المتصلة بالأشياء المقدسة- أى الاشياء التي

١- الدكتور مصطفى الخشاب . أوجست كونت ، ص ١٤٠ - ١٤٨.

٢- د. أحمد الخشاب : المرجع السابق ، ص ٨٨ - ٨٩ .

تستعبد وتحرم . ومثل هذه المعتقدات والممارسات تتحد فى جماعة أخلاقية متفردة تسمى الكنيسة بكل المنتمين إليها .

ويضيف دور كايم أن الانتقال من المدنس فى العالم اليومى إلي وجود المقدس لا يمكن أن تدرك إلا من خلال طرق اجتماعية ، وذلك عن طريق تقديس الجماعة لنفسها، والتعبير عن ذلك فى الاحتفالات العامة .

ويعرف راد كليف براون الدين فى ضوء العقيدة والعبادة ، واتصالها بفكرة الألوهية ، فيقول : فى كل مكان يكون الدين تعبيرا عن شكل أو آخر عن إحساس بالاعتماد والتبعية لقوى خارج أنفسنا . هذه القوى ينظر إليها على أنها روحية أو أخلاقية . ويرى راد كليف براون أن التعبير الأساسى عن هذا الإحساس هو الشعيرة [١] .

أما علماء الأنثروبولوجيا الذين عنوا بالدراسات الدينية ، فمنهم ادوارد تايلور E.B. Tyler الذى قدم تعريفا للدين مؤداه " الاعتقاد فى الكائنات الروحية " حيث يعتقد البدائيون أن الفرد بعد موته تظل روحه باقية ، ولذلك فهم يتحدثون إلي الجثة ، ويحاولون تحريكها من مكانها ، ويطعمونها . ويعتقد البدائيون أن روح الميت قد ابتعدت عن الجسد ، ولكنها موجودة ويمكن مشاهدتها ، وعلى الأخص فى الأحلام [٢] .

وقد تبادر إلي الأذهان فى الإجابة على سؤال مؤداه ، ماذا يفترض البدائيون عن الروح بعد الموت . وتبدوا الإجابة على هذا السؤال فى إجابات متعددة ، ولكنها تتفق جميعا فى أنها تقوم بزيارة الأحياء خاصة

١- د . محمد أحمد بيومى ، علم الاجتماع الدينى ، ص ١٧٧ .

٢- Edward Tyler ,Anthropology An Introduction to the Study of Man and Civilization, p.87.

بعد منتصف الليل وتعتقد بعض القبائل أن الروح تحاصر الكوخ الذى مات فيه الفرد ، وهى ترفرف بالقرب من المدافن . وتعتقد بعض القبائل الأخرى أن الأرواح ترفرف على إقليم يبتعد عن أهل الميت ، وأرض الدفن ، فهى تذهب إلي الغابات ، وإلي قمم الجبال .

وتلعب هذه الأرواح دورا هاما فى حياة الأفراد فهى تعمل على قمع المشاجرات بين الأعضاء من النسب الواحد ، حتى لا تغضب أرواح الأجداد ، كما أنها تحافظ على النسق الاجتماعى . ومن ثم يستعطف أفراد العشيرة أرواح الأجداد ويسترضونها ، ويجرون طقوسا ، ويقدمون الأضاحى . أما إذا أهملوا هذه الاجراءات ، فإنهم يتعرضون لأذى الأرواح[١] .

ففى العصور الهيلينية والوسطى اعتقد الناس أن هناك أرواحا خطيرة تكون دائما فى حال خوف . وتنقسم إلي أرواح خيرة ، وأخرى شريرة . وهى مشخصات غير مادية تتميز بالقوة ، وقدرتها على ضبط ومراقبة البيئة . ولهذا فهى تستخدم للأغراض النافعة ، فإذا رضيت عن الناس، فإنها تقدم الخير لهم ، وتساعدهم على التكيف مع البيئة .

وفى مجتمع الزولو يقول الفرد حين يصلى : باسم ثيراننا ، وباسم أرواح شعبنا . والمجتمع الانسانى – كما يقول راد كليف براون – يعتقد بوجود الأرواح ككائنات خارقة للعادة [٢] . ولكن هذا التعريف غير مقنع، وغير كاف ، لأنه قائم على أساس فكرى أكثر من الإشارة إلي مشاعر الخشوع الرئيسية والتبجيل التى ترتبط بهذه الاعتقادات .

١- John Lewis, Anthropology., Pp. 177 – 178.

٢- د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان – الانثروبولوجيا فى المجال التطبيقى ص ١٣١ – ١٣٢ .

وقام فريزر بمقارنة مختلف الأديـــان والممارســـات الســـحرية فى مستويات ثقافية فى أجزاء مختلفة من العالم.واستخلص من ذلك تعريفـــا للدين ذكره فى كتابة "الغصن الذهبى The Golden Bough " والذى نشر فى سبعة عشر مجلة بين سنتى ١٨٩٠ -١٩١٥،وفيه يقول أن:الدين هو الاعتقاد فى وجود قوى عليا تعلو قوى الانسان،وتستطيع أن توجه العالم الطبيعى وحياة الانسان وتضبطها.وعلى ذلك يقوم الانسان باســتعطافها واسترضائها.فالدين فى رأيه يبدأ بظهور فكرة الآلهة،وظهور فكرة أرواح الأفراد ، أو أرواح الطبيعة التى يتخيلها المرء على غرار أرواح البشـــر . وهى تقوم على أساس الاعتقاد بقوى غيبية وغير مشخصة . وترجع هذه الفكرة إلى السحر ، ولا تنطوى على أى عنصر دينى.

وقد اعترض " دور كايم " على فريزر " بوجود ديانات كبرى – حتى لدى الشعوب المتحضرة – لاتحتوى على الآلهة ولا علـــى الأرواح . فبوذا ليس إلها وذلك لأنه لا يملك شيئا فى تغيير مجرى الحوادث الانسانية، وإنما يعتبر أكثر الناس رجاحة فى العقل .

وأتباع بوذا لا يبحثون عن النجاة بالصلاة والإيمان،وإنما يعتمدون على تهذيب أخلاقهم واتباع الفضائل فى سلوكهم الخاص والعام.

وفى الواقع فإن البوذية مذهب إلحادى لا يعترف بوجـــود إلـــه، وهى تقوم على أسس ، نذكر منها :

١-ارتباط الألم بين الأشياء كلها فى الوجود .

٢- إن الشهوة وهى علة الألم ، تبدو فى كل شئ فى الوجود .

٣- القضاء على الشهوة،وهو الوسيلة الوحيدة للتخلص من الألم.

٤- للقضاء على هذه الشهوة يشترط أن يكون سلوك الفرد متصفا بالاستقامة والتأمل والحكمة .

والحكمة فى نظر البوذية هى غاية الغايات يصل بها الانسان إلى السعادة أو الخلاص بالموت .

كذلك الحال بالنسبة لديانات أخرى مثل "الجانية " وهى تقوم على أساس التسليم بوجود مادتين : مادة فجة غير حية يتكون منها القسم الجسدى غير الحى من العالم ، ومادة أخرى حية تتكون من الأرواح وهى مادة خالدة . وترى هذه الديانة أن لكل روح غلافا ماديا وانها تتطور شيئا فشيئا ، وأن للأرواح مراتب ، وهناك سمو من أرواح نباتية إلى أرواح حيوانية ، ثم إلى أرواح إنسانية . وهذه الديانات تقوم على أساس قدم العالم – أى أن العالم لم يخلق . وعلى ذلك فهى تتعارض مع الديانات السماوية التى قامت على أساس فكرة الخلق [١] .

وفيما يتعلق بالديانة البراهمية ، فهى مذهب إلحادى ، تركت الآلهة جانبا فى مرحلة من مراحل تطورها ، واستعاضت عنه بمبدأ مجرد ، أى غير شخصى ، وهو " براهما " .

وفى الديانات الألوهية بعض الطقوس التى تعج بمذهب المادة الحية (Animisme). فالتوارة تأمر المرأة أن تعيش فى عزلة مدة معينة كل شهر . وهى تنهى عن الجمع بين الحمار والحصان فى جر العربات ، وعن لبس ثوب يمتزج فيه الكتان بالتيل . وعند الآريين لا يرجع تأثير التضحية إلى تدخل الآلهة التى تقدم إليها " فالقربان فى ذاته قادر على تحقيق كل شئ".

١- د. احمد الخشاب . المرجع السابق ص ٧٧ - ٧٨ .

وعلى ذلك ليس من الممكن تعريف الديانات بفكرة الآلهة أو الأرواح.

ويعرف الدين باعتباره حالة نفسية إنه الاعتقاد بوجود ذات علوية غيبية لها شعور واختيار ولها تصرف وتدبير للشئون التى تعنى الإنسـان ، اعتقاد من شأنه أن يبعث مناجاة تلك الذات السامية برغبة ورهبـة وفى خضوع وتمجيد .

ويعرف الدين كذلك باعتباره حقيقة خارجة عن النفس تضـم مجموعة الشرائع والتكليفات التى أرادها المعبود ، بأنه : جملة النـواميس النظرية التى تحدد صفات الذات الإلهية ، وجملة القواعد العملية التى ترسم طريق عبادته [١].

ويجمع علماء المسلمين على أن الدين هو الاعتقاد السائد بوجود ذات علوية لها صفة الكمال التى تمتاز بها عن سائر الموجودات . ويتطلب هذا الاعتقاد مناجاة تلك الذات الإلهية السامية فى رغبة ورهبة وخشوع وخضوع وتبجيل واحترام .

ويتطلب هذا الاعتقاد وكذلك الخضوع لهـذه الـذات الإلهيـة خضوعا مطلقا عن رضى واختيار والالتزام بالمنهج الذى اختاره ووضعه ليصل بالناس إلي الحق فى مجال الاعتقاد،وإلي الخير فى مجـال السـلوك.

وقد أعطانا القرآن الكريم الإطار الفكرى الـذى ينبعـث منـه الدين،متمثلا ذلك فيما يسمى الـدين الفطـرى.يقـول الله سـبحانه وتعالى:**أقم وجهك للدين حنيفا،فطرة الله التى فطر الناس عليهـا"،"لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم** " . ويخبرنا القرآن الكريم أن الأديان

---

[١] انظر محمد عبد الله دراز . الدين بحوث ممهدة لتاريخ الأديان . وانظر د . مصطفى محمد السيد عمارة . أضواء على رواية المجهول عند أهل الحديث ص ٣٨ .

التاريخية التي ظهرت على مر التاريخ كان أساسها ذلك الدين الفطرى ، ولكنها حرفت وبدلت فزيد عليها أو أنقص منها.

وللتفريق بين الشخص المتدين والدين يذكر انشتاين[١] .Eintein:أن الشخص المتدين هو الشخص المؤمن بقوى القيم الدينية ، أما الدين فهو محاولة الانسان أن يصبح راعيا لهذه القيم وبقوى تأثيراتها .

وللتفريق بين الدين والنظام الديني نذكر أن الدين هو ظاهرة قلبية داخلية ، أما النظام الديني فهو دستور أو تقنين جمعي- أى يخص الجماعة.

نخلص مما تناولناه إلي أن الدين هو السمات العامة للطبيعة الانسانية ، موجودة فى كل مجتمع إنسانى ، وتتعلق بالحياة الروحية فى المجتمع — أى يشترك فى اعتقادها ومزاولتها مجموعة من الأفراد . وهى تتكون من نسق من العقائد القلبية الداخلية فى قوى طبيعية أو فوق طبيعية يؤمن بها الأفراد وتسيطر على العالم الفيزيقى . كما تشتمل على طقوس وشعائر ritual يقوم بها الأفراد. وهى المظهر الخارجى للدين ونسميها عبادة Worship .

وفى ضوء هذا التعريف نجد أن الدين يتضمن العناصر الآتية :

١- المقدس

يوجد تفرقة فى جميع المجتمعات بين ما هو مقدس ، وما هو عادى،أو بين المقدس . Holy ، والعلمانى Secular . والأشياء المقدسة هى المحرمة التي يميزها عن غيرها ويفردها تعلق النهى بها . أما الأشياء الغير

---

[١] Marshall,E.jones P. H. D, Basic Sociological Principles P.277 .

مقدسة فهى محاطة بسياج من هذه النواهى ويختلف الشئ الذى يوصف بالقداسة من شعب إلي آخر ، فالهنود يعتبرون البقرة شيئا مقدسا ، والمسيحيون ينظرون إلي الحليب على أنه شئ مقدس ، والمسلمون ينظرون إلي الكعبة باعتبارها شئ مقدس .

وهناك جوانب غير مرئية فى المقدس . فالإله والأرواح ، والملائكة والشياطين والأشباح ، ينظر إليها على أنها طبيعة مختلفة بين الأشياء العادية. والحق أن الأشياء فى ذاتها ليست هى التى بها قداسة ، ولكن طبيعة الاتجاهات والمشاعر هى تضفى عليهم القداسة ، فالقداسة إذن هى اتجاه عقلى انفعالى يفصل بين ما هو مقدس وغير مقدس . فالبقرة المقدسة عند الهنود لا تختلف عن أى بقرة أخرى . ولكن الذى يعطى الاختلاف هو اتجاه المؤمنين بذلك .

وفى مقابل المقدس هناك المدنس . وهو يتضمن كل شئ ، وفى أى مناسبة اعتبر مدنسا للمقدس . ولتجنب ذلك أحيط المقدس دائما بنوع من المحرمات والتابو . فالأشياء المقدسة يجب أن لاتمس أو تؤكل ولا يقترب منها إلا فى مناسبات معينة، بواسطة أشخاص لهم هذه السلطة [١] .

العنصر الروحى / المعتقدات :

وهى المعتقدات والعواطف والصلة الروحية العقلية التى تجذب الإنسان نحو القوة القاهرة التى يعتقد فى وجودها وفى قدرتها ، وفى أنها تملك له الضرر والنفع ، وهو لا يملك إزاءها شيئا .

---

[١] انظر د . محمد عاطف غيث ، أسس وموضوعات علم الاجتماع ، ص ٤٢٣ .
وانظر د. محمد أحمد بيومى وآخرون . علم الاجتماع ، ص ٢٥٠ .

ولا يفترض الاعتقاد الديني وجود أشياء مقدسة فقط ، ولكن تكرار هذا الاعتقاد يقوى من الايمان Faith . ويساعد الاعتقاد على شرح طريقة أصل الأشياء المقدسة ، ويمدنا بدليل لفهم العالم الغير مرئى (الله - الملائكة) . ويمدنا كذلك بفهم كيف أن هذا العالم الغير مرئى مرتبط بعالم الحقائق .

وتتخذ العقيدة أشكالا متعددة حسب الأحوال المختلفة للمجتمعات ، فأحيانا تتمثل فى قوى مجردة غير منظورة ، أو قد يرمز لها برمز هو الطوطم حيث يعتقد الانسان أن حياته مرتبطة به ، أو كاعتقادنا فى وجود الله سبحانه وتعالى . وغالبا ما تضع الأديان الكبرى بعض التركيز على الاعتقاد فى صورته العقلانية ، أو الخلافات الدينية الاعتقادية.

والناس فى المجتمعات البدائية لا يستطيعون تمييز موضوعات التقديس الديني منفصلة أو بعيدة عن أنفسهم . فالرموز الدينية هى بوجه عام مجموعة من الأشكال الاسطورية مثل أسلاف القبائل أو الأبطال الذين يرمز إليهم برموز مختلفة . كذلك نجد أن الفرد والمجتمع يرتبطان فى علاقة كونية إلهية و طبيعية .

العنصر الطقسي :

وهى المظهر الخارجى للدين والمتعلقة بطبائع الأمور المقدسة ، وما بينها من روابط ، والعلم بعلاقتها بالأمور غير المقدسة . وهى تتمثل فى الحركات والتصرفات والسلوك الجمعى ، والتى نسميها عبادة . ففى حالة الاحتفال بالطوطم Totem فى المجتمعات البدائية ، والذى غالبا ما يكون

حيوان يرمز به للقبيلة يتم قتل الطوطم والمشاركة فى أكله ، نجد فى هذا الاحتفال مثالا واضحا فى المشاركة الأسطورية ، والتى هى الهدف العـــام من السلوك الدينى لتحقيق وحدة القبيلة وتماثلها مع صفات الطوطم.

والعنصر الطقسى قد يكون شعائر شفوية كالتعميد فى المسيحية ، والصلاة والابتهالات وشعائر التلقين والزواج والتبنى والوفاة والأدعيـــة ، وقد يكون شعائر عملية كالاستحمام فى مياه النهر المقدس ، وذلك كما يفعل الهنود فى نهر الكانج .

وللشعائر والاحتفالات أهمية كبرى فى فهم الدين فالشعيرة هـــى الجانب النشط الملحوظ من السلوك الدينى.وهى تحتوى أيضا نوعا مـــن السلوك مثل إرتداء أى نـــوع مـــن الملابس،التضـــحية بالحياة،ترتيـــل شعارات،الصمت،الغناء،الصلاة،التسبيحات،الصيام،الرقص،القراءات [١] .

وتقرب العناصر الطقسية الانسان من المعبود وتكفر عـــن ذنبـــه، وتبعده عن غضبه وسخطه،وهى تساعد الانسان وتعطيه الأمان– أمـــان ليس فقط فى هذا العالم ولكنه أمان وراحة فى العالم الآخر– أمان ليس فى علاقة الانسان بالمخلوقات غير المرئية،وبالقوى الغير طبيعية.

العنصر النصوصى :

ويشتمل هذا الجزء على القواعد الدينية،وهى على هيئة نصـــوص أو أحاديث أو كتب لها قداستها . ويقوم هذا الجانب بتفسير المعانى والقـــيم الدينية ، كما يقوم بتوضيح مكانة الفرد بالنسبة للقوة القاهرة التى يعتقد فيها.

١- د . محمد أحمد بيومى ، وآخرون . علم الاجتماع ص ٢٥١ .

الفصل الثانى

نشأة النظم الدينية وتطورها

ظهرت عدة نظريات تفسر نشأة الدين ، فبعضها يتجه اتجاها ثيولوجيا ينادى بفطرة الدين ، ويقول بأن التوحيد دين الفطرة ، وبعضها يرى أن عبادة الحيوان أو النبات (الديانة التوتمية) هى الأولى ، وبعضهم يزعم أن أرواح الموتى أو أرواح الطبيعة هى العبادة الأولى ، وأن الإنسانية مرت بمراحل عديدة حتى انتهت إلى التوحيد .

فها هو العلامة فريزر Frazer يقرر أن نشأة الدين تبدأ بظهور فكرة تقوم على أساس عبادة الأرواح -أرواح الطبيعة أو أرواح الأفراد ، أى انها تقوم على الاعتقاد فى وجود قوة غيبية غير مشخصة .

ونعترض على هذا بأن هناك أديان كبرى لا تقوم على الاعتقاد بوجود آلهة أو أرواح ، وذلك كالديانة البوذية -مثلا - فبوذا ليس إلها ، ولكنه يعتبر أكثر الناس رجاحة فى العقل ، كذلك فإن أتباع بوذا لا يبحثون عن النجاة بالصلاة ، وانما يعتمدون على تهذيب أخلاقهم ، واتباع الفضائل فى سلوكهم العام والخاص .

وفى الواقع فإن البوذية مذهب إلحادى لا يعترف بوجود إله ، وهى تقوم على أسس منها :

١- ارتباط الألم بين الأشياء كلها فى الوجود .

٢- إن الشهوة وعلة الألم تبدو فى كل شئ فى الوجود .

٣- القضاء على الشهوة هو الوسيلة الوحيدة للتخلص من الألم .

٤- للقضاء على هذه الشهوة يشترط أن يكون سلوك الفـــرد منصفا .

والحق أن الدين نشأ مع الانسانية ، ومنذ أقدم العصور ، إذ دلت اكتشافات علماء الآثار والمتخصصين فى دراسة ما قبل التاريخ والحفريات عند قدماء المصريين والهند القديمة والصين واليونان القديمة ، ما يدل على أن الدين وجد منذ أن نشأت الانسانية .

ويرجع هذا إلي تأصل العقيدة الدينية عند بنى الانسان منذ أقـــدم أزمنة التاريخ ومازالت للديانات القديمة بعض بقايا بين القبائل البدائية .

لقد عاش الانسان الأول فى دنيا لم يكن يفهمها وكان يحيط بـــه جميع صنوف الأخطار التى لا يستطيع أن يراها أو يـــدركها بتصـــوره ، فاستشعر الخوف من الطبيعة،ولم يستطع أن يعللها،فحاول أن يسترضيها بحيث يحصل على معونتها له أو بحيث تمتنع على الأقل عن إيذائه .

ومن ثم أخذ الإنسان الأولى فى عبادة ظاهرات الطبيعة التى أخذت بلبه أعظم مأخذ أو التى خشيها أشد خشية ، فإذا كانت حياته فى بـــلاد تستحب فيها أشعة الشمس ترتب على ذلك أنه يعبد الشمس . ولعـــل الشمس أشيع ما عبده الناس من عناصر الطبيعة . وإذا كانت حياته على مقربة من بركان أو مسقط ماء عظيم تأثر الانسان الأول بـــه فعبـــده . ويصدق هذا أيضا على أى جبل عال أو نهر كبير أو شجرة جسيمة . أو صخرة عظيمة أو حيوان يخشى أذاه كالنمر أو الأسد أو التمساح أو أفعى سامة كالكبرة أو أى حيوان مما يعول عليه الإنسان لطعامه أو كســـائه كالبقر والدب والجاموس . وإذا كان المطر الساقط مما يأتى بالخير له فربما

عبده وقد يعبد على عكس ذلك الرعد والبرق والزوابع للخوف منها وقد كان البحر والنار من المعبودات الشائعة فى حقبة متأخرة عبد الإنسان الحيوانات وغيرها من عناصر الطبيعة إذ كان يعدها مساكن للأرواح ولا سيما أرواح الأسلاف . على أن هذا لم يكن المثال الأصلى لعبادة الطبيعة بل كان حدوثه بعد ذلك العهد .

وقد زعم البعض أن أولى الديانات الانسانية هى النظام التوتمى ، وخلص البعض الآخر أن نظام عبادة الأجداد هو الأسبق . أما العلامة الانجليزى فريزر[١] ففى رأيه أن المجتمعات الانسانية قد مرت بثلاث مراحل هى : السحر والدين والعلم .

والحقيقة أنه من الصعب أن نجزم بصفة قاطعة شكل الدين فى المجتمعات الانسانية الأولى . وإذا كان بعض العلماء يعتبرون المجتمعات البدائية التى تعيش الآن هى صورة من صور الانسان الأول ، إلا أنه ولاشك أن هذه المجتمعات البدائية قد مرت بمرحلة من مراحل التطور .

وبالإضافة إلي ذلك فإنه من الصعب أن نجزم بأن المجتمعات قد مرت عقيدتها وعبادتها فى سلم متعاقب الدرجات،إذ قد تكون الديانة الأولى فى مجتمع،هى الديانة التوتمية.وقد تكون الديانة الأولى فى مجتمع آخر هى عبادة الأرواح.وقد تكون فى مجتمع ما السحر،أو عبادة الأجداد. وقد يجمع مجتمع واحد بين أكثر من عقيدة أو مرحلة فى نفس الوقت .

١- د. أحمد الخشاب . المرجع السابق ص ١٤.

وعليه فنحن لا نستطيع أن نفترض مرحلة سابقة على المرحلة الأولى ، والأمثلة على ذلك عديدة ، إذ يوجد فى القرن العشرين قبائل إفريقية ما تزال على وتيرة العقائد البدائية ، وتجمع بين أكثر من دين .

كذلك فإن كفار العرب قبل ظهور الاسلام كان منهم أناس يدينون بالمسيحية أو اليهودية ، ويذكرون اسم" الله" على ألسنتهم ، ويعبدون مع ذلك أسلافهم ، ويقولون أن أصنام الكعبة تماثيل لقوم صالحين وماتوا فحزن عليهم آباؤهم ، وصنعوا تلك الأصنام على مثالهم وعبدوهم من فرط الحب والذكرى ، ولكنهم لم يعبدوهم إلا ليقربوهم إلي الله زلفى [١] .

ووصل المصريون القدماء إلي التوحيد . وبقيت الآلهة متعددة على حسب التعدد فى مظاهر التجلى المتعددة لتلك الآلهة .

فالتطور فى الديانات محقق لاشك فيه ، ولكنه لم يكن على سلم واحد متعاقب الدرجات بل كان على سلالم مختلفة تصعد من ناحية وتهبط من ناحية .

وعليه فسوف نذكر بعض الأديان التى كانت فى المجتمعات الانسانية الأولى وتطورها ، ليس من زاوية تسلسلها المتعاقب ، لأننا لا نعرفه ، وإنما من ناحية شكل كل منها وتحليله .

يعتبر السحر من الأديان البدائية ، وهو يشبه الدين من ناحية أن كلاهما يتعلق بالشئ المقدس ، وقاعدتهما ما فوق الطبيعة .

---

[١] عباس محمد العقاد . كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية ص ١٨ومابعده .

والسحر هو الوسيلة العملية لجلب الخير للمجتمع — جلب المطر مثلا —حين يعم الجدب أو درء الخطر عنه أو دفع خطر عدو أو شفاء مريض . كما يفسر السحر للإنسان مظاهر الطبيعة وقوانين الحياة ، ويحاول الإفادة منها ، ويسخر الطبيعة لمشيئته ، ويتأتى ذلك كله عن طريق القيام بالشعائر السحرية .

ويعزى إلي السحر كذلك التخلص من شرور الحياة ، وشرور الأشخاص الذين يبتغون بسحرهم الضرر بالصحة والثروة لضحاياهم[١] . فهو يستخدم لإيذاء الناس ، أو للتخلص من الضرر ، كما يستخدم فى مواقف الموت ، وصنع السلام .

وتختلف أساليب السحر من بلد إلي آخر . فالساحر المصرى القديم يستخدم السحر للوصول إلي نتائج سعيدة ، ويستعين الكلدانى به لحماية نفسه من تأثير العوامل المشئومة التى تكتنفه . ويتضرع الساحر الإغريقى الروحانى إلي الشياطين ، ويدعوا أرواح الموتى من أعماق الأرض، وكان ينزل القمر من السماء . وهناك صنوف من السحر تستعين بتوسط الأرواح ، وصنوف أخرى يراد بها التأثير فى الطبيعة تأثيرا مباشرا .

وقد تتدخل بعض القوى غير الشخصية فى هذا السحر الشيطانى . فمن الممكن أن يستحضر الساحر الروح ، ويقوم بصنع الأشياء ، ويوهمك أنها حقيقة ، وهى ليست حقيقة . وهنا فإن التخيل يحدث فى عيون المسحور [٢] .

١- Lienhardt . Godfrey . Social Anthropology . P 121 .

٢- محمد متولى الشعرواى . تفسير الشعراوى ، العدد ٧١ ص ص ٥٦٧٦ ـ ٥٦٧٩ .

ولا تأتى الروح للساحر من تلقاء نفسها ، بل ترضخ لقوة الألفاظ أو الإشارات التى تتحكم فيها ، أحيانا يتغلب تأثير أحــد الطقــوس أو الدعوات السحرية على ما تبذله الروح الشريرة من جهود ، لأن التعاويذ تطردها على الرغم من صرير أسنانها .

ويقوم الطبيب الساحر أو جماعة الأطباء السحرة بالرقص والغناء ويقرعون الطبول ويدقون الأجراس ، ويجيبون على أسئلة المشاهدين .

ويقام هذا الحفل حين يعانى إنسان من حظ سيئ كالمرض والفشل فى الصيد ، ومخاطر تصيب الزرع ، ومشاكل اجتماعية مــع الزوجــات والأقارب . وجدير بالذكر أن الأطباء السحرة يقفون فى مواجهــة مــع الحرفيين السحرة [١].

ويقوم السحر على قانونين -قانون التواصــل Loi de contiguite ، وهو يقوم على أساس أن الأشياء والكائنات المتصلة أو المتواصــلة يــؤثر بعضها فى بعض بعد انفصالها بعضها عن بعض ، وأن ما يؤثر على الجزء يؤثر على الكل ، وما يؤثر على الكل يؤثر على الجزء . فــإذا اســتطاع الساحر أن يحصل على جزء من شعر الشخص أو قطع من ثيابه ، فإنــه يستطيع عن طريق التأثير على هذه الأشــياء أو الأجــزاء أن يــؤثر فى الشخص نفسه .

أما القانون الثانى،وهو قانون التشابه Loi de Similarite.ويرتكز هــذا القانون على أساس أن الشبيه يؤثر فى شبيهه،فالساحر يستطيع أن يجرى مــا يريده على صورة أو تمثال الشخص أو الشئ الذى يريد أن يؤثر فيه.

---

[١] Lewis , Joahn, Anthropology ,P.120 .

وفى السحر القائم على مبدأ التشابه – السحر بالمحاكاة – تستخدم الأحجار المرصوصة فى الطقوس الجنسية أو التى يراد بها إخصاب الأرض . وتهدف الرقصات التوتمية التى تقلد حركات الحيوان التوتمى ، وأفعاله لضمان تكاثر فصيلته . فالشبيه يستدعى بشبيهه دائما . وهو يكفل فى الخرافات الطبية شفاء المريض .

وفى مقابل قانون التشابه ، هناك قانون التضاد . وفى هذا يقول "موس " " وهنير " : [١]ففى أحد الطقوس السحرية يستخدم الساحر قطعة من خشب بعض الأشجار لكى يدعو الشمس إلى الظهور حتى ينقطع المطر .

ولا يفهم الهمجى هذين القانونين على النحو الدقيق الجاف الذى نحددهما عليه . فالبدائى ليس رجلا يستخدم التفكير النظرى . أما السحرة فهم أكثر أفراد القبيلة وأشدهم دهاء . ومن هؤلاء السحرة : صانع المطر،والطبيب المشعوذ ، والساحر الزراعى ، والساحر المتنبئ .

ويختلف الدين عن السحر فى غايتهما ،ومع ذلك نجدهما متداخلين فى المجتمعات الزراعية . ففى هذه المجتمعات تتميز دورة الفصول وما يلحقها من أنشطة زراعية ببعض الإجراءات والشعائر الدينية السحرية ، كالرقص والتعاويذ تميز عمليات حصاد المحاصيل . ورقص الخصوبة والتضحية شعائر تقدم لآلهة المطر والأنهار . وضعف المحصول يقدم فيه شعائر استرضاء الآلهة [٢] .

١- روجيه باستيد . المرجع السابق ص ٣٣ .
٢- د. محمد أحمد بيومى . علم الاجتماع الدينى ص ٣٢٢ .

وفى ضوء ذلك لا نستطيع قبول نظرية المادة الحية التى يقول بها "تايلور" ، والتى يريد بها إرجاع السحر إلي الإيمان بالأرواح . فالقول بوجود الجن لا يفسر جميع ضروب السحر .

وهناك مجتمعات بدائية تعتقد أن العالم مشحون بقوى روحية يطلق عليها : ألمانا Mana . وهى قوى تفوق قوى الطبيعة المادية ، وقوى الانسان البشرية ، وتتصرف فى العالم بالخير والشر ، ويمكن الانسان الاقتراب منها ، واسترضاءها ، واستدرار عطفها ، واستمالتها لتغيير الأمور الطبيعية . ويوجد هذا الدين عند قبائل Maori فى نيوزيلندة ،وفى ماليزيا .

ويوجد نظام عبادة الأجداد Ancesstor Worship ، حيث يعتقد الرجل البدائى أن الأسلاف والأجداد يتمتعون بنوع من الوجود . فالفرد بعد موته تظل روحه باقية . ولذلك فهم يتحدثون إلي الجثة ، ويحاولون تحريكها من مكانها ، ويطعمونها . ويعتقد البدائيون أن روح الميت قد ابتعدت عن الجسد ، ولكنها موجودة ويمكن مشاهدتها ،وعلى الأخص فى الأحلام [١].

ويعتقد أفراد العشيرة أنهم يضمرون العداء لجدهم الأكبر ، وهذا يولد الخوف من الثأر . ومن الخوف تنشأ الحاجة إلي استرضائه بمختلف الوسائل . لأنه كما يعتقدون يتمتع بقوى غيبية تستطيع أن تلحق الأذى بأعضاء العصبية ، وتستطيع كذلك مساعدتهم — أى يتمتعون بخصائص الآلهة — وتعتبرهم بعض القبائل آ لهة .

---

[١] Edward Tyler, Anthropology . An Introduction to the study of Man and Civilization P.87.

يقول راد كليف براون [١] فى هذا الشــأن : أن فى مثــل تلــك المجتمعات يؤدى تماسك واستمرار العصبية إلي استقرار واستمرار البنــاء الاجتماعى للعشيرة التى تتكون من عدة عصبيات .

وتنتشر تلك العبادة بين القبائل البدائية فى اســتراليا ،وافريقيــا ، وهناك بعض العصبيات الأمية مثل قبيلة (ما نكاجو) فى افريقيا ، وقبيلة (نايار) فى الهند ، ويشترك أفراد القبيلة فى انحدارهم من جدة مشتركة .

ولكل أسرة قبرها الذى تدفن فيه موتاها . وهم يجتمعون أمــام المقابر ويقيمون الحفلات وأعياد الذكرى ، ويقومون بــبعض الطقــوس والصلوات ، ويقدمون القرابين المكونة من الأطعمة والمشروبات ،وذبــح الحيوانات ، ويعتقد أفراد تلك القبائل أن الموتى يشتركون معهم فى تناول القرابين ،ويهدفون بذلك الحصول على رضا ومساعدة أرواح أجــدادهم وآبائهم الموتى .

أما الديانة الأخرى فى المجتمعات البدائية ،فهى عبادة " الطوطم ". وتطلق كلمة طوطم على كل أصل حيوانى أو نباتى أو جمــاد تتخــذه العشيرة رمزا لها ، ولقبا لجميع أفرادها . ويعبر هذا الرمز عن شخصــية العشيرة ، ويميزها عن غيرها من العشائر . ويعتبر أفراد العشيرة أنفســهم مرتبطين برباط القرابة التوتمية فيما بينهم - لا برباط الدم.

وقد لا يكون التوتم شيئا وإنما جزء من شئ كمعدة الكنجارو أو رجله أو عينه . والتوتم ليس فردا وإنما نوع - بمعنى أنه ليس حيوانا بعينه- كهذه السلحفاة بالذات أو هذا الكانجارو ، وإنمــا هــو الســلحفاة أو

---

[١] د . عاطف وصفى . الانثروبولوجيا الاجتماعية ص ٢٠٥ .

الكانجارو على وجه العموم . وهو ليس إسما فحسب ، وإنما رمزا كذلك. فقد كان يرسم على أى شئ ، على الأسلحة وجدران الأكواخ ، وعلى أجسامهم ، وكانوا يحملونه معهم حينما يذهبون إلى القتال ، ويدافعون عنه ، ويضعون على رؤسهم بعضا من أجزائه .

ولذلك تعبر كلمة الطوطمية عن وحدة الجماعة الاجتماعية ، وتقيم العشيرة معه علاقات مودة وألفه . وهو يعمل على تضامنها وتماسكها . وهم يقومون ببعض الطقوس والشعائر لاعتقادهم بأنه يعطى العشيرة القوة . وهم لا يقتلون ولا يأكلون هذا الطوطم ، وإنما يترك ليتكاثر ، وليمد العشائر الأخرى بالطعام [١]. ويسمح بقتله أو صيده مرة واحدة كل عام فى إحتفال خاص ذى مراسم خاصة ، ويشهده جميع أعضاء العشيرة ، وبعد قتله يأكلونه ، ثم ينوحون عليه ، ويعقب ذلك احتفال كبير . أما إذا كان الطوطم جمادا فيحرم لمسه .

ومن الطواطم الحيوانية نذكر الثعبان والفيل والتمساح وفرس النهر والأسد والنمر . ومن الطيور نذكر البومة والحدأة والبلشون . ومن الطواطم النباتية نذكر الخيزران وأنواع معينة من الأخشاب والأشجار والنخيل تنمو عندهم فى بلادهم وأما الطواطم غير الحية ، فهناك النار والسحب والمطر .

ولكن ما هى حقيقة الصلة بين الحيوان الطوطم والعشيرة ؟ يذكر سلجمان أن الأهالى لديهم معتقدات كثيرة فى هذا الشأن . فهناك عشائر يعتقد أن الصلة بينها وبين الحيوان الطوطم قد نتجت عن ميثاق بين

---

[١] د . حسين عبد الحميد أحمد رشوان.الانثروبولوجيا فى المجال التطبيقى ص ١٣٧ .

الحيوان الطوطم وأحد الأجداد ومن أمثلة ذلك عشـــيرة لويـــل Luel ، فأفراد هذه العشيرة يتخذون التمساح طوطما لهم .

وهناك عشائر أخرى تعتقد أن الجد الأكبر للعشيرة كان توأمـــا للحيوان الطوطم ، فمثلا يعتقد أفراد عشيرة ييكول Yicol أن مؤســـس العشيرة كان توأما لأسد .

ونظرا لوجود تلك الصلة القوية بين أفراد العشيرة وفصيلة الحيوان الطوطم،فإنه يتعين عليهم أن لا يلحقوا به أذى،كما ينبغي أن يظهروا له الاحترام بشتى الطرق،فأفراد العشيرة التي تتخذ نوعا من الشجر طوطمـــا لها يعتقدون أن الرجل البدائي الذي يجرؤ على قطع الشـــجر الطـــوطم سوف يموت لا محالة.وإذا حدث وألقى أحد أفراد العشـــيرة خشـــبها في النار، فإن الدخان سوف يدخل في عينيه ، ويؤدي إلي إصابته بـــالعمى . وقد جرت العادة عند أفراد عشيرة الأسد أن يـــذبحوا إحـــدى الأغنـــام ويتركوها خارج القرية ثم يبتهلون ليحضر الأسد ، ويأكل اللحم الـــذي قدموه له (١).

وينتشر هذا الدين بين سكان استراليا الأصليين ، والقبائل البدائية في أفريقيا . فالبدائي الاسترالي –كما يذكر إميل دور كايم – يوحِّد بين البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية في عالم واحد . ويعتقد أن العـــالم قـــد تكون في عصور قديمة عن طريق كائنات مقدسة يطلق عليها اسم توتم . ويمثل التوتم إحدى مظاهر الطبيعة المحيطة به ، فقد يكون كنجـــارا ، أو

(١) انظر د. على إسلام الفار الانثروبولوجيا الاجتماعية – الدراسات الحقلية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية سنة ١٩٧٦ ، ص ١٥٠-١٩٦ وانظر د . على إسلام الفار . الانثروبولوجيا الاجتماعية – الجزء الأول دراسة في المجتمعات البدائية ص ص ٦٧- ٦٨.

نباتا ، أو ظاهرة مناخية . ويعتقد البعض أنه يستطيع أن يضمن استمرار تلك الظواهر عن طريق طقوس معينة مثل الرقص ،والأدعية للتــوتم ، أو الكائن المقدس بغية استمراره أو غزارته .

ويستطرد د. إميل دور كايم قائلا — أن شخصية الانسان البدائى تتمركز حول توتمه أو قرينه الحيوانى ، فنجد —مثلا —أن أفــراد عشـــيرة التمساح يعتقدون أنهم يكتسبون في ذواتهم طباع التمساح ؛ فهم أقويـــاء وشجعان ، يفخرون بأنهم قساة القلوب قوم قتال ونزال .

ولعل من أهم هذه النظريات نظرية "السير جيمس فريزر" . فهو يرى أن البدائى باعتباره جاهلا بالقوانين الفسيولوجية يعتقــد أن المـــرأة تحمل الجنين فى أحشائها تبعا لنوع الطعام الذى تناولته ، وعلى أســـاس هذا الاعتقاد ظهرت العادات والإلتزامات الطقوسية التي ينبغى أن يلتزم بها تجاه نوع من أنواع النباتات أو الحيوانات : ومن هنا صدرت العقيـــدة الطوطمية [١].

ومن الأديان البدائية — الديانـــة الزرادشـــتية . وهـــى تقـــول بالثنائية،وتذهب إلي أن هناك إلها للخير وإلها للشـــر ، وهمـــا فى عـــراك مستمر،ولكن إله الخير سينتصر فى نهاية الأمر .

البرهمية (Brahmanism)

تعد البرهمية وليدة مباشرة للدين الفيدى(Vedie)السابق لها الذى دخل الهند مع غزاتها . ولقد كان الدين الفيدى أرقى من دين بابل السابق ولكنه كان خليطا من عبادة الأرواح والطبيعة ، وتخطاه فى درجة دنـــوه

---

[١] د . قبارى محمد اسماعيل . الأنثروبولوجيا الوظيفية ص ٢٠٢ .

من التوحيد باعلائة مكانة إله واحد على غيره من الآلهة لوقت معين ، على أن يأخذ كل اله آخر دوره فى السيادة . وهم يرون أن جميع الآلهة تمثل مظاهر مختلفة لكائن واحد أعلى فارتفع هذا الدين بذلك عن عبادة الأصنام أو النصب وأحدث بذلك تصورات أرقى مما كان شائعا من قبله. وعلى هذه العقيدة الفيدية تأسست البرهمية إذ طرحت آراء عبادة الطبيعة العتيقة وأحلت مكانها شعورا باطنيا ذاتيا .

ولقد استحدثت آلهة جديدة أهمها برهمة (Barahmah) الذى هو رأس ثالوث مؤلف من برهمة الخالق وفيشنو (Vishnu) الحافظ وسيفا المهلك (Siva) وليس تصورهم لبرهمة ببعيد عن تصورنا يهوه (Jehovah)إذ لا يقتصر الأمر فيه على أنه إله ظاهرى بل إنه موجود أيضا فى إدراك الانسان الذاتى . وتقول البرهمة أننا نخدم الله بالبعد عن الناس وبالعزلة التامة والتفريق بين الشخص وبين خطيئة الدنيا . إذ لابد أن يكون الانسان مطهرا من الابتعاد عن كل ما يحط أو يربك .وفى رأيهم أن فضيلة الدين تكتسب بالأعتزال. وعندهم أن الانسان لن يكتسب القدسية إلا بأن يعيش وحده فى عزلة .

ويتصل بالدين البرهمى كتب مقدسة منها المسطورات الفيدينة المقدسة وكتابات مفروض فيها أنها منزلة وتراتيل ورسائل وكتب تشريعية. وهناك أيضا قوانين مانو Manu الشهيرة المدونة حوالى سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح وهى عبارة عن مجموعة قواعد تتطلب من أتباعها قرابين معقدة المراسم وأصبحت اليوم شكلية . وطبقة الكهنوت

عندهم هى أسمى الطبقات . ولم تحاول هذه الديانة أن ترفع مقام المـــرأة بل عملت على الحط منه .

البوذية :

انبعثت العقيدة البوذية فى شمال الهند من إقليم نيبال . وقد عـــاش بوذا فى القرن السادس قبل الميلاد من حوالى ٥٦٠ إلى ٤٠٨ . وتعــنى الكلمة الملهم أو العارف بالحقائق ، أو صاحب الإشراق ، أو المستنير .

والبوذية ديانة ثورية قامت باعتبارها تحديا لسيطرة الديانة البرهمية. وقد خلت أقوال بوذا من المسائل الميتافيزيقية،فلم يتعرض لطبيعـــة الله،ولا للمسائل الكونية،ولم يناقش الأحكام الدينية أو الشعائر الـــتى وردت فى مجموعة"الفيدا".وهى من النصوص الهندية القديمة،فالبوذية دين بلا إله ،ولا صلاة ولا كهنوت ولا عبادة ، ولكنها ترجع إلي عاطفته الأخلاقية .

وقد اقتنع بوذا بأن البراهمة يشغلون أنفسهم بالآلهة ، وأن علـــيهم يقع عبء تنظيم العلاقات بين الكائن المقدس والكائن الانسانى . أما هو -أى بوذا — فقد تملكه شعور بما تعانيه الانسانية من آلام ، وأن الشـــر يجب أن ينقذ منه الانسان ،وهو يرجع إلي الخضـــوع للحســيات ، وإلي الجهل الذى يجعلنا نأخذ المظهر على أنه الجوهر .

وكانت خريطة بوذا فى التعليم فريدة،ولو أنهـــا مدينـــة بشـــئ للجوالين،أو السوفسطائيين المتنقلين.فكان ينتقل من بلـــد إلي بلـــد،وفى صحبته تلاميذه المقربون.وكان يكتفى بالزاد الذى يقدمه له أحد المعجبين من سكان البلد الذى يحل فيه.وكانت طريقته دائما أن يقف السير عنـــد

مدخل قرية من القرى،ويضرب خيامه فى حديقة أو غابة أو على ضفة نهر،وكان يخصص ساعات النهار لتأملاته،وساعات المساء للتعليم.

وكانت محادثات بوذا تجرى فى صورة من الأسئلة وضرب الأمثلة الخلقية والحوار ،أو كان يسوق تعاليمه فى عبارات مقتضبة يرمى بها إلي تركيز آرائه تركيزا يجعلها تقر فى الأذهان .

وأدرك بوذا ما تنطوى عليه حياة الشباب من لهو ينجم عنه الكثير من الأخطار . وفى رأيه أن الحياة ضرب من الألم ، وأن الألم يتولد عن الشهوة ، ونحن لا نستطيع أن نقضى على الألم إلا إذا عملنا على إخماد هذه الشهوات ، ويتأتى ذلك باتباع طريق الحكمة الذى يوصلنا إلي الخلاص أو الشعور الأبدى أو النيرفانا .

يقول بوذا عن الألم :

١- تلك -أيها الرهبان — هى الحقيقة السامية عن الألم : الولادة مؤلمة ، والمرض مؤلم ، والشيخوخة مؤلمة ، والحرب والبكاء والخيبة واليأس كلها مؤلمة .

٢- وتلك — أيها الرهبان — هى الحقيقة السامية من سبب الألم : سببه الشهوة ، الشهوة التى تودى إلي الولادة من جديد ، والشهوة التى تمازجها اللذة والإنغماس فيها ،والشهوة التى تسعى وراء اللذة تتسقطها هنا وهناك ، وشهوة العاطفة ، وشهوة الحياة ، وشهوة العدم .

٣- وتلك -أيها الرهبان – هى الحقيقة السامية عن وقف الألم : أن نجتث هذه الشهوة من أصولها ، فلا تبقى لها بقية فى نفوسنا ، السبيل هى الانقطاع والعزلة والخلاص وفكاك أنفسنا مما يشغلها من شئون العيش.

٤- وتلك –أيها الرهبان – هى الحقيقة السامية من السبل المؤدية إلي وقف الألم : إنها السبيل السامية ذات الشعب الثمانى ، ألا وهى سلامة الرأى ،وسلامة النية،وسلامة القول ، وسلامة الفعل ، وسلامة العيش، وسلامة الجهد ، وسلامة ما نعنى به ، وسلامة التركيز .

وآمن بوذا بأن الألم أرجح كفة من اللذة فى الحياة الانسانية ، وإذن فخير للانسان ألا يولد .

وليس هذا الدين سلبيا كالبرهمية ، بل هو إيجابى وإنشائى ، فله قانون فضائل وأخلاق . وهو يكافئ أتباعه "بالنرفانه Nirvana" مكان الخلاص ، أى جنة البوذية . وطريق الوصول إليها هى أن يعيش الانسان عيشة الزهد ، وترك الرغائب والشهوات .

ونادت البوذية بوجوب المساواة بين المواطنين ، ودعت جميع الأفراد إلي الاشتراك على قدم المساواة فى الطقوس والعبادات ، وذلك على عكس ما تذهب إليه البرهمية من قصر الحياة الدينية على طبقة رجال الدين من البرهمية .

ودعت البوذية كذلك إلي إحترام كل كائن حى ، ولتحديد الحياة السلمية صاغ بوذا المبادئ الخمسة الآتية :

١- لا يقتلن أحد كائنا حيا .

٢- لا يأخذن أحد مالم يعطه .

٣- أن تتجنب الزنا .

٤- لا يقولن أحد كذبا .

٥- لا يشربن أحد مسكرا .

ومن تعاليمه على الانسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة ، وان يزيل الشر بالخير،فالكراهية لا يمكن أن تزول بكراهية مثلها، إنما تزول الكراهية بالخير[١] .

وأدرك بوذا قيمة الطريق الأوسط ، لتحقيق السعادة الروحية ، فالفضيلة وسط بين الإفراط والنقص ، ويتمثل الافراط فى التهور،والجنون، والكبرياء ، والحمق ، والتملق . أما النقص فهو كالجبن ، وتبلد الاحساس، والشح ، وحطة النفس ، والانزواء ، وتتوسط الفضائل هذين الطرفين ، وذلك كالشجاعة والاعتدال ، والكرم ،والتسامح ، والتودد .

واقتنع بوذا بأن الشيخوخة والموت آتيان لا محالة مهما طال أمدها. فترك زوجته وولده ، وهجر منزله ، وراح يهيم على وجهه بحثا عن الحقيقة ، ويعيش عيشة الزهاد بين نساك البراهمة ، وأخضع جسمه

---

[١] وانظر ول ديورانت . قصة الحضارة - الجزء الثالث من المجلد الأول . الهند وجيرانها ص ص ٧٥- ٧٧ وانظر د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان . الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع ص ص ٣٨ ـ ٤٢ .

لألوان من الحرمان والصوم ،واتخذ لنفسه مرقدا من الأخشاب الخشنة ، وكان يأكل طول يومه حبات من الأرز ، وقيل حبة واحدة .

ويرى بوذا أن أولى الخطوات الموصلة للسعادة هى التفانى وإنكار الذات ، والخلاص من الألم بالتحرر من الشهوات [١] .

وقد تعدّلت البوذية عندما بدأت فى الانتشار شمال الهند إبان القرن السادس قبل الميلاد . فانطلقت جنوبا إلي سيلان ، وإلي الجنوب الشرقى من آسيا ، وشمالا إلي التبت ، ومنها إلي الصين واليابان – تعدلت عما كان يبشر به بوذا نفسه .

ففى قرى Burma بجنوب شرقى آسيا ، يعتقد البوذيون بتناسخ الأرواح ، والميلاد الجديد يساعد فى تعميم فكرة أن الموت ليس إلا مرحلة من مراحل الحياة ، فعشائر الموت عند البوذى لا تشير إلي نوع من الحزن،ولكنها تؤكد أن التحول من حياة إلي أخرى قد تم بأمان وسلام،وأنه لا توجد أرواح ضالة سوف تهدد سلام وأمن القرويين .

الكونفوشيوسية Confucianism

وهى ديانة منسوبة إلي الحكيم الصينى والفيلسوف كونفوشيوس الذى عاش بين سنتى ٥٥٠ و٤٧٨ ق.م . ولم يكن كونفوشيوس إلا جامعا وحافظا لحكم القدماء ،وإن كان قد زاد عليها من عنده .

صرف كونفوشيوس الأنظار عن الميتافيزيقا وخوارق الطبيعة والغيبيات ، وعلى ذلك فهى ليست دينا بالمعنى الذى نفهمه من الدين ، ولكنها أقرب إلي كونها مذهبا فلسفيا . وهى لا تتضمن أصناما ولا طبقة

---

[١] انظر د. حسين عبد الحميد احمد رشوان . علم الاجتماع الأخلاقى ص ص ٥٦ – ٥٨ .

قساوسة ، بل توجه الأذهان مشكلات المجتمع البشرى ووجوب أن يعقل الانسان الشئ اللائق فى الوقت المناسب ، وبالطريقة الصحيحة .

وتعبد فى الكونفوشيوسية ثلاث أشياء هى :

١- السماء وهى أهم إله صينى ، ويعنون به قبة الأفق ، أو الهواء الأزرق ، وهذه السماء يزعمون أنها قوة حية وتعبد لذاتها .

٢- الأرواح :وجميعها خيرة ، وهم لا يتخيلونها متحركة هائمة بل منظمة على هيئة اكليروس ويعبدونها جملة .

٣- الأسلاف : وعبادتهم هى الفرض الدينى الواجب على كل فرد . واعتقادهم بعالم آخر مرتكز على فكرة استمرار الأسرة .

والدين فى الكونفوشيوسية غير منفصل عن حياة الناس اليومية ، فهو طقوس تمليها التقاليد وينفذها العرف والعادة . وهذا الدين هو نظرية فى الحكومة والآداب . وهو من حيث أثره الاجتماعى سبب كبير فى سماحة الصينى ، وهو أيضا أحد الأسباب فى تأخر الصين .

وتستمد الكونفوشيوسية قادتها من الأخلاق . فالعالم — كما يرى كونفشيوس — فى حرب لأن الدول التى تتألف منها فاسدة الحكم . والسبب فى فساد حكمها أن الشرائع الوضعية مهما كثرت لا تستطيع أن تحل محل النظام الاجتماعى الطبيعى الذى تميئه الاسرة للفرد . فتأكيد السلوك الحسن والنبالة إنما يبدأ بالفرد . ومقياس الانسان هو الانسان

Measure of man is man، ثم تمتد إلي الأسرة . ولا سبيل إلي القضاء على الفوضى الأخلاقية إلا بإصلاح النظام الأسرى فى المجتمع ، لأن أساس المجتمع هو الفرد المنظم فى الأسرة المنظمة .

وكان كونفوشيوس يرى أن الفرد هو العمود الفقرى فى بناء الأسرة ، والأسرة هى أول خلية حية فى بناء المجتمع . فهى تفرض نظاما اجتماعيا يفوق فى دقته ورقيه ما ترمى القوانين الوضعية إلي فرضه عنوة واقتدارا . فإذا كانت الأسرة فاسدة الدعائم مختلة النظام لا يتوافر التضامن بين عناصرها ، ولا تستطيع أن تهيئ النظام الاجتماعى المنشود ، لا يرجى للمجتمع أى سعادة أو تقدم .

ولذلك يجب على أفراد الأسرة أن يقوّموا من أنفسهم وعقولهم ، وليسع الناس إلي المعارف المنزهة عن الهوى يخلصوا فى تفكيرهم حتى تتطهر قلوبهم من الشهوات الفاسدة ، وتصلح نفوسهم ، فتصلح أسرهم .

وليس الذى تصلح به هذه الأسر هو المواعظ التى تحث على الفضيلة أو العقاب الشديد الرادع ، بل الذى يصلحها هو ما للقدوة الحسنة من قوة صامتة ومتى تم تنظيم الأسرة عن طريق التطهر والإخلاص والتضامن وطاعة الأبناء للآباء ، والزوجات للأزواج ، تهيأت البلاد من تلقاء نفسها لنظام اجتماعى يساعد إلي حد كبير على قيام نظام سياسى يكفل الحرية والمساواة ، ويحقق العدالة .

وترى الكونفوشيوسية أن من واجب كل إنسان أن يتزوج ويربى عقبا لكى يوالى عبادة الأسلاف ، وتجد فى بيوتهم ألواحا تخليدا لذكرى

هؤلاء الأسلاف . ويزعمون أن أرواح أسلافهم تأتى إلي هذه الألــواح حين يتضرع إليها بالطريقة الصحيحة .

ومن المفروض على الإمبراطور أن يقرب قربانا لجميع القياصــرة الذين تقدموه ، والقضاة يقربون لجميع من تولوا مناصب القضاء قبلهم ، على أنهم لا يبدون هذا الإجلال التماسا للسلام أو المعونة ، بل عن شكر وإخلاص وولاء . والشخص الذى يقدم القربان يصلى داعيا أن يكــون جديرا بتقديمه ، وليس فى دينهم شئ من التذلل ، إذ الصينى يمارس دينــه راضيا مسرورا .

ويرى كونفشيوس أن الحاكم ينبغى أن يكون قويــا عــادلا، لا يستخدم العقوبات ، وإنما يقود الناس بالحكمة وكبح الفرد بقواعد اللياقة، وعندئذ يسيطر عليهم معنى الحياء وتسودهم الطيبة والصلاح . وقد سأله أحد الحكام عن الحكومة الصالحة ، فأجاب : تكون الحكومة صالحة إذا ما كان الخاضعون لسلطانها سعداء ، والبعيدون عنها تــواقين للانطــواء تحت لوائها . ومن رأيه أن قوام الحكم الصالح ثلاثة عوامل ، هى : الطعام الوفير، والجند الكثيف ، وثقة الناس بالحكم . وفى رأيه أن الحل الوحيــد لمواجهة مصائب عصر وشروره هو الرجوع إلي الفضيلة .

ديانة المدينة :

وديانة المدينة فى بلاد الاغريق من الــديانات القديمــة .وكــان الاحتفال بعبادة المدينة عبارة عن(غذاء مجهز على مذبح).وتنص الديانــة على أن تكون هناك أكلة مقدسة كل يوم،ولهذا الغرض كان يجب علــى الرجال الذين تختارهم المدينة أن يأكلوا معا باسمها داخل حرم بيت النــار

(البريتانيون). وكان الإغريق مقتنعين أنه إذا قدر لهذه الأكلة أن تحـــذف يوما واحدا ، فإن الدولة ستصبح مهددة بفقدان عطف آلهتها عليها .

وكانت الأكلة تبدأ بالدعاء وإراقة السوائل ونشد الأناشيد ، كما تنص الديانة على تحديد نوع الأوانى المستعملة سواء لطهـــى الطعـــام أو لخدمة المائدة. ففى بلدة ما يجب وضع الخبز فى سلال من النحاس ، وفى بلدة أخرى يوضع الخبز فى سلال من الفخار .

وأخيرا هناك الديانات السماوية ، وهى اليهودية ، والمســيحية ، والاسلام ، وقد ظهرت متعاقبة . وهى تقول جميعا بإله واحد مطلق ، إلا أنها تختلف فى تصويرها لوحدانية الله . وبالإضافة إلى ذلك فحين تنتشـــر ديانة من الديانات فى مجتمع ما ، فإنها تتفاعل مع الوسط الاجتمـــاعى ، وتنشأ فيها تفسيرات ومذاهب جديدة قد تختلف عن تفسيرات ومبـــادئ أخرى موجودة فى مذهب ظهر فى مجتمع آخر .

فقد جاء موسى عليه السلام يدعو قومه لعبادة الله والبعـــد عـــن المحرمات ، وعصى القوم موسى وعبدوا العجل ، ولم يلتزموا بشـــرع الله الذى جاء به . أما العهد القديم فقد صور الإله تصويرا يقربه من صفات البشر .

وكان المجتمع قبل نزول الشريعة اليهودية يعيش حالة من الفوضى والفساد ، فلا قانون ،ولا عدل ، ولا أمن ، ولا نظام ، فجـــاءت هـــذه الشريعة لعلاج هذا المجتمع ، ولوضع حد لهذه الفوضى التى تنخر فى البناء الاجتماعى ،.وتغير الاتجاه نحو الخير ، والقضاء على الشرور ، التى كانت

سائدة منذ بدء التاريخ لفساد النظم الاقتصادية والسياسية والطبقة التي كانت قائمة وقتذاك .

وقد جاءت هذه الشريعة لتصبح مكانا صالحا لسكن الانسان ، فلا يقتل انسان بلا قصاص ، ولا يعتدى إنسان على انسان بلا عقاب . وإذا أهان الانسان إنسانا ، فيجب أن يقتص منه مهما كانت أسباب الإهانة . فقد نصت شريعة موسى عليه السلام على أن : العين بالعين والسن بالسن [١] .

وقد جاءت شريعة موسى عليه السلام شاملة بعض المبادئ التي تعطى للفرد قيمته ، وتدعو إلي رعاية المرضى ، وتحث على الاتحاد ، وتطرقت إلى الثروة ، وحث الناس على النظافة . تقول هذه الشرعية : أن الفرد من صنع الله ، وحياته أغلى شئ لديه ، وهى مرتبطة بحياة الجماعة ، فيجب المحافظة عليها ، ورعايتها ، وصرفها فيما يعود على الجماعة بالخير والرفاهية ، ووقايتها من الشرور ، والاتحاد عماد الحياة الاجتماعية .

وظهر مصدران أساسيان للفكر اليهودى هى : التوراة والتلمود . وسمى اليهود أنفسهم شعب التوراة ، أو شعب الله المختار ، وحرفوا التوراة عقيدة بنى إسرائيل ، وبدى ذلك فى الإله يهوه ، حيث تقول أن يهوه قطع وعدا لابراهيم بتفضيل الشعب اليهودى على جميع الأجناس .

---

[١] د . حسن الشرقاوى . الأخلاق الاسلامية ص ٣٤٦ - ص ٣٤٧ .

وزيف اليهود موقف بنى إسرائيل بالنسبة لابـراهيم وأبنائـه ، وبالنسبة لميراث ابراهيم حتى يستأثر به اسحق وحده دون أخيه الأكـبر اسماعيل . ويتركز هذا الزيف فى دعواهم بإعطاء ابراهيم لاسحق كل ما كان له . أما بنو السرارى اللواتى كانت لابراهيم ، والمقصود هنا ابنـه الأول اسماعيل وذريته ، فقد أعطاهم عطايا وصرفهم عن اسحق . ومـن ذلك قولهم : تسكنوا أنتم فيها إلا الكنعانيون ، الميراث الأبدى لكم وليس للكنعانيين . ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته .

ويقول الدكتور أحمد شلبى : إن اليهود ارتدّوا بعد سـليمان إلى عبادة الأوثان وعبادة آلهة الأقوام المجاورين وبنوا مذبحا للأصنام فى فنـاء بيت المقدس ، و لم يعد هناك ذكر للتوراة ولاصلة بها . وكانـت مملكـة يهوذا وثنية تماما ، وأن اليهود بعد أن انحرفت اعتقـاداتهم وطبـاعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقة لأنها كانت تختلف عما أرادوه من طباع وخلق وكتبوا سواها مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة .

وقامت حياة اليهود على أساس من الوحشية والقسـوة . ففـى التوراة وفى سفر يشوع يقال لهم : أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجـل وامرأة وطفل وشيخ حتى الغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار.

وسادت حياة اليهود الاغتصاب ، والقتل ، والغدر ، والخيانـة ، والتشريد ، والاستيلاء على الأرض بالقوة وطرد أهلها . وحرصوا كذلك

على جمع المال وعلى الحياة الدنيا . فكتب عليهم من جراء ذلك الذلة والمسكنة والتشرذم فى الارض [١] .

وكانت اليهودية عند ظهور المسيح عليه السلام قد أصبحت جامدة حتى اقتصرت على الشكليات ، وأصبحت تحتاج إلي ما يبعثها . فجاء الدين المسيحى يصلح أحوال البشر ويهديهم إلي الله والتمسك بالقيم النبيلة ، وتقوية الجانب الروحى الذى أفسده اليهود ، ليدعو مجتمعه إلي الحب والأخاء والتسامح وتنقية النفوس من الشرور ، والبعد عن الصراعات الدنيوية . وجاء قولة المسيح عليه السلام المشهورة : دع مالقيصر لقيصر وما لله لله ، دليلا على تغلب الجانب الروحى على الجانب المادى [٢] .

وأخذت سلطة الكنيسة المسيحية بالثالوث المقدس Trinity ، وهى دين روحى نفسى ، دين يهدى ودين يسوق ، دين حرية وهداية باطنية أكثر مما هو دين قانون ونظم خارجية . فقد انتهجت الشريعة المسيحية طريق التسامح والعفو ، وجعلت القلب بديلا للعقل ، والنية الطيبة بديلا للعدل الظاهرى .

يقول سيدنا عيسى عليه السلام " أحبوا أعدائكم ، وباركوا من يلعنكم واعملوا الخير لمن يبغضكم ، وصلُّوا لمن يسيئكم أو يغدر بكم " .

وقد نادى آباء الكنيسة بنظرية السيفين ، ومؤداها أن الله خلق لحكم هذا العالم سيفين ، أحدهما روحى والآخر زمنى ، وأنه سلم أحدهما للبابا،والآخر للإمبراطور ، والسيف الروحى هو كلمة الله ، وتستخدمه

١- انظر أنور الجندى . المخططات التلمودية . اليهودية والصهيونية ص ص ١١ – ٢٤ .
٢- د. شكرى الدقاق ود. محمود سيد عبد الفتاح . الاحكام الاساسية للشريعة الاسلامية ص٥.

الكنيسة لعقاب كل مرتكب للخطيئة . أما الآخر وهو سيف مادى تستخدمه السلطة الزمنية لعقاب من يسلكون سبيل الشر .

وجاءت المسيحية بفكرة المساواة بين الأفراد ، فليس هناك أغنياء وفقراء ، وسادة وعبيد ، وأحرار وأرقاء .

وقد ظهرت من البداية كنيستان تتنافستان ، الكنيسة الرومانية أو الكاثوليكية ، والكنيسة اليونانية الأرثوذكسية .

ويعزى البعض ظهور هاتين الكنيستين إلي الجانب السياسى ؛ إذ كان ذلك بسبب قيام امبراطوريتين سياسيتين متنافستين على شاطئ البحر الأبيض المتوسط — الأولى فى روما اللاتينية ، والثانية القسطنطينية البيزنطية .

وقد بلغت سلطة الكنيسة فى روما شأوا عظيما . فقد ادعى البابا السلطة الزمنية والدينية . وكانت الكنيسة تفرض ضريبة الأعشار وتضمها إلي مواردها الخاصة ، فضلا عن إعفاء أملاكها من الضرائب . كما كانت تحصل على الأموال من بيع الوظائف الدينية ، وبيع صكوك الغفران . وقد أدى هذا إلي إنبثاق حركة الإصلاح الدينى على يد "مارتن لوثر" ، وظهور الكنيسة البروتستانتية .

وتعتبر الكنيسة البروتستانتية الإنسان مسئول أمام الله بصفة مباشرة من الوجهة الدينية ، وأنه حر فى تفسير الكتاب المقدس فى ضوء ما يمليه عليه ضميره . وبذلك يبيح المذهب البروتستانتى قسطا أكبر فأكبر من الحرية الفردية .

وبالإضافة إلي ذلك فقد نادى " مارتن لوثر" صاحب المـــذهب البروتستانتى بضرورة الحد من النشاط البابوى .

أما المذهب الكاثوليكى فيرمى إلي ضرورة الاحتفـــاظ بالمـــذبح المقدس ، والاحتفال بالذبيحة ، وسلطة الكهنة الروحية ، بينمـــا يـــرى المذهب البروتستانتى أن هذه الأمور قد تحققت جميعها فى شخص يسوع وحياته كمخلص . أما الآن فلم يعد لها فائدة .

وهكذا فإن البروتستانت رفضوا سلطة البابا المطلقـــة ، وســـلطة الكهنة ، وحصروا السلطة العليا فى الكتاب المقدس .

وعلى العكس من لوثر ، كان كالفن بمثابة المصلح الاخلاقـــى ، صاحب الاتجاهات الراديكالية ، فالكالفنية عامة ، مثل جماعات المتطهرين نبذت النظام الاقتصادى والسياسى والدينى القائم . أكثر من هذا فإن مقر الكالفنية نفسه كان مركزا تجاريا هاما . ولهذا فليس مستغربا أن نجد أن الذين انجذبوا لتعاليم كالفن كان معظمهم من الطبقات التجارية الحضرية والمتعطشين للثروة والقوة معا . ولعل ما يميز الرأسماليـــة الحديثـــة عـــن التقليدية هو أن الرأسمالية الحديثة تتميز بالترشيد وهى موجهة نحو تحقيـــق الفائدة بطريقة حسابية منتظمة . هذه الرأسمالية بالنسبة لفيبر ، ليست الا محصلة الأفكار الدينية الجديدة للكالفنية .

ان الاعتقادات الكالفنية لم تتطلب العمل الشاق فقـــط ولكنـــها حرمت الاسراف أيا كان مظهره ، كما أنها رفضت النظام الدينى المدرســـى للكاثوليكية الخاص بالحياة على دولة الأرض والابتعاد بقدر الإمكان عن الماديات وإعداد الانسان للقيام بشعائر طلب العفو الالهى . وقـــد أكـــد

كالفن بدلا من ذلك على أن الله يعلم مقدما من سوف ينقذ ومن سوف يستمر فى العذاب الأخروى ، فلا إقامة الشعائر ولا مجهود الأفراد سيغير ما قرره الله .

وانطلاقا من هذا الاعتقاد اعتبر الكالڤنيون أنفسهم من المختارين وقد تطلب هذا منهم تغيير الوضع القائم فى العالم الذى يهددهم بمعنى آخر أنهم رأوا طالما أن أى إنسان لا يعرف إن كان من المختارين أم لا ، فعليه أن يعتقد بأنه من المختارين ولهذا تميزوا بالاهتمام بالصناعة وجمع الثروات وانكار الذات واعتبروا أن هذا جزءا أساسيا من وظيفة الفرد أو رسالته .

وبالتدريج تحول هؤلاء التجار إلي مركز القوة فى المجتمع وبدأت عملية تحدى النظام القائم ، ولضمان نجاحهم تطلب هذا نوعا جديدا من التفسير الاخلاقى للمعنى المقصود من ذلك التحدى وتقديم تبرير للنظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى الجديد الذين حاولوا اقامته .

أما المجتمع الروسى — مثلا فقد أدخل فى الأرثوذكسية الشئ الكثير من شخصيته وخصوصياته الاجتماعية . فالترانيم والأجواق والكنسية وتقبيل الأقارب ثلاثا ، والأعياد ، ومظاهرها القومية . هذه الأشياء الثانوية بالنسبة إلي الاعتقاد بالله والخلود والمسيح ، لها الشأن الأول فى نفسية المجتمع . وهذه الأشياء لها قيمة قومية فى حياة المجتمع ، أشياء تقليدية صبغ المجتمع الدين بها فأصبحت تقاليد دينية قومية .

ويضيف الأستاذ انطون سعادة : أرادت الجامعة الدينية أن تحول دون نشوء الأمم ، ولكن الأمم عدّلت الدين ليوافق نزعاتها القومية . بهذا

صار الدين ويصير عنصرا من عناصر القومية . وفى الأمم التى تتعدد فيها الأديان أو المذاهب تكون القومية الدين الجامع ، ويعود الدين إلى صبغته العامة وعقائده الأساسية بما وراء المادة [١].

وجاء بعد ذلك الاسلام لتكتمل الرسالات السماوية برسـالته . والاسلام هو آخر الأديان العظمى مولدا ، إذ ظهر بعد المسيحية بستة قرون . وقد دعا إليه فى بلاد العرب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وأخذ بهدى الناس .

وصور الاسلام الإله على أنه ذات واحد ، يقـول الله سـبحانه وتعالى : " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُوًا أحد " . ويقر الاسلام نبوة آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وسائر الرسل . ويقوم الاسلام على مبادئ خمس ، هى :

١- الشهادة،وهى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

٢- الصلاة .

٣- الزكاة .

٤- الصوم .

٥- الحج .

وتمم الاسلام مكارم الأخلاق ، فجاءت الشريعة المنـزلة من الله شريعة الدنيا والدين دون أن يلغى أو يقلل من شأن الديانات السـماوية السابقة ، فجاء منهجه كاملا – ليس للمجتمع العربى الذى بعث به ، بل لمصلحة الناس أجمعين فى كل زمان ومكان . وقبل وفاة محمد عليه الصلاة

---

[١] انطون سعادة . نشوء الأمم . ص ص ١٧٤ -١٧٦ . وانظر يوسف اسيل شميت . علم الاجتماع الدينى ص ص ١٣٨ – ١٣٩ .

والسلام عمد إلي غزو العالم ، فاكتسح المسلمون آسيا الصغرى برمتها ، وكذلك أفريقيا الشمالية ودخلوا أوربا والبلقان .

وبانتشار الإسلام اصبحت مصادر التشريع فى الأمة الاسـلامية ، القرآن الكريم ، والسنة ، والإجماع ،والقياس .

والقرآن الكريم ، هو كتاب الله المنـزل على سيدنا محمد صـلى الله عليه وسلم باللفظ العربي المنقول بالتواتر ، والمكتوب فى المصـحف المبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس .

والقرآن هو المصدر الأول للشرع وأن أحكامه واجبة لا يحتمل إلا تفسيرا واحدا كما فى أحكام الحدود .

وكان رسول الله يأمر كتاب الوحى بكتابة ما ينـزل وقت نزوله ، ومنهم : " زيد بن ثابت " "وعلى بن أبي طالب " " وعثمان بن عفان " و "عبد الله بن مسعود " وغيرهم كثير ، فكانوا يكتبون ما يمليه عليهم فى الرقاع وعلى سعف النخل واللخاف وغيرهما . (والرقاع هو قطع الجلد، والعسف الأجزاء العريضة من جريد النخل ، واللخاف الحجارة الرقاق)

وقد جمع القرآن فى عهد خلافة أبي بكر الصديق —رضى الله عنه، إذ قام زيد بن ثابت بهذا العمل الجليل يعاونه بعض الصحابة فكتبوا القرآن وآياته وسوره على الترتيب والضبط الذين تلقوها عن رسول الله ﷺ.

ولما تولى الخلافة عثمان بن عفان أشار عليه بعض الصـحابة أن يكتب للناس مصاحفه ويرسلها إلي الآفاق التى انتشر فيها الاسلام ليجتمع المسلمون على مصحف واحد [١] .

---

[١] انظر د. شكرى الدقاق ود. محمود سمير عبد الفتاح . الاحكام الاساسية للشريعة الاسلامية . ص ١٣- ٢٢

السنة ، وهى ما آثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقدير [١].

والإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشـريع الاسـلامى ، ويعرف أنه اتفاق جميع المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسـلم فى عصر من العصور على حكم شرعى بعد وفاة الرسول صـلى الله عليـه وسلم [٢] .

والقياس ، وهو إلحاق أمر لا نص فيه من الكتب والسنة بـآخر منصوص على حكمه وتطبيق حكمه عليه لاشتراكهما فى العلة التى شرع لأجلها الحكم

ومن أمثلة ذلك:تحريم النبيذ قياسا على الخمر لاشتراكهما فى العلة التى روعيت فى تحريم الخمر وهى " الإسكار " . ولم يرد نص صـريح فى تحريم النبيذ . فقد ورد النص فى الخمر فى قوله تعـالى : " **إنمـا الخمـر والميسر والأنصاب والأزلام رجز من عمل الشيطان فاجتنبوه** " (سورة المائدة : ٩٠) .

وقد ظهرت عدة فرق إسلامية نذكر منها :

الخـوارج

يرجع أصل نشأتها إلي موقعة صفين التى حدثت بين على بـن أبى طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، لتولى الخلافة على المسلمين . فقد عرض فريق من المتحاربين أن يحكم بينهما القرآن الكريم ، وعرض فريق آخـر تحكيم مندوبين أحدهما عن على ، والآخر عن معاوية ، فاختار علـى –

---

[١] نفس المرجع . ص ٢٥ .
[٢] نفس المرجع . ص ٣١ .

أبا موسى الاشعرى ، واختار معاوية عمرو بن العاص . وقبل على الحل الاخير ، فخرج قوم من أتباعه معظمهم من قبيلة تميم وعارضوا بعنف تحكيم الرجال فى حكم الله ، وجاهروا بالاحتجاج قائلين ألا حكم إلا حكم الله ، وانسحبوا إلي جوار الكوفة (كورة حوخى ، ثم ما لبثت أن ظهرت مغالاة الخوارج فى تعصبهم ضد العلويين (أتباع سيدنا علـى) وقالوا بعدم أحقية علي للخلافة وطعنوا فى مسلك عثمان .

الشيعة :

تطلق على من شايع على بن أبي طالب ، واعترف بخلافته ، وأن الخلافة لا تخرج عن أولاده ، والإمام فى نظرهم معصوم ، والذى يعين خليفته، وتظل الإمامة فى ذريته إلي يوم الدين .

ومن طوائف الشيعة الجمعية الباطنية،وقد شجعت الحركات الانفصالية وسياسات التجزئة.ومن مبادئها المساواة بين الذكر والأنثى فى الميراث،وابطال ملكية الأرض وتوزيعها على الفقراء من غير ثمن؛وهى تدعو إلي الأخاء والمساواة بين جميع البشر وسائر الطبقات،كما دعت إلي مقاومة الحكم القائم بطريق القوة .

المعتزلة :

مؤسسها واصل بن عطاء الذى اعتزل أستاذه الحسن البصرى، حين كان يناقش مسألة مرتكب الكبيرة،هل هو مؤمن أم كافر؟وأعلن رأيه أن مرتكب الكبيرة لا يعد مؤمنا ولا كافرا،بل هو فى منزلة بين منزلتين.

وهناك فريق يرى أن هذه الفرقة ظهرت عندما بايع الحسن بن على — معاوية ،وسلم إليه الأمر ، فاعتزل هذه الفريق الحسن ومعاوية وجميع الناس ، ولزموا مساجدهم ، ومنازلهم ، واشتغلوا بالعلم والعبادة .

الأشاعرة :

ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري المتلمذ على يد أبي على الجبائي المعتزلي، وأخذ وجهات النظر المختلفة في المشكلات الكلامية [١].

وبذلك يتضح أن المجتمع لا يمكن أن يعيش بمعزل عـــن الأديـــان السماوية التي تصلح أحواله وتهيئته ليحمل الأمانة ، وهي إعمـــار الأرض بالعمل الصالح،ولذلك حباه الله بالعقل الذي يعينه على أداء هذه المهمـــة الجليلة.

---

[١] د.حسين عبد الحميد أحمد رشوان.تطور النظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع ص ص ٩٦ ــ ٩٨ .

الباب الثانى : علم الدين

الفصل الثالث : علم الدين .

الفصل الرابع : صلة علم الدين بالعلوم الأخرى .

الفصل الخامس : علم الاجتماع الدينى .

الفصل السادس : نشأة علم الاجتماع الدينى وتطوره .

الفصل الثالث

علم الدين

Science of Religion

تعد الفكرة الدينية فى جوهرها مرحلة أولى فى التطـــور العقلـــى للإنسانية . كما أنها المرحلة الأولى فى التطور العقلى لـــدى الفـــرد . ثم خرجت الفكرة المنطقية خروجا بطيئا من العقائد الدينية .

ويعود تحويل هذه الدراسة إلي علم إلي عصر التنوير فى أوروبا فى القرن الثامن عشر ، ففى هذا القرن عمَّت العقلانية جميـــع الأوســـاط . وكان العلماء الطبيعيون يشنون حربا شعواء ضد الكنيسة ، وما كانـــت تقوله من آراء تخص منشأ الكون وصيرورته وخسوف الشمس والقمر .

وقد أخذت العلوم الطبيعية فى التقدم ، فجـــاءت الاكتشـــافات العلمية ، وعلى أثر هذه الاكتشافات جاءت الصناعة والثـــورة فى مجـــال النقل ، فاخترعت القطارات والسفن التجارية والآلات ، فـــتغير شـــكل الحياة الاجتماعية اقتصاديا وسياسيا وكذلك حال الأسرة. وأدى هذا إلي مجئ الفتوحات الاستعمارية التى تستهدف تغذية الصناعة بالمواد الخـــام ، وفتح الأسواق لمنتجات المصانع .

وقد ذهب الأوروبيون إلي آسيا وأفريقيـــا وانتشـــرت البعثـــات التبشيرية المسيحية، وهناك تعرفوا على أديان غير دينـــهم ، ونظـــروا إلي الأفريقى والآسيوى على أنهم قدماء ،وأوليين ،وبدائيين . وهـــم همـــج يعيشون فى الغابات ، وتصور أنهم هم بداية لحقها الأوربيون بعدهم .

فسر الأوربيون ما شاهدوه فى ضوء نظرية التطور ، والتى تقول أنه إذا تفهمت السابق فإنك فهمت اللاحق ، وأن السابق هو مـا يفسـر اللاحق وطبقوا ذلك على الأديان .

فقد ظهرت نظرية هربرت سبنسر Spencer عن أرواح المـوتى ، وأشار إلي الانتقال من الجماعات المتجانسـة ذات المجـال الصـغير إلي الجماعات اللامتجانسة والمعقدة ذات المجال الواسع وهى نقطة الانطلاق إلي نظرية المبدأ الحيوى animism .

ورأى سبنسر أن ظواهر مثل الموت والأحلام تعطـى إحساسـا بوجود الروح منفصل عن الجسم الذى تحركه . والانفصال المؤقت للروح عن الجسد أثناء النوم يفسر ظواهر الأحلام . والموت هو انفصال دائـم للروح إلي مثوى آخر ، ويقيم البدائيون طقوسا يتضرعون فيها إلي هـذه الأرواح بتقديم القرابين إليها . وهكذا تنشأ عبادة الأسلاف . وهى أولى العبادات .

ومن نظرية عبادة الأرواح تنشأ عبادة الأصنام (فقـد كانـت الأصنام فى مبدأ الأمر بعض أجزاء الجثة التى كانت تحنط ويحـتفظ بهـا كآثار يتبرك بها) ؛ وعبادة الحيوان (فقد كان البدائيون يظنون أن روح الميت تتشكل بصورة الحيوانات التى كانوا يرونها على مقربة من الكـوخ الذى ترقد فيه جثة المتوفى) ؛ وعبادة النباتات (فإما أن يفسر البـدائى الجنون الذى يعقب تناول عصارة بعض النباتات بالأرواح التى يظن أنهـا سجينة فيها ، وإما أن يعتبر أن الأرواح تتجسد فى النباتات التى تنمو على القبر) ؛ (وتنشأ منها) أخيرا عبادة الطبيعة (وكانت هذه تعبـد أولا

على اعتبار أنها مقر الأموات ، ثم عبدت لذاتها فيما بعد ، عـــن طريـــق انتقال العاطفة من شئ إلي آخر) .

ويؤخذ على هذه النظرية أنها خلطت بين طقوس الجنازة وبـــين عبادة الأسلاف . وهذه العبادة الأخيرة حديثة العهد على وجه العموم ؛ بل تقوم فى كثير من الأحيان على أساس العائلة البطريركية الـــتى بلـــغ نظامها درجة كبيرة من التقدم . (حقا) إن طقوس الجنازة أشد عموما ، ولكنها لا تفضى بالضرورة إلي القول بعبادة الأرواح [١] .

ووضع إدوارد تايلور نظرية المادة الحية . وروى أن البدائى يعيش و سط طبيعة حية : فالماء يسيل والريح تصفر الخ . وإذن اتخـــذ نشـــاطه الخاص نموذجا قاس عليه جميع الأشياء التى كانت تحيط به مـــن حيـــوان ونبات وجماد . وهكذا بدا له أن جميع الأشياء تتكون من جسم وروح . وبالاختصار بدا العالم فى نظره مليئا بعدد لا نهايـــة لـــه مـــن الارواح ، كأرواح منابع الماء والأشجار والجبال . وهذا هو السبب فى تسمية هذه النظرية باسم نظرية المادة الحية . وليست الآلهة فى ديانة التعدد إلا نخبـــة ممتازة وطائفة من هذه الأرواح التى كتب لها الرقى ، وبعـــد أن كانـــت مختلطة بباقى الأرواح التى كان البدائى يخشاها ويعبدها [٢] .

ويتفرع علم الاجتماع الدينى إلي فرعين : التاريخ العام للأديان ، وما يسمى بالدين المقارن . ويتناول تاريخ الأديان نمو وتطور الأديـــان ، مستخدما فى ذلك المنهج التاريخى ، أى المنهج الذى يأخذ بمبدأ التطـــور كمبدأ أساسى لتفسير الظواهر .

---

[١] انظر السيد الحسينى مقدمة فى علم لجتماع الدينى ص ص ٢١٣ – ٢١٩ .

[٢] د. السيد الحسينى ، مقدمة فى علم الاجتماع الدينى ، ص ٢٢٠- ٢٢١ .

ويدرس هذا العلم مراحل هذا التطور ، مبينا أن هذه المراحل هى انبثاقات من مسلمات كل عقيدة ... وتحتوى هذه الدراسة على التطور النفسى لمجتمعات دينية خالصة. وتناقش المسائل الخاصة بالعقيدة والشعائر والمؤسسين . وتركز هذه الدراسات على الحقائق كما هى فى هذه الأديان [١].

ويتركز الاهتمام فى الدين المقارن حول تحليل أنواع مختلفة من التجربة الدينية ، وذلك بمقارنة الأديان من أجل معرفة التطورات النمطية والسمات المميزة والقوانين المتبعة . ويتطلب ذلك من الباحث أن يحدد السمات الرئيسية فى الأديان التاريخية .

وعلم الدين ليس بعلم اللاهوت ، بل هو ذلك العلم المستقل عن اللاهوت والذى يستهدف الدراسة الموضوعية للدين . ويختلف علم اللاهوت عن علم الدين فى أن علم الدين يعتمد أساسا على الحقائق . أما علم اللاهوت فيهتم بوضع القواعد ، ويحاول الإجابة على المسائل المطلقة ومسائل الحقيقة . فاللاهوت ليس بحث عن المعرفة ، ولكنه السعى وراء المعرفة من أجل مصالح دينية . فاللاهوت يعتمد على المذهب الدينى ، ويتبنى معتقدها الدينى كمنطلق له .

ويعتبر دلثى Wilhelm Delthy (١٨٣٣- ١٩١١) من أوائل الفلاسفة الذين حاولوا تطوير علم تاريخ الأديان كعلم مستقل عن

١.
See schOpes Hans –joachim ,The Religion of Mankind.Their origin and DevelopmentTrans by R.and C. Winston, P .3
وانظر د.محمد أحمد بيومى.علم الاجتماع الدينى ومشكلات العالم الأسلامى ص ص٦٠-٦١ .

اللاهوت ، وكجزء من تاريخ الأفكار . ويقترح دلثى أن المنهج المستخدم فى التاريخ الدينى هو نفسه المنهج المستخدم فى التاريخ [١] .

وقد بدأت الدراسة العلمية للأديان فى أواخر القرن التاسع عشر عندما عين العالم الألمانى فردريك ماكس مولر Max Muller فى جامعة اكسفورد عام ١٨٩٦ ، وقام بتدريس علم مقارنة الأديان ، والذى اشتق من علم الأديان . وكان هذا العلم محتكرا من قبل الكنيسة .

وقد تمخضت بحوث ماكس مولر عن المذهب الطبيعى ، والذى يرى أن الدين محاولة أولى قام بها الذكاء لتفسير الظواهر الطبيعية ، وبخاصة تلك التى تثير لدى الذكاء ضروب الدهشة أو الفزع ، وهى الانقلابات الشمسية – فى رأيه – ، وأوجه القمر فى نظر العلماء [٢] .

وألقى العالم الهولندى "تيليه "محاضرات فى الفترة من ١٨٩٦ إلى ١٨٩٨ نشرها تحت عنوان " أسس علم الدين " Elements of the Science of Religion عام (١٨٩٩) . ومع ذلك فقد كان العنصر التأملى مازال واضحا ليس فى تاريخ الأديان فقط ، بل أيضا فى الفولكلور وعلم الاجتماع وعلم النفس ، وهى العلوم التى تساهم مساهمة فعالة فى الدراسة العلمية للدين .

وقد تميزت هذه المرحلة بالاهتمام بالدراسات اللغوية والتاريخية التى أخذت " الطابع الوصفى " ، وأصبحت الموضوعية مطلبا أساسيا . كما بذلت محاولات فى دراسة الأصول الخاصة بكل دين .

١- د. محمد أحمد بيومى . علم الاجتماع الدينى ص ٧-٩ .
٢- د. السيد الحسينى . مقدمة فى علم الاجتماع الدينى ص ٢١٧ .

ومع الحرب العالمية الأولى ، انتهى عصر النـزعة التاريخية ، حيث أن التيار التاريخى لا يستطيع أن يقدم المعايير للاعتقاد والفعل ، والحياة بدون هذه المعايير لا تساوى شيئا ، وعلى ذلك بدأت المناهج الوضعية تأخذ مكانها .

ومع بداية القرن العشرين بدأت الفلسفة واللاهوت يستعيدان مكانتهما ، حيث ظهر رد فعل جاء ضد الاتجاه الوضعى السائد [١] .

وهكذا فإن الدراسة الحديثة للدين ، قد بدأت خطا فاصلا بين المؤرخين والعلماء من ناحية ، وبين رجال اللاهوت والفلاسفة من ناحية أخرى . ويقوم هذا الخط الفاصل على أساس الموضوعية objectivity التى تعتبر أساسية بالنسبة للعلم .

وهنا يبدوا الفارق بين الدراسات اللاهوتية ، وعلم الدين ، فالدراسات السابقة التى قام بها رجال اللاهوت تستهدف الهجوم أو تفنيد الأديان الأخرى . أما الدراسات فى علم الدين فتقوم على الموضوعية ، وعدم التحيز [٢] .

وبعد الحرب العالمية الثانية حلت المقارنات الدقيقة محل التعميمات السطحية عن الأنظمة والسلوك الدينى إذ اعترف بالحاجة الماسة لتقدير التنوع فى التعليم والطبقة والعوامل الاجتماعية الأخرى قبل إصدار تعميمات عن تأثير الدين أو التأثيرات التى تحدث للأنظمة الدينية . وعلى هذا ظهر من المجلات، والدوريات تتناول نشر نتائج الأبحاث الخاصة بالدين والسلوك الدينى .

١- أنظر د. محمد أحمد بيومى .علم الاجتماع الدينى ومشكلات العالم الاسلامى ص ٦٥ .
٢- أنظر د. محمد أحمد بيومى . علم الاجتماع الدينى ، ص ١٣ ــ ١٨ .

وأرجع بعض الباحثين تأخر الدراسة العلمية للدين إلي أن الــدين يمثل الجانب " المقدس " فى حياة الأفراد والجماعات . وقد أضفى هــذا نوعين من السمو جعله بمعزل عن التفكير والبحث العلمى . بالإضافة إلي ذلك فإن فكرة الألوهية كانت عائقا أمام البحث فى موضوع الدين [١] .

[١] انظر د . على سامى النشار . نشأة الدين – النظريات التطورية والمؤلهة ص ٩
وانظر : د . محمد أحمد بيومى : علم الاجتماع الدينى ومشكلات العالم الاسلامى ص ٥٩ .

الفصل الرابع

صلة علم الدين بالعلوم الأخرى

يرتبط علم الدين بالعديد من العلوم الاجتماعية ، وهو يستخدم نفس الطرق والمداخل التي تستخدمها العلوم الأخرى .

ونستعرض ذلك في الآتي :

اللاهوت :

يذهب برجر. Peter Berger L إلى القول عن العلاقة بين علم الاجتماع الديني واللاهوت إلي أن هناك اعتقادا بين رجال اللاهوت مؤداه أن عالم الاجتماع يثير أسئلة ينبغي أن يجيب عليها رجل اللاهوت .

ويرى برجر أنه يجب رفض هذا الاعتقاد كلية ، لأنه يقوم على أساسي منهجي خاطئ ، فالأسئلة التي تظهر داخل إطار مرجعي لعلم إمبيريقي ، لا يمكن أن يجاب عليها بواسطة علم معياري .

ومع ذلك فإن بعض المداخل السسيولوجية . قد تفيد اللاهوتي في عمله .

التاريخ:

التاريخ علم اجتماعي يحمل معاني متعددة ؛ منها : تعريف الوقت، أو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل ، أو إنها العلم الذي يسعى إلي محاولة إنقاذ الحقائق الماضية من النسيان ، فهو يسعى إلي دراسة الماضي الانساني بوصفه سياقا من الأحداث والمواقف وتتابع الأحداث التاريخية

وترابطها، والدوافع التى أدت إلي حدوثها ، وهو يمثل تجــارب الماضـــى خاصة خلال المرحلة التى كانت فيها السجلات مكتوبة [١].

ويتداخل علم الاجتماع مع التاريخ ، ويرتبط به ارتباطا وثيقــا . فعلم الاجتماع فى مرحلة من مراحله كان علما تطوريا تاريخيا ، يمكن أن نطلق عليه ما يسمى بفلسفة التاريخ ، والتى تهتم بتحديد الاتجــاه العــام لتطور الانسانية ، والبحث عن المراحل المتتالية التى نمت فيها المجتمعــات منذ العصور القديمة ، ومراحل تطور هذه المجتمعات منذ كانت بدائية إلي أن أصبحت متقدمة . ومن ثم منحت هذه الدراسات التاريخ أفكار نظرية واهتماما ت لم تكن موجودة على الإطلاق فى أعمال المؤرخين [٢] .

ويعد المدخل التاريخى من أوائل طرق البحث وأهمها فى العلــوم المختلفة ، فعلم الاجتماع يحتاج فى دراساته إلي مختلف فروع التــاريخ ، فلابد من رجوعه إلي تاريخ الآداب والفلسفة والقانون والنظم والفنــون والعقائد وتاريخ التراث الحضارى (الثقافى)لأن هذه الألــوان التاريخيــة تعكس لنا تاريخ الأمم ، وتصور لنا عاداتها وتقاليدها وعرفهــا ، ومــا كانت تزاول من طقوس وعبادات .

كذلك الحال بالنسبة لدارسى الدين ، فهم لم يتجهــوا لدراســة الدين فى حد ذاته ، وفى الحاضر ، بل اتجهوا إلي النزعة التاريخية فى محاولة لتتبع أصل ونمو الأفكار والأنظمة الدينية خلال فترات محددة من التطــور التاريخى ،وكذلك دور القوى التى نازعت الدين خلال هذه الفترات .

---

[١] انظر د. عبد المنعم ماجد . مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامى وتعريف بمصادر التاريخ الاسلامى ومنهاجه الحديث ص ١٢ .

[٢] See Buy Rocher.Introduction a La Sociologic Generale 2, I , organization Social, P. 21 .

وقد خرجت أعمال سسيولوجية ذات طابع تـاريخى أسـهمت إسهاما عظيما فى فهم الصيغ الماضية للاعتماد المتبادل ، نذكر منها مؤلف ماكس فيبر" الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" عام ١٩٣٠ .

ويتمثل ذلك أيضا فى أعمال المؤرخ الاجتمـاعى "فوسـتيل دى كولانج" الذى اهتم اهتماما بالغا بالتفسير الاجتماعى للتاريخ ، والذى فى ضوئه درس النظم الاجتماعية الرومانية واليونانية القديمة . وأكد أن النظام الدينى فى المجتمع الرومانى القديم كان مرتبطا أساسا بالأسـرة وبقـوانين الميراث وبنظم الزواج والملكية والسلطة الأبوية .

علم آثار ما قبل التاريخ Archeology واللغويات

ويمكن للباحث فى علوم الدين أن يلجأ إلي الآثار والدلائل اللغوية للماضى ، حتى يتمكن من جمع المادة اللازمة لإعادة صياغة هذا الماضى . وقد ساهمت الدراسات الخاصة بالحفريات والتفسيرات اللغوية منذ القرن التاسع عشر فى تقديم نظرية واضحة للفهم فى مجال الدين ، واستخدمت كذلك لتشمل الحضارات الشرقية والبدائية .

علم النفس

هو أحد فروع وأجنحة العلم الاجتماعى يركز اهتمامـه حـول الفرد ، ويبحث فى مجال دراسة سلوك الانسان . ويقصد بالسلوك هنا ما يصدر عن الفرد من استجابات حركية أو عقلية أو اجتماعيـة عنـدما تواجهه أى منبهات .

وتتحدد مجالات هذا العلم وموضوعاته فى دوافع الفرد الداخلية ، وانفعالاته ، وحالاته الوجدانية ، ومشاعره ، وعواطفه ، كالسرور والألم

والارتياح والحزن والقلق ، وكذلك الحوافز ، وميوله الفردية ، وتفكيره وإحساسه وإدراكه وذكاؤه ، والتعرف والتعلم ، أى دراسة العقل والعمليات والاضطرابات العقلية .

ويبين علم النفس — مثلا — أن الحرمان Frustration يتسبب عنه إما الكبت depressi0n الذى يؤدى إلى عقد نفسية Imperiority Complex وأمراض عصبية أو عقلية mental Diseases ، وإما أن يتصف الفرد بصفة العدوان Agression التى تظهر فى مناقشات مع الغير ، وقد يكون التعويض replacement نتيجة للحرمان وهنا يقنع الفرد المحروم ، ويستبدل بما حرم منه شيئا آخر .

ويدرس علم النفس كذلك سيكولوجية الطفل ، والشيخوخة والنضج ، والعلاج النفسى ، واضطرابات السلوك كالإدمان ، والجريمة والجناح ، والتوافق المدرسى ، والتوجيه المهنى ، والابداع والشخصية وسماتها .

وهكذا يختلف علم النفس عن علم الاجتماع فإذا كان علم النفس يهتم بدراسة عقل الفرد أو السلوك الفردى للإنسان ، فإن علم الاجتماع يدرس تفاعل العقول ، والسلوك الجمعى ، وبعبارة أخرى فإن علم النفس يتناول الفرد ، بينما يتناول علم الإجتماع الجمع .

إن علم الاجتماع يدرس الاتفاقات — أى ما اتفق عليه أفراد الجماعة ، والتشابهات – أى ما تشابه به أفراد الجماعة . والاضطرادات– أى ما هو مضطرد وجوده عند أفراد الجماعة ، والمشاركات فى الفكر

والوجدان بين أفراد الجماعة ، مثال ذلك التقاليد والعادات الاجتماعية والأعراف والقيم الاجتماعية .

ولما وجد علماء النفس أن الانسان لا يعيش الا فى وسط بيئة اجتماعية تؤثر ويتأثر بها ، فقد اهتم الكثير منهم بموضوع تفاعل الفرد مع البيئة ، أو التفاعل بين شخصية أو أكثر ، وكذلك التفاعل بين الجماعات. ومن هنا ظهر علم النفس الاجتماعى Social Anthropology ، والذى جعل من أهم أهدافه محاولة تفسير الظواهر النفسية فى ضوء حياة الجماعة ، والذى تنصب الدراسة فيه على المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية كالمشاركة الوجدانية ، والتعاون ، والغيرية ، وغريزة التجمع ، والذوق العام ، والقيادة ،والزعامة ، وتأثيرها على المجتمعات ، وكذلك دراسة الاتجاهات ، كما يدرس طريقة نمو الذات وتفاعلها مع الذاتيات الأخرى .

ويهتم علم النفس الاجتماعى كذلك بدراسة أساليب الاتصال كوسائل لتنمية السلوك الاجتماعى . ويركز على أثر وسائل الاتصال الجماهيرية فى الثقافة على الاتجاهات والقيم .

وهكذا اقتربت وجهات النظر بين علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع ، حتى أنه يمكن القول أن علم النفس الاجتماعى يمكن اعتباره اجتماعيا إلى حد ما، طالما أن كل الظواهر النفسية تظهر فى سياق اجتماعى . فلقد أصبح هناك كثير من الموضوعات المشتركة بين العلمين، فموضوع ديناميات الجماعة يدرسه علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعى فى ذات الوقت . كذلك الحال بالنسبة للشخصية ، فهى أحد

الموضوعات التى يدرسها علم النفس ، كما أحد أبعاد الحقيقة الاجتماعية التى يدرسها علم الاجتماع .

وقد رأى علماء النفس أن المنهج التاريخى ليس كاملا ، وليس تاما لدراسة ظاهرة الدين ، ورأوا أنه لابد من سد أوجه النقص ، وإكمالها بالأبحاث النفسية . إن علم النفس يتضمن عرضا لكل ناحية أو صورة ممكن أن يأخذها الشعور الإنسانى . ومن هنا يقع الشعور الدينى فى مجال البحث السيكولوجى .

ويهتم علم النفس بدراسة ديناميات وشاعر الفرد والجماعات الدينية ، ويقوم بتحليلها ، ويؤدى هذا إلى الكشف عن حالات نفسية هى مصدر الأديان .

ويحصل الباحث النفسانى على المعلومات من العصور المختلفة ، والأماكن المختلفة ، ويستوى عنده الوثنى واليهودى والمسيحى والمسلم . ويسجل الوقائع كما تعرض على الشعور الدينى ، ثم يقوم بتحليلها وتفسيرها فى ضوء القوانين العامة للظواهر النفسية .

ويؤخذ على ذلك أن الدين ليس كله الحالات النفسية التى تتمثل فى التأثيرات والانفعالات ؛ كذلك فإن هذه التحليلات النفسية لا تعطينا جوهر الدين .

الانثروبولوجيا

علم حديث نسبيا ، استخدم منذ نصف قرن أو يزيد ، ويتميز عن المفهوم القديم للإثنولوجيا ، وكان ذلك نتيجة نشأة الانثروبولوجيا فى أحضان الدراسات والكتابات الاثنولوجية .

واصطلاح الأنثروبولوجيا تعريب للإصطلاح الانجليزى Anthropology ، وللإصطلاح الفرنسي L, Anthropologie . وهما يرجعان إلي كلمتين يونانيتين : Anthropos بمعنى الانسان ، و Logia بمعنى علم أو دراسة ، وهكذا نعنى الانثروبولوجيا علم الانسان.

وهكذا تهتم الانثروبولوجيا بدراسة الانسان فى أى زمان ومكان ، إنها العلم الذى يدرس الانسان وأجداده وأصوله منذ أقدم العصور والأزمنة حتى وقتنا هذا ، كما أنها تدرس الانسان فى أى مكان من أنحاء العالم . وهكذا لا يتقيد هذا العلم بفترات الزمان أو بحواجز المكان . ولكنه يتقيد باطار واحد هو"الانسان"فى جميع الامكنة والازمنة والعصور.

وتدرس الانثروبولوجيا الانسان من حيث هو كائن يتألف من جسم وعقل ، ويتميز بخصائص فيزيقية فى تكوينه وتطوره ونموه وتميزه عن بقية الكائنات الحية الأخرى . كما تدرسه من حيث هو كائن اجتماعى يحيا فى مجتمع ويعيش فى ثقافة .

ومن هنا صدرت عن الانثروبولوجيا فروع متخصصة منها ، انثروبولوجيا ما قبل التاريخ ، والانثروبولوجيا الفيزيقية Physical Anthropology،والانثروبولوجيا الاجتماعية والانثروبولوجيا الثقافية.

وتشترك الانثروبولوجيا مع علم الدين من ناحية أن الانثروبولوجيين يهتمون بدراسة الأديان فى المجتمعات البدائية باعتبارها تمثل عنصرا من عناصر حياتهم.كما تتشابه الانثروبولوجيا مع علم الدين من حيث أن العلمين يهتمان ببذل الجهود لتطوير نظريات وتحليلات للدين،ولكنهما يختلفان من حيث المنهج،ونوع البيانات التى لها أولية فى التحليل .

الفصل الخامس

علم الاجتماع الديني

تعتبر دراسة الدين من الموضوعات التي نالت اهتماما كبيرا من جانب علماء الاجتماع ، وامتدت تلك الفترة الكلاسيكية لعلم الاجتماع من ١٨٥٠ – ١٩٢٠ ، انجز خلالها كل من دور كايم وماكس فيبر دراساتهم الشاملة للدين [١-] .

وعلم الاجتماع يحدد نفسه بالموضوعية ، وهو يرفض ما وراء المادة ، أو دراسة الدين من خلال العاطفة الدينية . فالميل الديني للإنسان إحدى الخصائص الانسانية الفطرية المؤثرة في حياته . ولهذا لا يحاول علم الاجتماع أن يبحث في موضوع الإيمان أو التعاليم اللاهوتية . فعلم الاجتماع الديني موضوعا خاصا به . هو الدراسة العلمية للدين وتطوره، فللدين جانب مقدس في حياة الجماعة والاحساس به اجتماعيا ، لأنه لا يتضح ولا ينمو ولا يمكن القيام بشعائره إلا في جماعة . وقد أثبتت الدراسات الانتروبولوجية أن رؤساء القبائل المتأخرة كانت لهم سلطة روحية بجانب سلطتهم السياسية .

ويرى علماء الاجتماع،ومنهم دوركايم وليفي بريل وغيرهم،ان المجتمع يعني بالممارسة،فهناك قواعد تساعد على بقائه،وقواعد أخرى يجب أن لا تعمل لأنها تساعد على العكس.والقواعد الأولى تعمل على تأليه المجتمع ، والثانية تعمل على تدنيسه،والحكم عليها بأنها ليست دين .

-١ R.Robertson, The Soci0logical Interpretation of Religion, p.p7-33 .

ولهذا يمكن القول بأن الاهتمام السسيولوجى بالدين ليس مثل اهتمام الفيلسوف أو اللاهوتى المتكلم ، أو عالم النفس . وفى البدايات الأولى للتفكير فى علم الاجتماع الدينى ، نجد امتزاجا واضحا بين علم الاجتماع الدينى وتاريخ الأديان المقارن. وعند دراسة المجتمعات غير المتحضرة ، تطرق العلماء إلي الأساطير حيث تعبر عن حقائق اجتماعية . ومن ثم لا ينبغى أن نهمل الظواهر الدينية المعاصرة .

ومنذ عام ١٩٤٠ بدأت بحوث ودراسات جديدة تركز على وظائف الدين على المستوى الفرد والمجتمعى . وأصبحت النظرة إلي الدين ليس على أساس صدقه أو زيفه ، وإنما على أساس أنه ظاهرة اجتماعية -١

والظاهرة الدينية هى ظاهرة اجتماعية أولا بسبب وجودها على نمط واحد لدى جميع أفراد المجتمع . ويقول " دور كايم " :" ليست هناك ديانة شخصية مبتكرة بمعنى الكلمة ؛ لأن أكثر المفكرين استقلالا فى الرأى يستمد آراءه من الأفكار التقليدية " .

وهى ظاهرة اجتماعية أيضا ؛ لأن الظواهر الدينية ، أساطير كانت أم طقوسا ، تقوم بذاتها ، على نحو ما ، كحقيقة نسج وحدها بصرف النظر عن الأفراد الذين يعتنقونها . مثال ذلك أنه أمكن تبرير ظاهرة بعينها بأسباب شتى فى مختلف العصور ، ونعنى بها ظاهرة تقديم القربان . ومع ذلك فإن الخطوط الرئيسية لهذا الطقس الدينى ثابتة فى جميع الأجيال التى تتابع ركبها .

-١ See Moberg. Lo, The church as a social Institution, p.13
See Simmel , G , A Contribution to the Socilogy of Religion p.p1-18

وهى ظاهرة اجتماعية ، فى نهاية الأمر ، بسبب ما تتصف به من قوة القهر ، فالمعتقدات الدينية تفرض نفسها على المؤمن الذى يخضع لها ويطيعها . وهناك عقوبات مقررة لمن يتمرد عليها . وقد تكون هذه العقوبات قضائية فى بعض الأحيان (كالطرد من الدين) ، ولكنها عقوبات خلقية دائما ، حتى فى أكثر البلاد تقريرا لحرية الفرد ، كما هى الحال فى بلاد " الأنجلوساكسون " [١].

وقدم علم الاجتماع الدينى التفسير الكامل للوقائع الدينية . فهو يدرس الدين من خلال الظواهر الدينية ، ومن خلال الوظيفة الاجتماعية.والظواهر الدينية هى العقائد والطقوس . والوظيفة الاجتماعية هى التى تخضع الفرد لقواعد لن يخضع لها لو ترك إلي نفسه . وهى تفرض أفعالا تعارض قليلا أو كثيرا طبيعته . فعالم الاجتماع يهتم بالدين على أنه جانب سلوك وأنشطة الجماعة .

ويهتم علم الاجتماع الدينى بالدين باعتباره وضعا من الأوضاع الاجتماعية ، وعنصرا من عناصر السلطة ، ويلاحظ أثره فى التقدم الانسانى [٢] .

كذلك فإن الأشكال الأولية للجماعات البشرية لم تستطع أن تحقق وحدتها وتكاملها وترابطها وتضامنها إلا عن طريق عواطف صوفية تضم عناصر اجتماعية .

١- روجيه باستيد . المرجع السابق ص ١٤ .
٢- جروف سامويل . المجتمع ومشاكله ص ٢٤٦ .

ويدرس علم الاجتماع الديني كذلك مدى تأثير المجتمع والثقافة والشخصية في الدين ومصادره ، وفي مبادئه وممارساته ، وفي أنواع الجماعات التي تعبر عنه ، وأنواع القيادة .

ويهتم علم الاجتماع الديني كذلك بتأثير الدين في المجتمع والثقافة والشخصية ، وفي عمليات الثبات والتغير الاجتماعي ، وفي بناء الانساق المعيارية والرضا أو الاحباط المتصل بالحاجات الشخصية .

وفي ذلك يقول دور كايم : بأن العنصر الاجتماعي يمتزج امتزاجا شديدا بالظاهرة الدينية ، وعلى ذلك فإن علم الاجتماع الديني هو دراسة التصورات والأفعال الدينية ، إلي جانب دراسة نشأة الديانات وتطورها ، ويشتمل كذلك على المجتمعات الدينية و الأساطير والعقائد والطقوس .

وتتضمن دراسة الدين كظاهرة اجتماعية عددا من الاعتبارات نوجزها في الآتي :

١- تبتعد الدراسة السسيولوجية للدين عن الأحكام المعيارية ، فالباحث عندما يتناول الدين لا يتناوله من حيث الصدق والكذب ، النفع أو الضرر . حقيقة قد تفيد هذه المقولات في التفسير اللاهوتي أو الفلسفي، ولكن هذه المقولات المعيارية ليست من اختصاص عالم الاجتماع الديني . فالتأكيد هنا على أن دراسة الحقيقة ، ومنها الحقيقة الدينية يتطلب الحيادية والموضوعية .

والحق أن هذا يمثل مشكلة للباحث فى مجال الــدين ، ذلــك أن الدين لدى كثير من الناس شعور قلبى ، ارتبط بمشــاعرهم ، وارتبطــت مشاعرهم بطقوسه التى أصبحت مقدسة من خلال مشاركتهم فيها. ولهذا من الصعب عليهم القيام بدراسة موضوعية للأديان التى ينتمون إليها ،

ومع ذلك فإن الباحث فى مجال الدين مطالب بتقصى الحقــائق ، وعليه ينبغى أن يتحكم فى مشاعره ، ويجنبها عن موضوع بحثه .

٢- أن علم الاجتماع الدينى علم إمبيــريقى ، بمعنى أنه يتوصل إلى نتائجه فى ضوء الظواهر الــتى يدرســها ويلاحظها . فعالم الاجتماع مطالــب باختبــار أى نظرية من خلال الملاحظات الإمبيــريقية . والبيانات الدينية ، خالصة الجوانب الروحية ، والتى لا تخضــع للملاحظة أو القياس أو الوصف ، تخرج من نطــاق البحث السوسيولوجى .

وعليه ظهر فرع من فروع علم الاجتماع يطلــق عليــه علــم الاجتماع الدينى ، ويتحقق إمكانية وجوده كما يرى روجيه باستيد على أتم وجه لاعتبارين :

١- أننا نرى فى الدين ارتباط جماعة إنسانية بالله.حقا أن العاطفة الدينية عاطفة إنسانية قبل أن تكون عاطفة اجتماعية . إلا أنها لا تنمــو وتتحقق إلا إذا تجسدت فى هيئة دينية ، واعتنقها جمهرة إنسانية تشترك فى الأخذ والتسليم بمقتضيات الفكرة والعقيدة، وراعت طقوسها ومراسيمها،

وقامت بموجبات عباداتها . ومن هنا نلتمس طابع الترابط الجماعى فى المجال المقدس ، الذى هو جوهر النظام الدينى ومحل التدين .

وقد أكد هذا المعنى دولا جراسرى ، إذ يقول أن كل ديانة تجمع بين الأحياء والأموات ، وبين المؤمنين وآلهتهم فى مجتمع فسيح ترجع دراسته إلي علم الكون .

ويدرس علم الكون هذه الآلهة والتى تعد أشياء موضوعية أى عقدها كائنات ، وما بينها من علاقات سواء أكانت علاقات محبة ، كما هو الحال فيما يتعلق بايزيس وأوزوريس ، أم كانت علاقات كراهية كالحروب بين الآلهة والعمالقة [1] .

٢- أو إجماع جماعة انسانية على عقائد معينة ومشاركتها فى طقوس خاصة فالجماعة الانسانية تتفق على عقائد معينة ، وتؤثر هذه العقائد على السلوك الاجتماعى تأثيرا بالغا ، وتمد عالم الاجتماعى ببيانات لا يمكن تجنبها . كذلك فإن الجماعة الانسانية تشارك فى الطقوس الخاصة بها . ولما كان علم الاجتماع هو علم دراسة الجماعة الانسانية، فقد أخذ يهتم بالدين على أنه أحد المقومات الأساسية للجماعة الأنسانية.

وحيث أن العاطفة الدينية لا تنمو إلا باتحاد عقيدة المؤمنين ، فكل مذهب صوفى يتجسد فى هيئة ، أو فرقة ، او طائفة ، أو حركة ، أو خلية. وهذه جميعا جماعات إنسانية . ويهتم عالم الاجتماع بدراسة بناء ووظائف هذه الجماعات لمعرفة كيف تخضع هذه الجماعات الدينية للقوانين الاجتماعية المنظمة لحياة الجماعة عامة .

---

[1] روجيه بلستيد . المرجع السابق ص ١١ - ١٤ .

ويهتم علم الاجتماع كذلك بتتبع تأثير هذه الجماعات الدينية ليس فقط على أعضائها ، بل أيضا على الأعضاء الآخرين فى المجتمع والجماعات الأخرى وهذا يعنى أن الجماعات الدينية لها تأثيرات واضحة على سلوك الناس ، مثلها فى ذلك مثل الجماعات الاجتماعية الأخرى . وتتمثل هذه الجماعات فى الفرق والطوائف والحركات والخلايا . كما يهتم بدراسة العلاقة بين الجماعات الدينية كلية ، والجماعات والطوائف الأخرى غير الدينية . ويدرس كذلك الأدوار التى لعبتها الأديان على مر العصور . ويهتم كذلك بدراسة العلاقة بين الدين والنظم الاجتماعية ، كالعلاقة بين الدين والأسرة ، والدين والنظام الاقتصادى ، والدين والدولة ، والدين والنظام السياسى ، والدين والتكنولوجيا ، ذلك أنه لا يمكن فصل الدين عن باقى أنظمة المجتمع [١] .

وينظر علم الاجتماع الدينى الي الحقائق الدينية نظرة موضوعية objective ، ويبتعد عن النزعة الشخصية Subjectinve، والأحكام المعيارية. والحق أن هذا يمثل مشكلة للباحث فى هذا الميدان . فالدين لدى الناس هو إحساس قلبى ، أو ارتباط بمشاعرهم . وقد ارتبطت مشاعرهم بطقوسهم من خلال مشاركتهم فيها . ومع ذلك فإن الباحث فى هذا المجال ينبغى عليه أن يتقصى الحقيقة ، وأن يتحكم فى مشاعره ويجنبها عن موضوع بحثه .

١- Dynes,R.R.,Towards The Sociology of Religion Sociology and Social Research,P.P.227- 237

وانظر د. على سامى النشار . المرجع السابق ص ١١

وانظر د. محمد أحمد بيومى . علم الاجتماع الدينى ص ٦٣ .

ومعنى ذلك أن تعالج الظواهر الدينية كنظم اجتماعية لا من حيث مصدرها ، ولكن من حيث أثرها فى الحياة الاجتماعية ، وتأثيرها فى حقبة النظم الاجتماعية الأخرى . وينبغى على الباحث فى مجال علم الاجتماع الدينى أن يتوصل إلى نتائجه فى ضوء الملاحظة ، ويبتعد عن الجوانب الروحية التى لا تخضع للملاحظة أو القياس أو الوصف .

وهناك عدة افتراضات سوسيولوجية تدور حول طبيعة الانسان أولها : أن الانسان كائن بيولوجى ، مخلوق له دوافع فسيولوجية وله حاجات وإمكانيات وحدود . التأثيرات الاجتماعية للجماعة موجهة ومحدودة بالعوامل البيولوجية . والدين بطبيعة الحال ، أحد العوامل الرئيسية التى تحاول تعديل أو تهذيب الطبيعة البيولوجية للانسان . فالجماعات الدينية المختلفة ، على سبيل المثال ، لها مداخل ووجهات نظر نحو الدافع الجنسى عند الانسان . وطالما أن الناس تمتثل لهذه التعليمات سواء المسموحات أو المحرمات ، فإنهم سوف يختلفون فى شخصياتهم وقيمهم واتجاهاتهم .

ويتميز الانسان كذلك بقدرته على استعمال الرموز وابتكارها.فالانسان لديه قدرة على إضفاء معان معينة على الأشياء والأصوات والكلمات والأفعال . وهذه المعانى ليست قائمة فى الاشياء ولكنها من خلق الانسان نفسه ، وبخلق الاجماع حول تلك المعانى تستطيع الجماعات أن تتصل وتكتسب المعرفة . وباستخدام اللغة وهى عملية رمزية ، استطاع الانسان أن يتعامل مع المفاهيم المجردة والمشاعر الانسانية مثل الحب والعدل والمساواة ... الخ . والحق أن هذه القدرة على

التعبير عن المعانى رمزيا هى أحد العوامل الدينية التى ساعدت على ظهور مختلف الجماعات والثقافات والايديولوجيات خلال التاريخ الانسـانى . وليس هناك نشاطا انسانيا لا يحتوى بطريقة مباشرة أو غـير مباشـرة ، أفعالا رمزية ، سواء فى السلوك التعليمى أو الانتخابى أو الدينى . والدين فى حقيقته يحتوى على العديد من الرموز ، وهناك كثير من الأنشطة التى لا يمكن أن تفسر الا رمزيا . فالاله والجنة والنار والخـلاص والشـيطان والملائكة ..كلها معانى ومفاهيم دينية تأخذ شكل رموز معينة لدى مـن يؤمن بها . ويمكن القول كذلك ، أن الحقائق الدينية التى أخذت شـكل رسالات سماوية أو وحى عن طريق رسل معينون ، هذه الحقائق عبر عنها أو ترجمت باللغة الإنسانية ، واللغة ما هى إلا رموز.

والانسان لا يصبح إنساناً إلا عندما يعيش فى جماعة أو جماعات ، فشخصية الرجل تختلف عن شخصيته فى مرحلة طفولته وهذا راجـع الي التأثيرات الناجمة عن عمليات التنشئة. والدين أحد هذه العمليات المتصلة بالتنشئة والتى تؤثر على كل فرد سواء ولد فى أسرة متدينة أو نال قسطا من التعليم الدينى . فالدين يؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشـرة فى كـل أنظمة المجتمع ، حتى الانظمة العلمانية فيه .

كذلك فإن السلوك الدينى – مثله مثل أى سلوك اجتماعى آخر ، يحاول حل مشكلة ما . فالصلاة والذهاب الي دور العبادة ومراعاة الحدود الدينية وكل الانشطة الدينية الاخرى تساهم بطريقة معينـة نحـو حـل مشكلة ما موجودة أو متوقعة . فالناس ينشغلون بالانشطة على اعتقـاد منهم بأن هذا سوف يحل مشاكلهم .

ويؤكد علماء الاجتماع على أن الظواهر الاجتماعيـــة ، داخـــل جماعة معينة أو داخل مجتمع ، تعتبر متداخلة ، أى أن الظواهر الاجتماعية تتفاعل بصفة مستمرة مع بعضها البعض ويتفاعل الدين ، بطريقة دينامية، مع كل الظواهر والعمليات الاجتماعية . ومن ناحية أخرى ، يتأثر الدين بهذه العمليات والظواهر الاجتماعية فالدين يؤثر ويتأثر ، فهـــو مـــتغير مستقل وتابع فى نفس الوقت . والحق أن هذا التأثير المتبادل بين الـــدين والظواهر الاجتماعية هو أحد الاهتمامات الرئيسية فى علـــم الاجتمـــاع الدينى .

الفصل السادس

نشأة علم الاجتماع الديني واتجاهاته

ميز روبرت بيلا R.Bellah بين اتجاهين أساسيين أثرا بشكل واضح في التطور التاريخي لعلم الاجتماع الديني.وهذان الاتجاهان هما:الاتجاه العقلاني Rationalist.والاتجاه اللاعقلاني Nonrationalistالذي ظهر كرد فعل للاتجاه العقلي.وكل من الاتجاهين له جذوره في تاريخ الفكر الغربي[١].

ومؤدى الاتجاه العقلي أن كل ما هو لا عقلي لا يمكن دخوله تحت حدود التحليل العقلي ، ولكن ينبغي النظر إليه باعتباره مؤثرا على السلوك الانساني . فالمبادئ المنافية للعقل في الدين جاءت إلي الوجود بسبب بعض رجال الدين ومغالطتهم المتعمدة .

ويعد جان جاك Rosseau وإيمانويل كانط Kant من المشايعين لفكرة وجود دين معقول متميز عن أي عقيدة تاريخية .

أما التراث اللاعقلي ، فقد تطور أساسا في المانيا . ويعتبر الدين مستقل بنفسه وقائم بذاته Sui-generirs . ومن أشياعه هردر G. Herder ، فقد ذهب إلي أن الدين يقوم على التجربة الخاصة والمشاعر بدلا من العقل. ويرى شلاير ماخر F.Schleirmacher أن الدين لا ينظر إليه على أنه نوع من الفلسفة الجافة أو على أنه نسق أخلاقي بدائي " ، ولكنه حقيقة بذاته . فالدين عنده ليس قائما في المعرفة ولا في العقل،ولكن في المشاعرFeelings.وهو مستمد أصلا من الاحساس بالتبعية المطلقة.

١-

S .Bellah, Religion The Sociology of Religion,International Encyclopaedia of Social Science. P.p406-413 .

وفى ضوء هذا فإن هردر وشلاير ماخر يرفضان أى فهم عقلى للدين ، ويعارضان البحث عن دين طبيعى عالمى يتميز بأن يحمل فى ذاته دليل عقلانيته .

وأولى شارل دى مونتسكو(١٦٨٩-١٧٥٥) اهتماما كبيرا بوظائف الدين الاجتماعية والأحوال الاجتماعية التى تسير أو تعوق نمو أديان بعينها .

وطبع أوجست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧) علم الاجتماع منذ بدايته بفلسفته الوضعية ، واحتل قانون الحالات الثلاث Law of Three Stages – الذى قال به – مكانة بارزة فى الفكر السسيولوجى . ويشير هذا القانون إلى تطور الفكر الانسانى من خلال مراحل ثلاث هى : المرحلة اللاهوتية ، ثم المرحلة الميتافيزيقية ، وأخيرا المرحلة الوضعية .

وبانتقال العقل إلى أفكار ميتافيزيقية ، يتوصل الفكر الانسانى إلى أن الطبيعة من أهم الأسباب المفسرة لكل الظواهر . وأخيرا يتوصل الفكر الانسانى فى مرحلة ثالثة إلى التفكير العلمى أو الوضعى لكل العمليات الفكرية .

وتعمل الفلسفة الوضعية على معاملة الحقائق الاجتماعية باعتبارها أشياء حتى تبدو الموضوعية ، وتقع كل الظواهر الخاصة تحت الحقائق الكبرى ، مما يؤدى إلى التوصل إلى تعميمات إمبيريقية ، وقوانين تفسر المجتمع وظواهره،وذلك مثل قانون الجاذبية الذى يفسر العديد من الظواهر.

ويحكم المجتمع نوعان من القوانين ، القانون الأول خاص بقوانين الاستقرار الاجتماعى Social Statistic ، والقانون الثانى خاص بقـوانين التغير الاجتماعى Social Dynamique . والتفكير الوضعى هو الذى يفسر الظواهر بالقوانين التى تحكم عملها .

مدخل انثروبولوجى :

وقصر ليفى بريل دراسته على وصف طريقة البدائيين فى التفكير . ويقول: أن البدائى له نفس الأعضاء الحسية التى توجد لدينا . وهو يدرك ظواهر الطبيعة كالرجل المتحضر تماما . ولكن سرعان ما تنطوى هـذه الإدراكات فى حالات شعورية معقدة تغلب عليها العواطف ذات الطابع الدينى . فالتفكير الدينى تفكير صوفى قبل كل شئ [١] .

وأثرى دوركايم علم الاجتماع الدينى . وحاول أن يبحث عـن أصل الدين ، وذلك بتحليل الدين فى أكثر المجتمعات البدائية . والـدين بالنسبة لدور كايم يجب أن يدرس كحقيقـة اجتماعيـة Social Fact أو كشئ athing وفى كتابة"الصور الأولية للحياة الدينية " فرق بين ما هـو مقدس ، وما هو غير مقدس . والأشياء المقدسة لأى نسق دينى هـى فى الحقيقة رموز للمجتمع الذى يمارس هذا الدين .

ويفسر هذا أن الشعوب التى تعيش حياة بدائية تحيا حيـاة شـبه جماعية. وعندما تجتمع فى مناسبات معينـة يقـوى هـذا الاحسـاس الجمعى.وبتكرار هذا الاحساس فى المناسبات يصبح نوعا من الشـعائر ، ويأخذ فى ذهن المشاركين شكل القـوى المقدسـة. وتـنعكس هـذه

---

[١] انظر روجيه باستيد . مبادئ علم الاجتماع الدينى ص ص ١٥ – ١٦ .

الاحاسيس الناجمة عن تأدية الشعائر على الموضوعات التى أصبحت ذات طبيعة مقدسة ، وتضفى نوعا من الخشوع الدينى فى مواجهـــة القـــوى الغامضة .

ويؤكد دور كايم أن الجماعة الاجتماعية هى المسئول عن تكوين الدين والأخلاق ، والتعبير عن ذلك رمزيا . فالدين خاص بجماعة معينة ، وعندما تتغير هذه الجماعة يتغير الدين أيضا .

ويرى دور كايم أن الدين من الناحية الوظيفية يسند ويدعم البناء الاجتماعى ، ويمنع الانحراف ، ويحدد مجريات التغير ، وذلـــك بإعطـــاء سلطة مطلقة ومقدسة للقواعد والقيم الثابتة للجماعة .

ويرى دور كايم أن نمو المجتمعات فى الحجم وفى الاحتكاك المتبادل وتقدم العلم والتكنولوجيا يجعل الناس يميلون إلي الانتقال من عبادة طوطم القبيلة أو أرواح الاسلاف أو آلهة المدينة أو القبيلة إلي مفهوم الإله الواحد الذى يحكم كل الخلق .

المدخل التاريخى :

اتبع العلماء الأوروبيون هذا المنهج من منتصف القرن التاسع عشر إلي الحرب العالمية الأولى . وهو منهج يأخذ بمبدأ التطور كمبدأ أساســـى لتفسير الظواهر .

ومن أنصار هذا الاتجاه ماكس فيـــبر(١٨٦٤-١٩٢٠)،ولـــد فى ألمانيا.وترك مقالات فى علـــم الاجتمـــاع الـــدينى،وألف فى الأخـــلاق البروتستانتية،وروح الرأسمالية.ودرس الظروف التاريخية التى أدت إلي ظهـــور الرأسمالية فى أوروبا وأرجعها إلي البروتستانتية خاصة الكلفنية Calvinism .

فقد أكدت الأخلاق البروتستنتية على فردية الانسان ، وحريته ، ومسئوليته أمام الله أعلى من أمام أقرانه. والعمل عند البروتستانت له قيمة فعلية. وتلك سمات تتوافق مع خصائص الرأسمالية . أما فى بلاد مثل الصين فإن الرأسمالية لم تتطور لأن التوجيه الروحى لم يكن مناسبا لظهور خصائص الرأسمالية الحديثة .

وقد عارض فى مقالته الشهيرة عن" الأخلاق البروتستانتية " كارل ماركس ، واعتبر موقفه ليس صحيحا ، ففى أمثلة كثيرة نجد أن قاعدة السلوك فى دين معين تتغير قبل النسق الاقتصادى نفسه . فالأخلاق البروتستانتية سبقت ظهور الرأسمالية . وضرب فيبر مثالا آخر ، حيث استقرت التطهرية Puritanism الانجليزية فى القرن السابع عشر فى أمريكا واشتغلت بالمشروعات الرأسمالية .

واهتم ماكس فيبر بالرأسمالية الحديثة التى لا تعتمد على الدولة إلا فى حماية القانون والنظام الذى يسمح للرأسمالية بالعقلانية فى السلوك التجارى .

ولقد كان رواد الرأسمالية الحديثة أكثر تحمسا فى اتجاهاتهم نحو الأخلاق وإتباع القيم الدينية فى أعمالهم ، وينظرون إلى ثرواتهم على انها هبة ونعمة من الله منَّ بها عليهم [1] .

---

[1] انظر د. محمد أحمد بيومى . علم الاجتماع الدينى : ص ١٢٥ .

المدخل البنائي الوظيفي :

ينظر أصحاب هذا الاتجاه الي الدين باعتباره أحد أجــزاء الكــل الاجتماعي الذى يتميز بالتفاعل بين أجزائه،والدين بهذا المعنى،هو مجموعة من العقائد والممارسات يحاول الناس من خلالها التكيف مع بيئتهم . كما يهتم أصحاب الاتجاه بفحص البناء الديني والتركيز علي الأجزاء المكونــة وارتباطها . واتفقوا على أن للدين ثلاثة أنساق متداخلة ، وهي :

١- النســـق الفكـــرى أو الاعتقـــادى
. Intellectuel System Or System Of Beliefs

٢- نســق الفعــل أو الشــعائر والطقــوس
. Action System Or System Of rites & Ceremonies

٣- النسق المجتمعــى أو النســق التفاعــل الاجتمــاعى
.Communal Or Social Interaction System

ويحتوى الدين على وظائف عامة مثل تفسير الشــر ، المــوت ، الظلم ، المعاناة ، تدعم المعايير الاجتماعية ، تقــدم إجابــات روحيــة لاهتمامات الانسان المطلقة ، كما يساعد الدين على ربط الضغط الناتج عن فشله في ضبط بيئته ، مع قدرته علــى توقــع المســتقبل ، وتخيــل الحكومات الفاضلة .

الباب الثالث

الدين والمجتمع

الفصل السابع

الدين والعامل الجغرافى

يقصد بالعامل الجغرافى كل ما يتعلق بالمنطقة التى يشغلها أفـــراد المجتمع من حيث التكوين والموقع وسطح الأرض ، وما فى باطنـــها مـــن مصادر الثروة الطبيعية ، وتوزيع الأرض ، والمياه ، والجبال ، والسهول ، والمواد المعدنية، وجميع القوى الكونية والجاذبية والكهربية الاشعاعية التى تعمل فوق الأرض ، وكذلك المناخ السائد فى الإقلـــيم الـــذى تشـــغله الجماعة من حرارة وبرودة وأمطار وجفاف ، وقد لعبت هذه العوامـــل جميعها دورا أساسيا فى حياة الأفراد ، وكذلك المجتمعات منذ فجر قيامها، وشكلتها إلى حد ما وفقا لمقتضياتها لاسيما فى العصور الحديثة .

وللعامل الجغرافى تأثير فى حياة المجتمع ، فأنشطة وحياة المجتمعات تختلف بإختلاف الظروف البيئية والجغرافية . فها هو هيرودت يقول : بأن مصر هبة النيل . وتناول ابن خلدون تأثير الحر فى الديانة . قال فى المقدمة الثالثة : " إن المعمور من هذا المنكشف من الأرض إنما وســطه لإفـــراط الحر فى الجنوب منه ، والبرد فى الشمال ... لهذا كانت العلوم والصـــنائع والمبانى والملابس والأقوات والفواكه ، بل والحيوانات وجميع ما يتكون فى هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر أعدل جسما وألوانا وأخلاقا وأديانا... أما سكان الأقاليم البعيدة من الاعتدال ، فهم متوحشون يقرب عرض أمزجتهم وأخلاقهم من عرض الحيوانـــات العجم ويبعدون عن الانسانية بمقدار ذلك، وكذلك أحوالهم فى الديانـــة

ذلك، وكذلك أحوالهم فى الديانة أيضا ، فلا يعرفون نبوة ولا يـدينون بشريعة إلا من قرب منهم من جوانب الاعتدال.

ان الحياة والبيئة أمران متلازمان ، حيـث تتكـاثر الجماعـات الإنسانية ، وتتكاثر — مثلا — فى وديان الأنهار بسبب خصوبة الأرض ، وبالتالى الحصول على المواد الغذائية . ولقد كانت وديان الأنهـار منـذ الأزمنة السحيقة ، كوادى النيل والفرات مهدا للحضارات والانسانية .

وكل اختلاف فى البيئة يعنى اختلاف فى العـادات وفى أسـلوب الحياة ، إذ تتأثر الجماعة بالبيئة الطبيعية التى تعيش فيها .فمثلا اكتسـب أفراد الجماعة الذين يعيشون فى وسط طبيعي معين تكيفا مع هذا الوسط بحيث لا تستطيع سكان منطقة أخرى أن يعيشوا فيه .

وتؤكد المشاهدة العامة أن الناس يختلفون فى القرية عن المدينـة، وفى حالة احترافهم الزراعة عنه فى حالة احترافهم الصـناعة . وحيـث السهول توجد الزراعة ، وحيث المروج توجد المراعى ، وحيث المنـاجم توجد الصناعة .

وتختلف حياة سكان الجبال عن حياة سكان السهول والوديان . فالجبال تؤدى إلي تواجد الجماعات الانسانية فى نطاق ضيق . ولا توجد إلا نسبة ضئيلة جدا من الجماعات الانسانية تعيش على ارتفـاع ٥٠٠٠ قدم . والجماعات الجبلية تمتاز بأنها محافظة ، وأفرادها عادة قصار النظر ، ويعيشون فى عالم محدود . وهم يمتازون بالشجاعة ، والكرم ، والتمسك بالعصبية ، وبالقوة والصبر ومتانة الأعصاب .

كذلك تختلف حياة سكان المناطق الحارة عن حياة سكان المناطق الباردة ويمتاز سكان المناطق الساحلية بالنشـاط والإقـدام والرغبـة فى الاحتكاك بالغرباء ، كما يمتازون بسعة الأفق .

أما المناخ ، فقد اتفق العلماء منذ زمن بعيد على حقيقة مؤداها أن هناك علاقة بين المجتمع والأفراد وبين الظروف الفيزيقية والمناخيـة الـتى يعيشون فيها. فها هو أرسطو Aristotle وصف سكان أوروبا الشـمالية بأنهم نشطون ، لكن ينقصهم الذكاء والمهارة ، وذلك بسـبب المنـاخ البارد . أما سكان آسيا فهم أذكياء قادرون على الاختراع والابتكـار ، ولكنهم أقل حركة ، ومن ثم ظهرت العبودية .

وظهر مونتسكيو فى القرن الثامن عشر، وأكد أن الذين يعيشـون فى مناخ بارد يتسمون بالشجاعة ، ونشاط العقل والجسم ، بينما تقلـل درجة الحرارة المرتفعة من الشجاعة [1].

وقدم الجغرافى الأمريكـى هنتنجتـوت (١٨٧٦-١٩٤٧) [2]. أفضل برهان على دور المناخ فى نمو الحضارات العظيمة. وأكد أن المناخ الأكبر ملاءمة لنشاط الانسان يتطلب اعتدال درجة الحـرارة ، وأيضـا سقوط كمية عادية من الأمطار ، وهبوب رياح متوسطة باستمرار .

وفى هذا المكان نتناول أثر العامل الجغرافى فى الحياة الدينية . قال فريزر [3] " اننا على ثقة بان الديانة قد تأثرت بالمحيط الطبيعى اكثر مـن كل نظام اجتماعى " . وما علينا لاثبات ذلك سوى ان نلقى نظـرة إلى

---

(1) A.W.Green ,Sociology , AnAnalysis of life in Modern Society , P.8

(2) ما كليلاند \ دافيد . مجتمع الانجازات. الدوافع الانسانية للتنمية الاقتصادية ص ٢١ .

(3) يوسف باستيل شمت . علم الاجتماع الدينى ص ١٣٠ وما بعده .

مختلف الأساطير الدينية لنرى أن أساطير الأمم التى تسكن الساحل تخالف أساطير التى تقيم بداخل البلاد،وأن الأساطير التى تعيش فى الاقاليم الحارة تخالف الأساطير التى تعيش فى الأصقاع الباردة.ويقول كرابير (Krappert):"اننا لا نستطيع ان نتفهم تماما الأساطير الجرمانية ما لم نطلع على الأحوال الجغرافية من جبال وغابات وبحار وثلوج وزوابع ..."

ويرى موره ان الخرافات التى تدور حول المعارك بين ست وأخيه أزريس فى الأساطير المصرية ليست إلارمزا للعراك بين النيل والصحارى القاحلة . وتدل التقاليد على أن موت ازريس يكون وقت هبوط مياه النيل،حين تهب رياح محرقة من الصحراء جارفة معها أوراق الشجر ...(النيل والحضارة المصرية:ص ١٠٣).وهناك أمم كثيرة قد عبدت عناصر الطبيعة والسيارات حتى أن المؤرخ دىلابورت لا يحجم عن الجزم بان الأشوريين قد ألهوا جميع قوى الطبيعة وشتى قوات الخير وكل الأجرام السماوية ...

وقد تنبه مونتسكيو لهذا العامل فقال :" ان الديانة المؤسسة على المحيط الجغرافى لا تنتشر فى بلاد تخالف فى طبيعتها الجغرافية البلاد التى وجدت فيها هذه الديانة ، ويبدو أن المناخ هو الذى وضع الحد الفاصل بين الديانة المسيحية والديانة الاسلامية ." وهذا ما ذهب اليه أيضا محمد حسين هيكل اذ ذكر : " أن المسيحية وما تدعو اليه من زهد فى الحياة واعتزال العالم ومن العفو والمغفرة ومن المعانى النفسانية السامية ليست مما يلائم طبيعة الغرب الذى عاش ألوف السنين على دين تعدد الآلهة والذى يدعوه مركزه الجغرافى إلي حياة الكفاح لمقابلة الزمهرير والضنك وسوء الحال . فإذا قضت الظروف التاريخية عليه بان يعتنق المسيحية فلا مفر من

ان يسبغ عليها ثوب الكفاح وأن يخرجها بذلك عن طبيعتها السمحة الجميلة ... ولو أن المسيحية كانت تلائم غرائز الكفاح التي تنشأ بحكم الطبيعة كجزء من حياة أهل الغرب لرأيتهم وقد شعروا بعجز الفكرة المادية عن ان تلهمهم المدد الروحي يعودون الي الدين المسيحي الجميل دين عيسى بن مريم ان لم يهدهم الله الي الاسلام . "

وإذا تغير المناخ – مثلا – فى منطقة من المناطق فإن الإنتاج الزراعي والصناعي والتجاري والنشاط البشرى يتغير تبعا لذلك ؛ إذ يحاول السكان أن يكيفوا أنفسهم طبقا للتغيرات المناخية الجديدة .

وفى هذا الخصوص يحكى عالم الاجتماع الفرنسي مارسيل موس[1] Marcel Mause وهو من أتباع إميل دور كايم ، عند دراسته لقبائل الاسكيمو، أن مجتمعات الاسكيمو يختلف توزيع مساكنهم تقاربا أو تباعدا مع فصول السنة ، ففى الشتاء تكون المساكن متقاربة حتى تغدوا أحيانا بيتا واحدا يقطنه عشر او أكثر مع أن البيت يؤدى نصف هذا العدد عادة . فكثافة السكان شديدة فى الشتاء ، وعلى خلاف ذلك فى الصيف إذ تتغير الخيام ويتوزع معها الأفراد وتقل كثافتهم . ويرافق الشتاء جمود واستقرار ، وتشتد فى الصيف الرحلات البعيدة القاسية .

ومن هنا نشأ فى الاسكيمو شبه ديانتين : الأولى شتوية تحتدم فيها العواطف الدينية ، ويبدو فيها ، تجمهر الأفراد وتحمسهم ، وتقام فيها الحفلات الدينية الكبرى . والثانية صيفية ، أو على الأصح ليس للصيف

---

(١) د . عبد الكريم اليافى . علم السكان ص ١٣

ديانة أظهر ما فيها أنها فردية خالية من الحفلات ، إلا ما يكون من عبادة فى الأسرة ومن حفلات الولادة ومآتم الموت ، ومن تجنب لبعض النواهى. ويتبع ذلك كله اختلاف فى جوانب حياتهم الاجتماعية سواء فى نظـــام الأسرة ونظام الثروة والشئون الإدارية العامة .

مما سبق يتبين أن للعامل الجغرافى أثر فى الحياة الدينية غير أنه أخذ يفقد من أهميته من يوم ما استطاع الانسان آن يملى إرادته على الطبيعـــة بعد ان كانت الغالبة القاهرة فى فجر الانسانية . فمن أراض جرداء قاحلة أجرى فيها الأنهار وحولها الي جنات ، ومن مستنقعات كـــبيرة جففهـــا وحولها الي أراضى يابسة صالحة للسكن ، وقد خفف من وطـــأة الحـــر والبرد بفضل المستحدثات الكثيرة . فطأطأت الطبيعة رأسها وسلمت اليه زمام أمرها صاغرة ليستغل كنوزها كما يشاء . وهذا ما دعا لوسيان فابر صاحب "النظرية الامكانية " فى الجغرافيا البشرية إلي القول أن الانســـان أصبح آمرا بعد ان كان مأمورا فى بيئته الإقليمية .

هذا ، وقد أظهرت الجغرافية البشرية كثيرا من أخطاء السلف فى محاولتهم تفسير بعض الحوادث الاجتماعية عن طريق العامل الجغـــرافى . فكيف تنسب ديانة " البوشيمان " الي غابات الكونجـــو اذا علمنـــا أن أصلهم من السواحل ؟ وهناك عدد عظيم من القبائل ابتعدت جدا عـــن مكان نشأتها الأولى من جراء الحروب ، اذ اضطرتها بعض القبائل القويـــة الي الاجلاء عن أماكنها ، والرحيل عنها الي اقطار جديـــدة . ويـــذكر الرحالة ويس دونان(Wyss Dunant)ان قبائل الاسكيمو قد ارتحلت شيئا فشيئا عن الغرب الي الشرق ، فتنقلت من خليج هودســـون الي ســـان

لوران. ثم اضطرتها الهنود الحمر الي الانسحاب نحو الشمال لتعيش فى أصقاع الحياة القطبية . (ص ١٣٢) فإذا تناول أحدنا هذه القبائل بالبحث وحاول درس ديانتها وأساطيرها بالنسبة الي موقعها الجغرافى الحاضر و لم يتنبه للهجرة المذكورة آنفا التبس عليه فهم عدد كبير من أمورها وعقائدها المكتسبة اثناء هذا الرحيل البطئ .

وفضلا عن ذلك فإن للديانة أيضاً اثرها فى المحيط الجغرافى من جراء التحريمات والتحليلات التى تفرضها على المؤمنين بها . فالكروم مثلا قد انتشرت وازدهرت فى كل الاقطار التى تدين بالنصرانية لان الخمر من الاشياء الضرورية فى ذبائحها . أما الاسلام فتحريمه الخمر قد قضى على هذه الصناعة فى أقطار كانت تعد بحق منبع الخمرة – مصر وافريقيا الشمالية – فأهملت من جراء ذلك الكروم .

وهكذا يتبين تنازع العوامل فى حياة الانسان : فالخمر قد حرمت لأن تعاطيها مضر فى البلاد الحارة ، فأثر العامل الجغرافى فى الديانة. ثم أهملت صناعة النبيذ على انتشارها القديم فى الأقطار العربية ، وأهملت معها الكروم فأثر بدوره العامل الدينى على العامل الجغرافى .

الفصل الثامن

الدين والمجتمع

المجتمع هو الموضوع الرئيسى فى علم الاجتماع ، حتى أن بعض العلماء يعرفون علم الاجتماع بأنه علم المجتمع ؛ . فيدرسون المجتمع وشروط بقائه ويكشفون الستار عن انسيابه ، والتفرق ، والتغير ، وما يترتب على ذلك كله من نتائج على الأفراد ، وما يظهر على سلوكهم بسبب تفاعلهم المستمر .

ويعتبر علماء الاجتماع المجتمع اجتماعا منظما ينشأ تلقائيا ، وله نظمه وأوضاعه ، وله أغراضه العامة ، وقائم بصفة مباشرة. فالكائنات الاجتماعية أو الناس فطروا على أ ن يعبروا عن طبيعتهم بأن يخلقوا ، وأن يدأبوا على أن يخلقوا نظاما من شأنه أن يوجه سلوكهم ، وأن يضبطه بضوابط لا حصر لها . ووظيفة هذا النظام أن يطلق نشاط الناس ، وفى الوقت نفسه يحد منه . إنه يضع مقاييس للسلوك عليهم أن يتبعوها وأن يحافظوا عليها .

فهاهو ماكيفر وبيج Maciver Page فى كتابهما " المجتمع Society" يريان أن المجتمع عبارة عن نسق مكون من العرف المنوع والاجراءات المرسومة ، ومن السلطة ، والمعونة المتبادلة ، ومن كثير من التجمعات والأقسام وشتى أوجه ضبط السلوك الإنسانى والحريات . ونحن نطلق على هذا النسق المعقد اسم " المجتمع " .

ويستبين من ذلك أن ماكيفر.وبيج قد أبرزا بصفة خاصة القواعد التى تصب سلوك الناس فى قوالب محددة ، وقد تخليا عن فكرة ارتباط

الثقافة بالمجتمع ، لأنهما يعتقدان أن موضوع علم الاجتماع دراسة المجتمع، وليس دراسة الثقافة . فإذا حدث وكان لابد من التعرض للثقافة ، فإن هذا التعرض يكون فى الحد الأدنى اللازم لتوضيح الحقيقة الاجتماعية موضوع الدراسة [١] .

ومن العلماء من يرى أن كلمة "مجتمع "يجب أن تقتصر على المجموعة التى يجمع بينهما وحدة ثقافية Cultural Gr0up تميز مجتمعا عن مجتمع آخر . ومادام المجتمع هو اجتماع منظم أو وحدة ثقافية ، فمن الضرورى أن يتدخل العقل والإرادة لتنظيمه وتقرير أوضاعه وفقا لاتجاه العقل الجمعى ، وما يرتضيه شعور الجماعة .

واتجه فريق آخر إلى تعريف المجتمع على أساس العلاقات التى تنشأ بين مجموعة من الأفراد يعيشون معا ، وتجمعوا فى هيئات أو اتحادات لها تركيب معين ، وبداخلها يتفاعل الأفراد ، وتقوم على الادراك المتبادل .

ومن العلماء من عرف المجتمع فى ضوء العمليات الاجتماعية كتآلف الأفراد وتعاونهم ، وما يقوم بينهم من تعاون وتنافس وصراع .

ويرى بعض العلماء أن المجتمع هو أكبر جماعة إنسانية ينتمى إليها الفرد . وهو يشمل كل الجماعات الاجتماعية الفرعية التى ينظمها الناس، ويتكون من السكان ، والمكان ، والتنظيم ، والمصالح .

وتستخلص من ذلك أن المجتمع هو عدد من الجماعات ، أو مجموعة من الناس يقيمون فى منطقة جغرافية معينة ، ويعيشون تلقائيا لفترة دائمة نسبيا مما ينجم عنه تفاعل اجتماعى وعلاقات اجتماعية ينشأ

---

[١] د. محمد عاطف غيث . تطبيقات فى علم الاجتماع . ص ص ٦-٧ .

عنها وجود جماعات ومنظمات ومؤسسات . وبحكم الجيرة والروابط الانسانية أصبح لهؤلاء الأفراد وحدة ثقافية تتمثل فى العادات والتقاليد والأعراف والقانون ، والآثار المادية المتبقية على مر الزمان ، أو التى تتعدل أو تختفى ، وهى تميز مجتمعا عن مجتمع آخر . ويتمخض عن هذه العلاقات المنظمة نظما اجتماعيا كالنظام السياسى والاقتصادى والدينى ، والتربوى ، والأسرى ، مثل : القبيلة ، والقرية ، والمدينة .

ولا جدال فى وجود علاقات بين النماذج الدينية ، ومختلف التراكيب الاجتماعية فقد اتخذت هذه العلاقات أساسا لتصنيف الديانات. وقد دعى هذا البعض إلي تصنيف الديانات حسب حجم المجتمع . فصنفوها على أساس المذاهب الدينية للعشائر(التوتمية) .والمذاهب القبلية والوطنية(تعدد الآلهة عند الإغريق) الديانات العالمية (المسيحية) . وتوصلوا إلي الترتيب الآتى

١- التوتمية

٢- التوتمية المرتقية

٣- ديانة القبيلة

٤- الديانات الوطنية

٥- ديانات غير دولية

هذا وبقاء النظام الاجتماعى على حاله قد يحول دون الرقى الدينى على الرغم من المحاولات التى يقوم بها المرسلون والمبشرون . فالقبائل التى تدين بالنصرانية ، والخاضعة لنظام العشيرة مازالت متعلقة بتقاليدها

وعقائدها الدينية القديمة . وليس القديس عندهم إلا توتم ، وليس الإله إلا توتم القبيلة — أى أشد التواتم بأسا وقوة .

ويتمثل ذلك فى حالة النصرانية فى بلاد ايرلندة . فحين بشّر بها المبشرون ودان بها الشعب ، اتخذت أوضاعا تختلف عن التى عهدناها فى البلدان الراقية ، وذلك لأن نظام العشيرة كان سائدا هناك . فانتشرت الديانة على شكل صوامع وأديار ، يمثل كل منها عشيرة ، وحلت القرابة الروحية محل القرابة الدموية ، وناب القديس الشفيع عن الجد الأعلى ، وهو المؤسس الأول للعشيرة / التوتم .

أما علماء الأجناس الألمان ، فقد صنفوا الأديان إلي ديانات الشعوب الزراعية ، وديانات الرعاة ، وديانات المتحضرين . وينظر أصحاب الاتجاه الأول إلى اتساع الجماعة ، ويعتبر أصحاب الاتجاه الآخر الدين أسلوبا فى الحياة .

واعتمادا على ذلك فإن المجتمع والدين كلاهما يؤثر فى الآخر . فالدين يؤثر ويلعب دورا فى المجتمع ، كما تؤثر الأشكال الاجتماعية فى الدين . فكل تغير يطرأ على المجتمع يصحبه تغير فى نظام الديانة . ومن ذلك أن الاستقرار فى الأرض أدى إلي فصل السلطة عن الدين . وعندما حل نظام الأبوة مكان الأمومة تضخم عدد الأساطير . وإذا تكاثر الناس وتم الانتقال من نظام العشيرة إلي نظام القبيلة تأثرت الديانة المغلقة . وانتقلت من التوتمية المتأخرة إلي التوتمية المرتقية . ومن ذلك أن اتحاد القبائل وسيطرة شعب منها على القبائل التى دونه قوة مهدت الطريق إلي الدول الكبرى ، تشد أزرها الديانات الوطنية .

كذلك فإن اتساع شأن الدولة ، وامتداد حجمها وسلطانها ، وازدياد المواصلات بين الأقطار ، أدت إلي إرتقاء ديني كان من نتائجه التمسك بجوهر الدين لاستعداد الأفكار لقبول ديانة الانسانية .

وعن تأثير الجماعة فى الدين أشار دوركايم فى كتابه " تقسيم العمل الاجتماعى " أن الأفكار الدينية وليدة البيئة الاجتماعية ، بدلا من ان تكون مصدرا لها. وقد توسع أتباع دور كايم من أمثال " هيير " و" موس" فى عرض هذه الفكرة ؛ إذ تكشف المقارنة عن أوجه الشبه وأوجه الخلاف بين شتى الديانات . وهى لا ترجع إلي البيئة الجغرافية ، أو بين القوانين العقلية العامة ، أو التكوين العقلى أو النفسى لدى الفرد ، لأن هذا التكوين متجانس لدى جميع أفراد الانسانية . وإذن لا يبقى سوى البيئة الاجتماعية التى تعد شرطا حقيقيا لأوجه الشبه واوجه الإختلاف بين الظواهر الدينية ، ولشتى ظروف تطورها.

فكل تحول يطرأ على المجتمع يصاحب انقلاب مماثل فى النظم الدينية . ويتمثل ذلك فى الانتقال من نظام البدو إلي نظام الحضر . فالعرب الرحل الذين يوحد بينهم صراعهم المرير ضد الصحراء يقدسون اسلاف العشيرة . أما الزراع الذين استقروا فى بقعة من الأرض ، فإن تقديس الأولياء يحل محل تقديس الاسلاف .

وقد أدى إستقرار الاسرائيليين فى يهوذا إلي ثورة فى الفكرة اليهودية عن الألوهية . فبعد أن كان " ياهوا " إلها للرعاة أصبح إلهها للزراعة على غرار " بعل "(وهو الإله الأعظم لدى الفينيقيين،وعند الأشوريين)، أما الأنبياء الذين اعتزلوا قومهم فى الصحراء ، وكانوا أكثر

العهد وعلى الأسلوب القديم فى الحياة ، فقد كانوا غيورين فى المحافظة على العبادة القديمة .

ولقد كان الانتقال من جنى الثمار إلي الزراعة من الأمور التى تتميز بها أشد الشعوب تأخرا . وقد انعكس هذا الانتقال أيضا فى الحياة الدينية على هيئة الانتقال من ديانة ساذجة تقول بعبادة المادة إلي عبادة أقل سذاجة،وهى عبادة الطبيعة .

وقد حدث هذا الانتقال إما بطريقة مباشرة ، كما هى الحال فى أمريكا (مولر) ، وإما بطريقة غير مباشرة ، كما هى الحال فى افريقيا ، أى بتوسط نظام الارتحال الذى اقترن بعبادة الأسلاف (م . ك . مينهوف)[١] .

وعلق " لوكير " فى دراسته لعبادة التوالد فى " جينيا "، بقوله ليس المعبود هو الذى يتشكل بصورة المجتمع ، بل المجتمع هو الذى يتخذ العبادة نموذجا يحتذيه . ففى الأصل لم يكن هنا وجود مادى كجماعة من الناس فحسب ، بل كانت هناك فكرة أيضا .

وعلى عكس ذلك بيَّن " سميث " أن العامل النفسى أهم بكثير من العامل المادى فى تفسير الظواهر الدينية .وقد أثر ذلك فى " إميل دور كايم"؛حيث بيَّن فى كتابة "الصور الأولية للحياة الدينية" بان الدين يظل دائما تعبيرا عن المجتمع ، ولكنه يصبح الآن تعبيرا عن العواطف الاجتماعية ، والتى تبدو فى الأعياد والطقوس ، ولم يعد تعبيرا عن النظام الاجتماعى .

---

[١] روجيه باستيد . المرجع السابق ص ١٧٦ .

أما عن تأثير الدين فى المجتمع ، فهو يعمل على وحدة الجماعـــة وتماسكها وتآلفها وترابط الأفراد فى الحياة الاجتماعية ،فيوجد بين الأفراد والقيم والأهداف والمعانى . كما يبرر هذا القيم ؛ مما ينسق تفاعل الأفراد، ويدعوإلي التعاون بينهم ، علاوة على قيامه بتوحيد صفوفهم ، وخاصـــة إزاء أي عدو خارجى .

ويضع الدين للمجتمع حدوده وتركيبـــه ، ويكســبه العـــادات والتقاليد ، ويرسم الطريق إلي حياة أفضل ، وذلك طبقا لعقائده وأفكاره.

وينظم الدين العلاقات الاجتماعية ؛ إذ يقوم بضبط سلوك الناس ومراقبة تصرفاتهم ، ويفرض جزاء يمكن وصفه بأنه طبيعـــى ، ويعاقـــب على الفعل والنية ، ويحرِّم أشياء وأفعال ، ويحلل أخرى . وهـــو يقـــوم بالتحليل والتحريم على أساس التفريق بين الشئ المقدس والشئ المدنس .

وبديهى أن المحللات والمحرمات تختلف مـــن ديـــن إلي آخـــر ، فالعشيرة التى تتخذ الكانجارو توتما لها لا تستطيع قتله أو أكله،بينما يمكن قتل أو أكل الكانجارو فى عشيرة أخرى لا تتخذه توتما لها،أو فى دين آخر لا يحرم ذلك .

كذلك فإن للدين دورا كبير فى إقامـــة المســـافات الاجتماعيـــة Social Distances بين الشعوب التى تقرب بينها وحدة العاطفة الدينية أو تباعد بينهما إختلاف العقيدة المذهبية .

وقد أثرت الأيدلوجية التلمودية فى المجتمع ، فهى تدعو إلي هـــدم المجتمع والأخلاق وتدعو كذلك إلي الإباحية.يقول البروتوكول ١٣ [١].

---

[١] انظر أنور الجندى . المرجع السابق ص ١٧١ – ١٧٢ .

سننشر بين الشعوب أدبا مريضا قذرا تقنى له النفوس ويساعد على هـدم الأسرة ، وتدمير جميع المقومات الأخلاقية للمجتمعات المعادية ، وسنستمر فى الترويج لهذا الأدب .

من هذا الأدب تنطلق الدعوة إلي الإباحية المطلقة لهدم الأسرة وتدمير الأخلاق فى المجتمع . فقد خلق فرويد الإباحية ، ومجد الغريزة ورخص للرجل والمرأة أن يفعلا بجسدهما ماشاء . وبرر توماس مان عشق الذكور فى قصة (الموت فى البندقية) ، ووصف مرضى الصدر بأنهم حيوانات متعانقة تتخذ من يأس الشفاء عذرا للتساند ، فمصحات الجبال مواخير للمرضى تحت مراقبة الأطباء الذين لا يملكون منعهم .

وتعتبر التلمودية الصهيونية أن النظام الأمثل للأسرة هو النظام المفكك الذى يجعل الأسرة أفرادا متفرقين يرتابون فى بعضهم البعض .

وقد أثبت إميل دور كايم فى بحثه عن الانتحار أن عدد المنتحرين يختلف بإختلاف الديانات ، وللديانة يد فى ردع الأفراد عن الانتحار ؛ إذ تبين الإحصاءات أن المتزوجين أقل انتحارا من العزاب ، وأن البروتستانت أكثر انتحارا من الكاثوليك . ويرجع هذا إلي ضعف الروابط الاجتماعية بين العزاب ، ومتانتها عند الكاثوليك .

الفصل التاسع

الدين والثقافة والحضارة والمدنية

لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي تميزه من غيره من المجتمعات الأخرى.والثقافة هي كل ما أنتجه العقل البشرى من ماديات ولا ماديات عرفها إدوارد تايلور[١].بأنها:ذلك الكل المعقد الذى يحتوى على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاقيات والقانون والعادات وغير ذلك من القدرات والسلوك الشائع الاستخدام الذى يكتسبه الانسان كعنصر فى المجتمع .

وعلى ذلك تنقسم الثقافة إلى قسمين : ثقافة مادية وثقافة لا مادية.وهى على درجة عالية من التعقيد ، إذ تتضمن نمط معيشة الناس وأساليبهم الفكرية ومعارفهم ومعتقداتهم ومشاعرهم واتجاهاتهم وقيمهم والأساليب السلوكية التى يسلكونها فى تفاعلاتهم وعلاقاتهم إزاء بعضهم البعض . كما تشتمل على كل ما يستخدمون من آلات وأدوات فى إشباع حاجاتهم وتكيفهم مع بيئاتهم الاجتماعية والطبيعية ، وحسن استغلال بيئتهم الطبيعية والسيطرة عليها.

وتخضع الثقافة للتغير . ولكن قد يتغير بعض عناصرها بسرعة ، والبعض الآخر ببطء . إذا ما سبقت بعض العناصر البعض الآخر تحدث هوّة يطلق عليها التخلف الثقافى . ولكل مجتمع ثقافة قد تختلف عن ثقافة مجتمع آخر . ويعتز كل مجتمع بثقافته وأنماطه الثقافية فى الحياة ونظمه الاجتماعية المختلفة .

---

[١]- Edward Tylor ,Primitive Culture , P1 .
وانظر د . سميرة أحمد السيد . علم اجتماع التربية ص ١١٣ .

وتقوم الثقافة الواعية أو الحقة على أساس الاعتقاد فى القيم الروحية والمبادئ الأخلاقية . فلسنا نتصور أن مثقفا واعيا لا تصدر أفكاره وأعماله عن يقين راسخ بأن الثقافة كالحضارة تقوم على الايمان...والانسان المثقف منوط برسالة أخلاقية اجتماعية عليه أن يؤديها.

ومن هنا فإن المجتمع لا يتطلب من المثقف لكى يؤدى رسالته ، أن يكون عارفا فحسب ، بل أن يكون فاضلا ، والثقافة الحقيقية هى تلك التى يتألق فيها نور العقل والإيمان .

وللتفريق بين كلمة ثقافة culture ، وحضارة ومدنية civilization نقول أن كلمة ثقافة دالة على الجانب الفكرى من الحضارة ، والحضارة على الجانب المادى . فكلمة حضارة ترجمة لكلمة civilization والثقافة ترجمة لكلمة culture . والحضارة فى اللغة هى الإقامة فى الحضر، والحضرة، والحضار ، والحضارة (بكسر الحاء وبفتحها أحيانا) هى خلاف البادية . وتبدى الحضرى أقام فى البادية . وتحضر البدوى أقام فى الحاضرة ، والمدر كالحضر ، ومدره الرجل قريته وبلدته .

اما الثقافة ، فهى فى اللغة مصدر الفعل الثلاثى يثقُف (فالثقافة بكسر الثاء) ، تعنى الحذق والفطنة والنشاط . والصفات من الفعل هى : ثقف ، تثقيف ، وثقف الرمح تثقيفا ، أى ساواه وعدّله ، والصفة من الفعل المضعف مثقف . وهى ما تستعمله الآن .

وتدل كلمة الثقافة فى اللغة العربية المعاصرة على المعرفة والتعليم ، فتقول هذا رجل مثقف ، أو نقول أننا نعمل على نشر الثقافة ... بل إن هناك وزارات للثقافة فى بلاد العالم أجمع .

أما الحضارة فهي تعني الاستقرار والإقامة الدائمة . وليس ضروريا أن يكون هذا الاستقرار نشأ تاريخيا في قرى صغيرة ، ثم تطورت القرى بعد ذلك واتسعت وجاءت نشأة المدن متأخرة،سواء منها القديمة أو الحديثة .

وفي هذا يقول ابن خلدون : " أن الحضارة غاية العمران ، ونهاية لعمره ومؤدية لفساده . ويقول : " الحضارة هي التقنين في الترف ، واستجادة أحواله ، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه .

وقد خلقت الحضارة للنفع العام ، وليس للتخريب والتدمير . والحضارة أداة نفع وسعادة لا أداة هدم وشقاء . إنها المظهر الأخير من التراث الاجتماعي لشعب من الشعوب أو أمة من الأمم . وتعني كلمة مظهر أخير مظاهر الرقي . أما التراث الاجتماعي فهو ما يشتمل عليه المجتمع من المعرفة والعقائد والفنون ، والأخلاق والقوانين والعادات وسائر القدرات التي يكتسبها الانسان كفرد في المجتمع .

ويعرف آخرون الحضارة بأنها جماع المدنية والحضارة ، أي الحياة بأحاسيسها ، وأشواقها ، وتقاليدها ، وتطلعاتها . وهي بذلك المؤشر الذي يميز بين شعب وآخر ، وتاريخ وتاريخ ، لهذا كان منها القديم والحديث والشرقي والغربي [١] .

أما عن الموقف اليهود من الحضارة ، فكان متصلا بانهيارها لا بنائها ، فقد هدموا كثيرا من الحضارات التي خضعت لمفاهيمهم الهدامة

---

[١] د . يوسف كمال محمد . مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام ص٣٦-٤ .

ولأسلوهم فى إقامة الربا أساسا للإقتصاد فى أخلاقياتهم الــتى تــدعو إلي الوحشية والبدائية وإهلاك الحرث والنسل .

ولقد أشار جيبون وتوينبى إلي دور اليهود فى هدم الحضارة الرومانية حين أثاروا الفساد فى المجتمع الرومانى مما عجل بانهيار الحضـــارة . أمـــا فى الحضارة الأوروبية الحديثة التى قامت أساسا فى عصر النهضة وهم مطرودون من أوروبا ، فإنهم ما لبثوا أن عادوا فى القرن السادس عشر حتى أعلنوا المادية إنطلاقا إلي التحلل والإباحية التى سادت المجتمع الغربى من بعد ، ثم سيطرت عليه سيطرة تامة حتى اليوم .

وتجمع المراجع المختلفة لدراسات الحضارات أن اليهود لم تكن لهم علوم أو فنون ، ولم يكن لهم حق فى الأرض التى يحتلونها ، ولم يخلفـــوا وراءهم آثارا حضارية ، وأنهم كانوا يستولون على ميراث الأمم وينسبونه إلي أنفسهم كما فعلوا حين نقلوا تراث البابليين واليونان القدامى .

وإذا كان اليهود قد عاشوا حياة التشريد والفن متنقلين من مكان إلي آخر ، فكيف تقوم لهم حضارة ، أو تكون لهم فنون وآداب ، وهم فى كل أرض غرباء .

وسلك اليهود مسلك الوحشية والبدائية ، فقـــد ورد فى ســـفر يوشع[١] : "أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حـــتى الغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة وجميع مافيها بالنار" .

وتقوم الحضارة فى النهاية على الإيمان — كما يقول "مادارياجا" (مفكر أسبانى معاصر) . يقول : الإيمان رابطة أخلاقية تجعـــل النـــاس يرتفعون فوق مصالحهم الشخصية المباشرة .

---

[١] أنور الجندى . المرجع السابق ص ١٧٥-١٧٦ .

يقول مادارياجا [١] : إن المدافع والذخائر والمؤن مادة لا حياة فيها بغير الايمان ، وفى معركة فالمى (معركة فى تاريخ فرنسا الحديث ، تغلب فيها الجيش الفرنسى على الجيش البروسى سنة ١٧٩٢ م) تغلب الايمان بلا مدافع ، على المدافع بلا إيمان .

ولقد قامت نهضة أوروبا الحديثة بعد أن رجعت إلي الدين ، وظهر المصلحون الدينيون يدعون إلي تنقية المسيحية مما علق بها من الشوائب والوثنية والأوهام والخرافات ، وجهل رجال الدين ، وغطرسة طبقة الأشراف والحكام .

إن هذه الحضارة التى نعيشها اليوم هى ثمرة الرسالات السماوية ، فالدين عماد الحضارة ، وحارسها ، والصديق الرفيق لها ، يوجهها ويواكبها نحو النفع والخير ، ويبعدها عن كل ما يضر بالبشرية أو الوجود العام . والمجتمعات التى لم تلتزم بالدين ، قد تنجح فى حل مشكلات الانتاج ، ولكنها تفشل فى حل مشكلة الانسان . والانسان لا يقنع بالمادة،بل يريد الروح،ولا يكتفى بالحاضر ، بل يتطلع إلي حياة المستقبل .

ويرى البعض أن حضارة أوروبا وأمريكا قد نشأ فيها التحلل وانحرف الجانب الشكلى فيها عن جانب الأخلاق ، ومع ذلك فلا زالت تسير علي قدم وساق — ولقد تنبأ الشيخ محمد عبده فى أول القرن الماضى بأفول نجم بريطانيا العظمى فى نهاية القرن ، وعلل ذلك بأن حضارتها قد اشتملت على تحلل وانحراف وأن ذلك بمثابة السوس الدفين الذى يفت فى عضدها دون أن تشعر إلا وهى عظام نخرة . وهاهى بريطانيا وقد صارت

---

[١] مجلة المسلم المعاصر ، عدد ٣ ، رجب ١٣٩٥ هـ ، ص ص ١٣ ــ ١٤ .

إلي دولة من الدرجة الثانية ولما يمض على النبوءة ستون عاما وهكذا ولابد وأن يتحقق أمر الله ، وان تطرد سنته " **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** "(الاسراء: ١٦) " فلا بد لكل قانون من أن يطرد ولكل سنة من أن تسير فى طريقها . وقد يكون هذا التدمير سريعا وقد يكون بطيئا ، المهم أن نتائج عدم الأخذ بالإيمان لا تتخلف كما قال تعالى " **لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد، متاع قليل ، ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد** [١] " (آل عمران : ١٩٦) .

ويكاد يجمع الباحثون على أن الحضارة هى مظاهر الرقى العلمى والفني والأدبي والاجتماع لمجتمع ما . فابن خلدون [٢]. عرفها بأنها : أحوال عادية زائدة على الضرورة من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الأمم فى العقل والكثرة . وتقع منها عند كثرة الفتن فى أنواعها وأصنافها ، فتكون بمنزلة الصنائع " ويحتاج كل صنف منها إلي مواصلة العمل فيه ووجود المهرة فى إتقانه .

هذا وتتساوى عبارة : أحوال عادية زائده على الضرورة من أحوال العمران ... " التى جاءت فى تعريف ابن خلدون مع العبارة الحديثة التى تقول " مظاهر الرقى العلمي والفنى "

ويرتبط الدين بالحضارة ارتباطا وثيقا . فالدين هو الذى بدأ الحياة على الأرض ، والذى خلق الحضارة ، والدين دعامة أساسية للحضارة،

---

[١] د ابراهيم ابراهيم هلال . الدين والمجتمع ص٥٢- ٥٣ .

[٢] انظر المقدمة لابن خلدون . طبعة كتاب التحرير ، ص٣١٦ – ٣١٧ وانظر د . ابراهيم ابراهيم هلال . الدين والمجتمع ص ٤٤ .

لأنه منبع القيم الروحية ، ولأنه هو البعد الجوانى للإنسان من حيث هـــو انسان ،ومن ثم فهو الذى وجه الانسان إلي صنعها .

فقد قام للعرب نهضة ، وتكونت لهم حضـــارة فى ظـــل الـــدين الاسلامى الذى جاء حاضا على العلم ، ومكبراًللعقل ، وداعيا إلي التدبر، والتفكير والنظر . وقد اتسمت هذه الحضارة بسمة الخير والحق والكمال.

وتعتمد الحضارة الاسلامية على التوحيد ، حيث تؤكد الفصل بين الخالق وبين خلقه ، وما يقتضيه هذا من صلة هى طريق تحقيـــق إرادة الله فى كونه عن طريق خلافة الانسان فى الأرض . فالتوحيد هو الذى يعطى الحضارة الاسلامية هويتها ، وهو الذى يربط بين أجزائها .

وتقوم الحضارة الاسلامية على عناصر ثلاثة ، هى :

١- انها كونت المسلمين ، وجعلتهم ما هم عليه ، هـــى التى شكلت لهم شخصيتهم ، وشيدت لهم ضميرهم، وبلورت عقولهم ورؤيـــاهم وهـــى الـــتى زودتهـــم بالأخلاق ،والعادات ، وهى التى جمعت بعضهم إلي بعض فجعلت منهم مجتمعا عضويا ، بل أمة ينطوى المسلمين فى إطارها ويعرف المسلمين أنفسهم بهـــا . وهى التى علمتهم متى يسرون ومتى يحزنـــون ومـــتى يبكون ، متى نتحرك وندفع غير عابئين حتى بمـــوت محقق ومتى نتأخر ونتأمل أو نجمد فى مكاننا .

٢- وشخصيتنا هى التى تميز الانسان عن الحيوان والنبات ، بل وعن سائر البشر ، ولو عدمت الشخصية لهبطنا

الي مستوى البهائم أو لأصبحنا وعاءا فارغا تقـــوم الحضارات بملئه بشخصـــيتها.فولاؤنــا للحضـــارة الاسلامية التي كونتنا وسوتنا وجعلت لنا شخصيتنا هو ولاء الابن للوالدة.ولاء الجزء للكل الذى أنبتـــه نبتا وجعله شيئا متميزا ، فمن طبيعة الكل أن تعمل أجزاؤه على استمراره ،ودعمه ، وتقويتـــه ، كمـــا يتداعى الكل للجزء عند إصــــابته وضــعفه. وأول شروط هذا الاستمرار هو الولاء للحضارة الاسلامية ، فالتعرف عليها ثانيا ، فالعمل من أجلها ثالثا .

٣- وثراء الحضارة الاسلامية هي أغنى الحضارات الـــتي عرفها التاريخ اطلاقا،فثراؤها خضم لا ينقطع،كلمـــا نهلت منه كلما زاد عطاؤه.حكم النظر فى أى حقل من حقول الدين،فى أى حقل من حقـــول المعرفـــة والحكمة،فى أى علم من العلوم أو فن من الفنون أو أدب من الآداب،فى أى حيز من الخلق أو المنفعـــة أو الجمال يرجع ذلك البصر اليك وهو خير.اذ يقـــف على انجازات غذت قرون وشملت ملايين من مسلمين وغير مسلمين،ومازالت قادرة على العطاء.الحضـــارة الاسلامية حققت لنا سعادتين،سعادة الدنيا،وسعادة الآخرة.ودفعت بموكب الانسانية دفعـــا الي الأمـــام والعلا،لذلك كان التعرف عليها ودراستها اثراء لنا ،

وغذاء لعقولنا وإنعاشا لبصيرتنا واشباعا لتطلعنا فى كل واد . هذه هى الأسباب أو العناصر التى تتعلق بالمسلمين [١].

أما المدنية فهى فى اللغة مشتقة من مادة مدن بمعنى أقام ، واستقر فى مكان معين ، وأهل المدينة مستقرون مقيمون ، لتيسير حاجيات وضرورات الحياة لهم فى هذا المكان ، ولذلك يستقرون فيه ، أو يقيمون فى أبنية ، والصفة الدائمة له طابع التمكن والاستقرار ، إذا لجأ البدو إلي الرحلة ، والأسفار . فالمدنية متصلة بالمدينة والحياة فيها ، ويقصد بها الجانب المادى والمظهرى فى الحياة من بيئة طبيعية ، ومنشآت إنسانية ، وطبيات إنتاجية وما يرتبط بها من قوانين ،ولوائح ، وعادات وأعراف .

والمدنية ترجمة لكلمة Civilization ، وتدل على مرتبة من مراتب الحضارة ، أو على صورة من صورها . فهى تعنى مظاهر التقدم التكنولوجى والآلى ، والتى تمتاز بأنها ذات طبيعة عقلية عامة لا تحدد بصفة محلية .

وعلى ذلك فالمدنية تقوم على أسس موضوعية من المعرفة اليقينية ، أو على افتراضات كونية ، فيما هو خارج عن نطاق الفكر البشرى والمنطق الانسانى ، فالتطبيقات العلمية والرياضية الصالحة فى كل زمان ومكان هى مدنية . وكذلك الديانات الكبرى تعتبر مدنية . وعلى ذلك فالحضارة تعتبر إلي حد كبير ظاهرة نسبية . أما المدنية فهى ظاهرة مطلقة. وهكذا يمكن ان نقرر أن كل مدنية حضارة،وليست كل حضارة مدنية.

---

[١] انظر : عزت جرادات ، " البديل الحضارى للمجتمع المعاصر " ، مجلة المسلم المعاصر ، السنة ، العدد ١٣ ، (١٩٧٨) ، ص ص ١٢٩ – ١٥٠ .

ويرتبط الجانب الروحى والخلقى وكل ما هو إنسانى بالمدنيـــة ، ويطلب فيها مثل ما يطلب فى جانب الحضــارة أو الثقافــة . فالمدنيــة الكاملة بينها وبين الفطرة من الإتفاق ما يجعلها فى الواقع جزءا من الفطرة التى فطر الله عليها الكون ، وآية ذلك أن يكون فيها ما فى سائر الـنظم الكونية من الاتساق والانسجام ،والتوافق والتماسك والإتزان والهدوء . وهذا لا يتحقق لأية مدنية من المدنيات إلا إذا قامت على الحق فى جميـــع نواحيها ،وكانت نظمها النافذة منطبقة على قوانين الفطرة التى فطـر الله عليها الناس ، أفراد وجماعات .

وليست القوة أساس تفاضل المدنيات ، ولكن إحسان اسـتعمال القوة فى سبيل الحق سبيل الله .

وهذا أمر طبيعى ، ما دمنا نؤمن بالله ، ونؤمن بأن المدنية إنما هى من صنع الله ،" صنع الله الذى أتقن كل شئ " . (النمل : ٨) " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون " (البقــرة : ١٣٨)، فهى فطرة الله ، أى خلقته ،وهى ما قدره الله فى الأرض مــن أقــوات ومعايش .

الفصل العاشر

الدين والعلم

تعني كلمة "العلم " اليوم في أوروبا مجمـــوع المعـــارف المؤيـــدة بالدلائل الحسية ، وجملة النواميس التي اكتشفت لتعليل حوادث الطبيعة تعليلا مؤسسا على تلك النواميس الثابتة وهي لا تستعمل إلا مفـــردة . ومع ذلك فقد تطلق على مجموع معارف في فرع خاص من المعـــارف. وفي هذه الحالة يطلق بها التخصيص فيقال علم الكيمياء ، وعلم الفلك . وقد يعتريها الجمع فيقال العلوم الكونية والعلوم الرياضية .

وقد عرف العلم تعريفات مختلفة فمن العلماء من اعتبره جســد منظم من المعرفة . فقد عرفه ويبستر Webester [١] في قاموسه " العلم" بأنه: المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب والـــتي تـــتم بغرض تحديد طبيعة أو أسس وأصول ماتم دراسته ، وعرف آخرون العلم بأنه : طريقة منظمة للحصول على المعرفة . وهناك مـــن عرفـــه بأنـــه : البحث الكفء الذي يستند إلي منهج علمي [٢] فقد عرفه اكســفورد [٣] أنه: الفرع من الدراسة الذي يتعلق بجسد مترابط من الحقـــائق الثابتـــة والمصنفة ، والتي تحكمها قوانين عامة ، وتحتوي على طـــرق ومنـــاهج موثوق بها لاكتشاف الحقائق الجديدة في نطاق هذه الدراسة .

وجملة القول فإن العلم هو محاولة لاكتشاف العـــالم المحســـوس ، ومعرفة العلاقات المتداخلة والمنسقة للحقائق ، ذلك أن الحقائق المنعزلة لا

---

[١] د . ابراهيم أحمد سلامة . مناهج البحث في التربية البدنية ص ٤ .

[٢] John Biesanz & Mavis Biesanz, op.cit .P.4

[٣] د. ابراهيم أحمد سلامة . المرجع السابق ص ٤ .

تقيم علما . ومن ثم فلابد من اكتشاف الصلة بينها وبين بعضها البعض . وهو بذلك يعد تراكما للمعرفة المنسقة التي تنم عن الاقتراب من العالم الإمبيريقى الذى يعيش فيه الانسان [1] .

وتفسير ذلك أن العالم يحاول اكتشاف التتابع الذى يحدث بين ظاهرة وأخرى ، أى يوجد التتابع بين السبب والمسبب Cause and – effect، وقد حل محل هذا المصطلح استخدام عبارة العلاقات بين المتغيرات . وقد أكد هذا المعنى الرياضى والفيلسوف الفرنسى هنرى بوانكاريه Henry Paincre' [2] : إذ اعتقد أن العلم معرفة لا تتعلق بالاشياء أو الظواهر فى ذاتها . وإنما العلم أن تدرك ما يربط بين هذه الأشياء أو الظواهر من علاقات . فكأن معرفة القوانين أو المبادئ التى تحكم العلاقة بين هذه الظواهر بعضها ببعض هى جوهر المعرفة عند بوانكاريه .

وقد نوّه وس جيفونز W .s. jevons [3] إلي ذلك ، وعرف العلم بأنه الكشف عن أوجه الشبه بين المختلفات ، فمعرفتنا لجزئية واحدة لا تكون علما ، لأن الجزئية الواحدة وهى معزولة عما عداها لا تؤدى إلي إدراك القوانين الطبيعية ، وما العلم إلا أن ندرك القانون أو القوانين التى تقع الجزئية الواحدة وفقا لها .

ولقد صار العلم خلال هذه الحقبة من التاريخ لا يطلق إلا على المعارف التى تقع تحت اختبار الحواس وتخضع لامتحانها . فإذا قال قائل العلم ، وقرر ذلك ، خرج منه علم الدين ، لأن كلمة الدين ترد بمعنى

---

[1] See Ernest Green wood , Experimental Sociology , A Study of Method , P 19 .

[2] د.محمد على محمد.علم الاجتماع والمنهج العلمى.دراسة طرائق البحث وأساليبه ص٩٩.

[3] د . زكى نجيب محمود . المنطق الوضعى ص ١٥٧ .

الطريق والتفقه ، بمعنى التعرف على الطريق ، ولا تدخل المسائل الدينية فى حيز التفكير العلمى . فالدين يقوم على المسـائل الإعتقاديـة ، وأمـور معتمدة التسليم بمقررات لا تخضع للامتحان والتجربة . وهذه ليست من الطريقة العلمية فى شئ .

ويرى بعض العلماء أنه لا تقابل بين علم ثابت ودين صـحيح . فحقيقة الدين خضوع مطلق لإله موصوف بصفة الكمال ، واستجابة له فى كل ما أمر ونهى ، وتجاوب مع منهجه تجاوبا اختياريا . أما العلم فهو معرفة يقينية مطابقة للواقع عن دليل ، بحيث تكون هذه المعرفة منافية لكل جهالة . وفيها يستخدم وسائل علمية إمبيريقية لتحقيق غايات امبيريقية . وعلى ذلك فهو طريقة ومنهج .

ومن هنا نشأت فكرة المناقضة بين العلـم والـدين . فـالعلم لا يعترف بمسألة إلا إذا قبلها العقل ،وأيدها الحس وقبلت الخضوع لأسلوب الاختبار والتمحيص.ولكن الدين يفرض التسليم بأمور غيبية يسندها إلي الوحى،ويعزوها إلي الله تعالى أو يعلق سموها عن كل جدال [١].

ولكن هل كل من كتب فى موضوع غـير ديـنى ، واسـتطاع الحصول على التبريرات والتأكيدات يعد معه محاولة علمية ؟ وهـل مـا يكتبه الكيميائى أو عالم الفيزيقا أو الرياضة يعد علماً ؟ فى الحقيقـة ، إن العلماء أنفسهم يصعب عليهم تفسير معنى العلم ، فقد انشـغلوا فيمـا يفحصونه دون أن يحاولوا تفسير معنى هذه الكلمة . وبالإضافة إلي ذلك فإن الكيمياء أو الفيزياء أو البيولوجيا تعد علومـا – ليسـت بسـبب

---

[١] انظر محمد فريد وجدى . دائرة معارف القرن العشرين ص ٥٨٤ .

موضوعها ، وإنما يعود هذا إلي الطريقة التى تبحث بها موضوعاتها . إن علم الفلك وعلم التنجيم – مثلا – تهتم بموضوع واحد هو النجوم ، ولكن علم الفلك هو الذى يمكن أن يطلق عليه علماً،لأنه يقوم على الاتجاه العلمى،بينما لا يعد التنجيم علما لأنه لا يعتمد على الأسلوب العلمى[١] .

وهكذا اتخذ الماديون هذا الأمر سلاحا لمقاتلة الدينيين ، و لم يجئ القرن التاسع عشر حتى كان أنصار الدين فى ضعف مطلق أمام خصومهم، وظهرت المبادئ المادية ظهورا لا مزيد عليه ، وتذرعوا بهذا السلاح لنكران الخالق والروح والخلود لخروج هذه العقائد عن دائرة اختصاص العلم . ومازال الماديون ظاهرين على خصومهم حتى ظهرت المباحث الروحانية فى سنة ١٨٤٦ بأمريكا ، ثم انتقلت منها إلي أوروبا وتناولها رجال العلم من كل المذاهب فثبت منها بالاختيار والتجربة، وهما من مميزات العلم الطبيعى أن الحياة تقوم بغير المادة ، وأن ما وراء هذه الطبيعة المحسوسة طبيعة روحانية أرقى منها سماها بعضهم عالم الأرواح ، وتوقف بعضهم عن تسميتها فأصبح علم الدين فى أوروبا مؤسسا على نفس الأسس التى تأسس عليها العلم الطبيعى[٢] .

وهكذا يرتبط الدين بالعلم . فقد عرفت القبائل المتوحشة والبربريين قدرا هائلا من المعرفة ، واستخدمت المجتمعات الزراعية القديمة

١- John Biessanz &Mavis Biessanz , Modern, society,An Introduction to social science, P . 4

٢- انظر فريد وجدى . المرجع السابق ص ٥٨٤ – ٥٨٥

وانظر د.حسين عبد الحميد أحمد رشوان.العلم والبحث العلمى – دراسة فى مناهج العلوم ص ١-٣ .

وسائل سحرية خاصة بها فى العمل الزراعى ، وأثبتت فى ذلك نجاحهـــا . وكان الطب فى بعض المجتمعات مصحوبا بالصلاة.وأرجعوا المـرض إلى تسلط روح معادية على الشخص المصاب.وعلى ذلك كان الكـــاهن أو الساحر العالم بوسائل الأرواح يستدعى ويطلب اليه أن يطرد العفريـــت بأسرع ما يمكن.وابتدع الكهنة أو اكتشفوا بعض العقاقير الــتى تشـــفى بعض الأمراض فكانوا الأطباء والمعالجين...وكان يتم على أيديهم الشفاء.

وفى مجال الأمراض العقلية كانت مشكلة المريض غالبا فى مجــــال السلوك وفى مجال علاقاته بغيره ، وحينئذ كان يبدو مختلفا عما كان عليه، وكان هذا الاختلاف أو التغير يعزى إلى شيطان من الشياطين تجســـده . أما إذا كان إله طيب تجسده ، فكان ينطقه بالحكمة وحينئذ تسمو بـه القبيلة إلى مرتبة الأنبياء .

وكانت الفكرة السائدة لدى قدماء المصريين أن الأمراض تنشأ من غضب آلهتهم أو من تأثير أرواح المـــوتى وتقمصـــها لجســـد المـــريض وامتلاكه، وأن هذه الأمراض بعد دخولها للجسم منها ما يصيب العظام ، أو يعيش على لحمه ، ومنها ما يفتك بالأمعاء ومنها ما يشرب دم المريض، ويموت المريض من جراء فتكها بأجهزته ، إلا إذا كـــان فى الاســـتطاعة طردها قبل أن تسبب أذى جسيما بجسده ، ولذلك كان من أهم دعائم علاجهم معرفة الطلسم والسحر لطرد هذه الأرواح الخطرة والقضاء عليها بالتعاويذ والرقى ، ثم يشرع بعد ذلك فى استعمال الدواء والغذاء لمعالجة الأضرار الحسية التى تنشأ من دخول الروح الشريرة لجسد المريض .

وكان المصريون القدماء يعلقون قطعا من الحجارة أو الخرز أو الخشب على رقابهم أو يربطونها بعضو من أعضائهم اتقاء المرض . وكان الكهنة يعالجون هذه الرقى بقراءة الطلاسم السحرية قبل استعمالها . وهى ترد الأبصار للعينين ، والكلام للسان ، والمضغ للفم ،والسمع للأذن ، والحركة للأطراف .

واستعان القدماء المصريون بالأحجبة لإحياء القلب ، وبالبخور لاسترجاع الدفء ، وبسكب السوائل لإعادة الرطوبة . وحنط القدماء المصريون جثثهم رغبة فى البقاء ، ورهبة من العدم ، حنطوها ليجنبوها الفساد ، ويبقوا عليها القوام .

واستعان المصريون القدماء بالجراحة . وهناك صورة لعملية جراحية على جدران مقبرة بمفيس يبدو فيها الكاهن الطبيب ، وهو يزاول العمل عام ٢٥٠٠ ق . م . تقريبا .

وكان المجنون عند عرب الجاهلية رجل صرعته جنية،والمجنونة صرعها جنى،وذلك عن طريق العشق والهوى وشهوة النكاح.وكانوا يعتقدون بأن الصرع نتيجة لمخالطة الجن للإنس.وكان لديهم كغيرهم من الشعوب طريقتان للعلاج طريقة الكهنة والعرافين وطريقة العلاج بالعقاقير .

وكان الطب اليونانى القديم يقوم على الدين والسحر . وقد أشار هيبوقراط [١] فى كتابه " حالات الأمراض المقدسة Sacred" أن هذا المرض ينجم عن نفس الأسباب التى تترتب عليها الأمراض الأخرى .وهى أشياء تصيب الجسم أو تذهب عنه، كالبرد،والشمس،وتغيرات الرياح ...وهى

---

[١] Ludwing Edelsfem .,Greek Medicine in the Relation to Religion and Magic , P. 205 .

أشياء مقدسة . وجاء الفيزيوقراطيون بعد أفلاطون وأرسطو ، وأشاروا إلي قدسية الشمس والنجوم والمناخ .

وكان اليونانيون القدامى يؤمنون بأن المرض العقلى من عمل الشيطان ، فالشياطين تتجسد البشر .وهناك شياطين طيبون وشياطين أشرار ، فالصرع عندهم كان " المرض المقدس " .وكان المرضى به يعاملون بكل إجلال وإحترام ، وتضفى عليهم الحماية باسم " الروح الطيبة " التى تقمصتهم . أما إذا كان الإعتقاد يسود بأن شيطانا شريرا قد تجسدهم فكانوا يعذبون ويضطهدون حتى لا يعتبر الجسد مكانا مريحا لهذا الشيطان للبقاء فيه .

وكانت نظرية الجن فى المرض شائعة فى فلسطين أثناء حياة المسيح عليه السلام وقد ميز أصحاب الأناجيل الأمراض الناشئة من المس (الجن)، والتى تنشأ عن أسباب أخرى . ووصفوا المسيح بأنه استعمل التعاويذ فى حالات الصرع والجنون وحدهما ، وانه كان يعالج الجزام والحمى والشلل والنزيف بوسائل أخرى مثل الصلاة وتبشير المريض بالعفو من خطاياه ولمسه بيديه [١] .

وقد تخصص كثير من رجال الدين المسيحى فى الطب ، وقد كان لوقا وهو من الحواريين طبيبا واعتمد المبشرون من رجال الدين المسيحى فى نشر المسيحية فى المجتمعات المتخلفة على تأدية الخدمات الطبية .

وعارض رجال الدين المسيحى تدنيس الجسم الانسانى. وفى خلال النصف الأول من العصور الوسطى لم تحرم الكنيسة التشريح فحسب ،

---

[١] - كينيث ووكر. مرضى ولطباء . ص ص ٢٥ ــ ٢٦ .

بل حرمت أيضا فصد الدم ، حتى لو كان القصد محاولة لانقاذ حياة المريض ، ثم تقرر السماح لجامعات معينة وتحت شروط خاصة بتشريح جثث المجرمين التى تسلم إليها بعد شنقهم . وقبل أن يسمح للجلاد بمزاولة عمله كان لابد من أجراء طقوس دينية على المجرم الذى كانت جثته تقطع فيما بعد فى سبيل العلم .

وقد كان يمنح المجرم غفرانا روحيا خاصا كان فى نظر الكنيسة أكبر من أن يكفر عن أى انتهاك يترله موظفو الجامعة بأشلائه فيما بعد ذلك . وبعد إجراء هذه الطقوس المبدئية كما يجب كان الجلاد الرسمى يشنق المجرم ويسلم جثته إلي أصحابها الجدد [١] .

والعلم قيمة أساسية فى الاسلام . فأول آية نزلت فى القرآن تحض على العلم ، وتشيد بالقلم الذى هو آلة العلم ، ووسيلة الخروج من الجهل إلي المعرفة المطلقة بأوسع معانيها . يقول الله سبحانه وتعالى : " **إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** " . (العلق : ١- ٥)

ويقول سبحانه وتعالى"**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات**"وقال تعالى"**هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** " .

والعلم والإيمان هو النموذج المتكامل لقيام الدولة التى تتوافر لها كل مقومات القوة المادية والمعنوية.والعلم هنا ليس علم التفقه فى الدين فقط،فقد حض الاسلام على النظر إلي الكون.يقول عز وجل " **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض** " (يونس ١٠١) . ويقول جل

١- نفس المرجع . ص ١١٨- ١١٩ .

جلاله: "وفى أنفسكم أفلا تبصرون " (تبارك ١٥) ويقـــول ســـبحانه وتعالى: " هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقدّره منـــازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بـــالحق يفصـــل الآيات لقوم يعلمون " (يونس / ٥) .

ودعى الإسلام إلي تحصين المجتمع وحماية مصادر إنتاجه وغنـــاه ، من أن يغير عليها مغير ، أو يعتدى عليها معتد ، ولكى تظل فى طريـــق النماء والتطور . يقول سبحانه وتعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " (الأنفال ٦٠)

وقد دعى الاسلام إلي استخدام الطاقة الفكرية عند تقرير الدلائل العقلية ، وإيراد الحجج والبراهين على حقائق الكون والحياة ، يقـــول الله تعالى " فاعتبروا يا أولى الأبصار " (الحشر ٢)

أى اتعظوا بهذه الآيات وما حل بهؤلاء القوم يا أصحاب العقـــول والنظرالمدراك التى ميزتم بها عن سائر الحيوانات ، فتعقلوا أمـــر ربكـــم وتفقهوا ما فى القرآن مستخدمين نعمة العقل التى وهبت لكم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جاريـــة ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " (رواه مسلم) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يقول : " من سلك طريقا يلتمس فيه علما ســـهل الله لـــه طريقا إلي الجنة ، وأن الملائكة لتفتح أجنحتها لطالب العلم رضا بمـــا صنع ، وأن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حـــتى

الحيتان فى الماء . وفضل العالم عن العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . وأن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم " (رواه أبو داود والترمذى) .

والعلم فى نظر الاسلام حق للجميع يجب نشره وإذاعته لخير الناس جميعا . فليس من الاسلام أن تكتم علما توصلت إليه أو تحتكر سرّه، فذلك ضار بالبشر . ومن يكتم علمه ويحرم الناس منه يلعنه الله ويلعنه الناس . يقول سبحانه وتعالى : " إن الذين يكتمون ما أنزلناه من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون " (البقرة ١٥٩)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار"(أبو داود والترمذى)[١] وشجع الرسول صلى الله عليه وسلم دراسة الطب فيقول: "تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد هو الهرم".

وكان هناك نوع من الامتحان التأهيلى فى الطب تقرر عقده فى عهد الخليفة المقتدر بسبب خطأ وقع ووصل إلي علمه سنة ٩٣١ ، فأصدر قرارا يقتضى كما يخبرنا القفطى – بألا يمارس أحد الطب فى بغداد إلا إذا رضى سنان بن ثابت الحرانى وشهد له بالكفاءة والخبرة .

وفى خلال العصور الوسطى عرف المسلمون مبادئ التشريح والفسيولوجيا وتشخيص المرض ، وأمراض الطبائع (الأمزجة) ،

---

[١] انظر د عبد الهادى الجوهرى . دراسات فى علم الاجتماع الاسلامى ص ص ٤٧ – ٥١ . وانظر د . عبد الهادى الجوهرى . أصول علم الاجتماع ص ص ٢٧٥-٢٩٤ .

والصحة ، والتغذية ، وعرفوا كذلك عدد العظام ، والأوردة ، والشرايين وألف العرب المسلمون فى الطب. وكتب ابن سينا كتاب"قانون الطب". وكتب أبو القاسم الزهراوى فى الطب ، وألف كتابا فى الجراحة ، ونبـغ فى القرن الثانى عشر فيروس القرطبى الشهير بـ (ابن رشد) .

ومن مؤلفات العرب فى الطب " فردوس الحكمة " لعلى بن زيد الطبرى ، وكتاب " الحاوى" لمؤلفه أبو بكر محمد بن زكريا الرازى . كما نشرت له رسالة عن حصى المثانة والكلى .

وعرف الأطباء المسلمون المرض النفسى.وكانت المستشفيات تضم أجنحة للأمراض العقلية والنفسية.ومن أطبائها ابن الهيثم وابن سينا[١] .

والعلم المطلوب هنا هو قواعد المنهج التى توصل نظريا وعلميـا وتجريبيا إلى الكشف الدقيق العميق عن أطوار الناس ، وأوضاع المـادة ، ونواميس الوجود ، فإذا تأملت ظاهرة من الظواهر ، فإننا نسعى للوقوف على اسبابها ، ونسلك لذلك كل مسـلك علمـى ممكـن ، ونتقلـب فىخطواته المنهجية على نحو ما يفرض علينا المنهج ، ويرسم لنـا خطـا للمسير ، فإذا ما وقفنا على السبب الحقيقى للظاهرة ، وتأملناه يحدث هذا التأمل فى نفوسنا رغبة أخرى للوقوف على السبب الكـائن وراء هـذا السبب القريب ، وهكذا تظل هذه الرغبة فى المعرفة ترتقـى بـالنفوس الكبار، وتصعد بكل قلب طلعة حتى يصل أصحاب الرغبات العلمية إلى إدراك سبب ليس فوقه سبب ، ومؤثر لا يتأثر بغيره وهو لا يحتـاج إلى سواه وغيره من الكائنات يحتاجون إليه .

---

[١]- د. حسين عبد الحميد رشوان . دور المتغيرات الاجتماعية فى الطب فى الأمراض - دراسة فى علم الاجتماع الطبى .

ويدرك هؤلاء العلماء أن السبب الذى عقلوه ، وأن المؤثر الـــذى إنتهوا إليه هو الله عز وجل بصفاته التى أسلفنا ذكر بعضها [١].

والعلم ينبغى أن يكون متسما بالأخلاق وملتزما بالفضيلة ، بحيث لا يستعمل فى تدمير أو تخريب ، أو فى إيذاء البشر فى أنفسهم ومـــالهم . ويجب على طالب العلم أن يتحلى بالصبر ، وطاعة من يعلمـــه ، وتـــرك الغرور .

[١] د. مصطفى محمد السيد أبو عمارة . أضواء على رواية المجهول عند أهل الحديث ص١٠٨ .

الفصل الحادى عشر

الدين والفن

نحاول فى هذا الفصل إلقاء الضوء على العلاقة بين الدين والفن .
وبداية نكشف عن المقصود بكلمة " الفن " . والفن محاولة لاختراع وابتكار وإبداع وتجسيم أشكال ممتعة تأتى نتيجة استجابة انفعالية لما يشعر به الانسان ، أو عما يحسه بحواسه ، أو عن ما يدركه بفكره ، أو عما يترامى إليه بخياله لموقف خارجى يتمثل فى التجارب الانسانية ، والعواطف ، والمعتقدات ، والأفكار ، يتأثر به الرائى بالعلاقات الجمالية، وبالقيم والمعانى التى يتضمنها ، فيعبر عنها فى صورة جمالية تخاطب الحواس، وتوقف الاستجابات العاطفية ، والفكرية فى العقل البشرى .

وهذا التأثر معناه أنه ينفعل بهذه القيم ، ويندمج فيها ، وتصبح جزءا من كيانه.ومثل هذه الأشكال تشبع إحساسنا بالجمال، وإحساسنا بالجمال إنما يشبع حينما نكون قادرين على أن نتذوق الوحدة والتناغم بين مجموعة من العلاقات الشكلية من بين الأشياء التى تدركها حواسنا .

وتشير الرؤية إلى خبرة الرائى من ناحية إدراك الجمال والمتعة به ، والتأثر بالجمال يحمل وجهة نظر المستهلك واستجابته ، وهى تشبه عملية تذوق الطهى التى ترتبط بالمستهلك أكثر مما ترتبط بالطاهى ، أو بزراعة الحديقة التى يقوم بها البستانى بدور الفنان فى حين أن صاحب المترل يؤدى دور التذوق الذى يستمتع بنتائج الزرع وثماره . فعملية الخلق والابداع نصف بها عادة عمل المنتج ، ورؤيته الفنية . أما التذوق فنصف به متعة المستهلك ووجهة نظره .

وهناك رابطة قوية بين القيم التي يتضمنها أي إنتاج ومدى استجابة الجمهور له . فكلما كان الانتاج دقيقا تطلب هذا أيضا عقلية مدربة لكي تستطيع أن تفك رموزه وتتذوقه . أما إذا كان العمل ساذجا أوليا فإنه لا يحتاج إلي هذه اللوحة الواعية لتقديره [١] .

ومع ذلك فليس بالضرورة أن يرتبط الفن بالجمال ، فالاحساس بالجمال ظاهرة متقلبة جدا ، ظهرت على مسار التاريخ في وجوه لم تكن محددة على الإطلاق ، وكانت مخادعة على الدوام . فمفهوم الجمال يتمتع بمغزى تاريخي محدد . وقد ظهر هذا المغزى في اليونان القديمة [٢] .

ويؤثر الدين في الفن ، ففن العصر الحجري القديم كان أداة لأسلوب سحري أو ديني ، فهو لا يؤلف لذاته ، ولكنه بشكل طواطم طقوسية ، ويؤلف منشدات سحرية ، إذ يعتقد صياد ذلك العصر أنه قد استحوذ على الشئ ذاته في الصورة ، ويعتقد كذلك أنه قد يسيطر على الموضوع عندما يصور الموضوع وهكذا كان يعتقد أن الحيوان الحقيقي يعاني بالفعل من تمثل الحيوان الذي تمثله الصورة . وبالتالي يعتقد أن الحادث الحقيقي سيقع حتما في أعقاب التمثيل السحري له ، أو أن يكون متضمنا فيه بالفعل ، إذ أن الاثنين لا يفصلهما إلا ذلك الوسيط الذي لغته المعتقدات السحرية ، وهو عامل الزمن ،وعامل المكان .

وهكذا اتخذ فنانو العصر الحجري القديم الموقف الذي اتخذه ذلك الهندي الأحمر المنتمي لقبيلة " سيو " الذي تحدث عنه العلامة الفرنسي

---

[١] انظر د . محمود البسيوني . آراء في الفن الحديث ص ص١٧ـ ١٨
وانظر د . محمد محمود الجوهري وآخرين . ميادين علم الاجتماع ص ٤٤٩ .

[٢] هربرت ريد . معنى الفن ص ص ٣٧ ـ ٣٩

" ليفى بريل " فقد لاحظ هذا الهندى الأحمر أن أحد الرسامين الغربـاء يرسم عدة ثيران من ثيران القبيلة ، فعلق على ذلك بقوله : إننى أعلم أن هذا الرجل قد وضع كثيرا من ثيراننا البرية فى كتابه . لقد كنت هنـاك عندما فعل ذلك ، ومنذ ذلك الحين لم يعد لدينا ثيران .

ومما يؤكد الهدف السحرى لفن العصر الحجرى القديم ، هـو أن الحيوانات كثيرا ما كانت تمثل فى هذه الصورة ، وقد اخترقتها الرماح أو السهام ، أو كانت تسدد إليها بالفعل مثل هذه الأسلحة بعد الانتهاء من الموسم . وكانت توضع الصورة فى كهوف معينة ، وفى أجـزاء محـدده ملائمة بوجه خاص للسحر ، مثل الأجزاء المظلمة من الكهوف ، وقـد وضعت تلك الصور فوق بعضها ، بمعنى أنها لم ترسم بغرض زخرفى .

وللدين أثر فى الشكل المعمارى للمنـزل أو للمدينة، فديانة عبادة الأجداد أثرت فى الشكل الهندسى للمنـزل،وجعلته على هيئـة دائـرة. وديانة المدينة أثرت فى الشكل الهندسى للمدينة ، إذ كان المعبد يوجد فى الجزء المحصن الذى لا يستطيع العدو أن يصل إليه أو يتناوله بالهدم .

وكان الهندوس من الدهاء ما قدروا به على جعل ما اقتبسـوه ذا طابع هندوسى بسرعة . وتناول دهاء الهندوس العمارة ، فلم يلبث العمود الاغريقى الذى اقتبسه متفننوا الهندوس مثلا أن زالت عنه صفته الاغريقية متحولا إلى عمود هندوسى . وإذا سألت عن مبدأ الزخرف الهندوسـى العام رأيته يتصف بزيادة المبالغة وفرط الغلو فى الجزيئات التى هى أبرز ما تشاهده فى آثارهم الأدبية والدينية والفلسفية .

واتخذ الهنود النحت أداة للزينة . ويبدو هذا فى معابد الهندوس ومزاراتهم من التماثيل والنقوش البارزة والتى تعد بالآلاف .

وإذا نظرت إلي تلك التماثيل من الناحية التشريحية أبصرت فيها من الأدلة على روح المغالاة والغريزة عند الهندوس ، فترى الصدور والأوراك فى تماثيل النساء نامية نموا لا تشاهد مثله فى الطبيعة . وترى الآلهة ذات الأذرع الأربع مما يكرهه الأوربى ، غير أن هذه الصور ذات حيوية شاملة للنظر ، وذلك خلافا للتماثيل المتصلبة الكئيبة المصنوعة فى العصور الوسطى . وفى عالم الآلهة الأبطال والإلهات التى تملأ المعابد أكثر الأطوار حياة والأوضاع تنوعا ، فيتخيل إلي الناظر إليها أنها توشك أن تنزل من قواعدها لتتقدم نحوه .

وكانت التلمودية الصهيونية وراء الأدب والفنون . فقد كانت الصناعة الغالبة لليهود القصة والرواية وما يتصل بها فى المسرح والسينما . فقد أقاموا الأدب على اعتبار الانسان لذاته والعمل على مقتضى المنفعة والمطمع الفردى . وقد عمد كتّاب الصهيونية إلي توفير أسباب الفساد فى الروايات المكشوفة والصور العارية والأغانى البذيئة .

وكان لليهود تأثيرهم الواضح فى الموسيقى.يقول هنرى فورد [١] . فى كتابه "اليهودى العالمى" الموسيقى الشعبية الرخيصة هى احتكار اليهود، وليست موسيقى الجاز الا احتكارا يهوديا .

هذا ورسم المناظر والأشخاص الدينية التى تعلق فى الكنائس إنما مصدره الدين المسيحى .

---

[١] أنور الجندى . المرجع السابق ص ١٦٣ .

ونفى الإسلام أية صورة دنيوية لله مما يعرفه المخلوق ، وجسده كقوة معنوية ، يطعِم ولا يطعَم ، لا يلد ولا يولد . وقد أعطى هذا المغزى اتجاها مميزا للفن الاسلامى ، إذ تجسد على هيئة مجردات لا نمائية تخضع لقوانين هندسية فيها التماثل، والتكرار ، والإيقاع ، والشكل الهندسى المخلص من الارتباط بالظاهرة الطبيعية .

ولقد كان أهم تجريد ازدانت به المساجد هو الكتابة العربية بأنواعها المختلفة ، والثلث ، والنسخ ، والكوفى ، والديوانى ، والرقعة ، والخط الزخرفى ، حتى أن الاسلام كان يطمس الصور الموزايكو ، كما حدث فى كنيسة أيا صوفيا ليضع بدلا لها كلمة " الله " " محمد " " أبو بكر " علىّ " ، والآيات القرآنية المختلفة والتجرد من الصور البصرية هى دعوة للإنسان أن يعمم ، فالصورة شئ ملموس مقيد باللحظة العارضة ، ولكن الرسوم الهندسية ، والتلقائية هى تعميمات تنشد الوحدانية بقوانين تشكيلية وتبحث عن النظام بلا بداية أو نهاية هى صفحة مسترسلة ، تأخذك يمينا ويسارا ، وأعلى وأسفل وفى كل اتجاه ، أى أنها شبكة متصلة تسمح بالتجمع ، والانتشار ، والتداخل بسلاسة وطلاقة . هى خلاصة تجربة الفنان المسلم عبر العصور ، كسى بها الآيات القرآنية ، فى المصحف وعلى الجدران ، فى المساجد ،وفوق القباب ، وحول المآذن التى تميز المدن الاسلامية بتكاثرها وتصاعدها ، وفوق كل المبانى العادية التى يقطنها الانسان لتقول بعبارة وجيزة " الله أكبر " .

والفن الاسلامى فن جماعى مرسب ، يمثل خبرة الأجيال ، وهـــو تعبير عن اتفاق عام يرثه الصبى عن معلمه ، والمعلم عن أبيه [١] .

ولابد للفن والفنان من إتقان العمل واستكماله . وفى هذا يقـــول سبحانه وتعالى " أنا لا نضيع أجر من أحسن عملا " (النساء : ٢٨) ، وإحسان العمل إجادته ،والوصول به إلي درجـــة الحـــذق والكمـــال . والاتقان صفة ضد التعجل والاستهتار،وضد الإهمال والكلفتة.وعلى ذلك يتدرب الانسان على الاتقان فيكتسب من خلاله عادات الدقة والإيجابية .

ويوجه الاسلام المسلمين نحو الجمال والتزين ، فهو يحض المسلمين على أن يتزينوا حين يذهبون إلي المساجد حتى يبدو مظهـــرهم جمـــيلا . يقول تعالى : " خذوا زينتكم عند كل مسجد " (الأعـــراف : ٣١) . ويقول عز وجل : " انا جعلنا ما على الأرض زينة لها " (الكهف : ٧) ثم يستنكر :" قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده "(الأعراف : ٣٢) ويقول عز وجل:" المال والبنون زينة الحياة الدنيا"(الكهف : ٤٦) .

ويوجه الإسلام الانسان ليرى البيئة التى خلقها بقدرته ويتذوقها : "أفلا ينظرون إلي الإبل كيف خلقت ، وإلي السماء كيف رفعت ، وإلي الجبال كيف نصبت ، وإلي الأرض كيف سطحت ، فذكر إنما أنـــت مذكر " (الغاشية ١٧- ٢١) [٢] .

ولا يسوى القرآن الكريم بين الانسان المبدع وغير المبدع . يقول سبحانه وتعالى:" أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون"(النحل : ١٧)

---

[١] محمود بسيونى . التربية والفن ص ٢٥٦ -٢٥٧ .
[٢] نفس المرجع ص ص ٢٧٣ -٢٧٤ .

الفصل الثانى عشر

الدين والمعايير الاجتماعية

المعيار Norm من اللفظة اللاتينية Norma هو قاعدة أو مقياس أو نمط للسلوك. والمعايير الاجتماعية بذلك تكون قواعد للسلوك ، أو بمعنى آخر ، مقاييس من خلالها يحكم على السلوك بأنه مقبول أو غير مقبول اجتماعيا ، ويكتسبها الانسان خلال معيشته فى بيئته الاجتماعية .

وتعمل المعايير الاجتماعية على إقامة نسق من التبريرات والتعقلات للظروف الراهنة الموجودة فعلا ، وتوجه الأفعال ، وهو بذلك ليس متوسطا إحصائيا للسلوك الفعلى ، ولكنه تحديد ثقافى للسلوك المرغوب فيه فكثير من العادات الاجتماعية تعتبر بمثابة قوانين كالإجراءات الخاصة بالزواج[١] .

وتتمثل المعايير الاجتماعية فى العادات والعرف والقيم والتقاليد والقانون والرأى العام والرقابة الاجتماعية .

العادات Habits :

العادات ظاهرة اجتماعية ، وهى قاعدة أو معيار للسلوك الجمعى، تشير إلى الأنماط السلوكية المشتركة ، وأفعال الناس التى تعودوا عليها فى جماعة أو بجتمع معين ، وسلوكهم على نحو شبه آلى بفضل التكرار المستمر،والتعلم،والتدريب وإلى هذا الطابع الشبه آلى يعزى الشعور بعدم الارتياح الذى نحس به عندما نسلك سلوكا خارج عن تلك العادات .

١- See C. Morris R., Atypology of Norms, A.S.R, Vol 21, P.P610- 613 .

والعادات جزء هام أو فصل هام من دستور الأمة غير المكتوب بيد أنها مدونة فى صدور الأفراد ، وراسبة فى تكوينهم . وتتمثل العـادات فى اللغة والأنماط الرمزية الأخرى التى تعبر عن أفكار الفرد ومعتقداته وأنواع السلوك كآداب المائدة ، والأزياء ،وأسلوب الحديث ، وطرق التحيـة ، والاستقبال ، والتوديع ، والتهنئة ، ومثل عادة التدخين ، وتناول القهوة والشاى ، والتوسعة على الأطفال فى أيام العيد (العيدية) .

وبعض العادات شاذ وضار ، ويمثل حالة مرضية تنتاب الجماعة ، وهى عادات يأخذ بها بعض الأفراد أو الطبقات . وتتمثل تلك العادات فى زيارة الأضرحة والمقابر ، وأكل الفسيخ فى الحدائق العامة أيام شم النسيم، وتهريج العوام فى مناسبات الأعياد ، وتعاطى المخدرات والخمور [١] .

العرف Usage :

العرف عبارة عن طائفة من الأفكار والآراء والمعتقدات التى تنشأ فى جو الجماعة ، وتمثل مقدسات الجماعة ومحرماتها ، وتـنعكس فيمـا يزاوله الأفراد من أعمال ، وما يلجأ إليه فى كثير من مظـاهر سـلوكهم الجمعى . وينحصر نطاق العرف فى طبقات أو مجموعات معينة داخـل المجتمع على الرغم من أن له فى كثير من الأحيان احتراما يضفى عليه قيمة توحى لأعضاء المجموعات الأخرى بمحاراته وتقليده .

والعرف وما يتصل به من العقائد الشعبية وأفكار العوام له طبيعة إلزامية ، ويعتبر أهم جزء من دستور الأمة غير المكتوب ، ويعد الخـروج

١- د . حسين عبد الحميد أحمد رشوان . المجتمع – دراسة فى علم الاجتماع ص ٢٠١ .

عليها خروجا على قوانين المجتمع غير المكتوبة (الشفهية) ومع ذلك فإن الرأى الشائع هو الذى يحمى العرف لا السلطة التشريعية .

وينساق الأفراد فى ركاب العرف،ومن يحاول أن يتصدى لما يفرضه من مظاهر السلوك أو المعتقدات والآراء يقابل من الجماعة بقوة تتناسب مع قوة العقيدة التى خرج عليها،ومبلغ تأثيرها على ضمير الجماعة.

ويتمثل العرف فى الجانب السلبى لمحرمات ومقدسات أى مجتمع ، وتحريم بعض الأعمال لإرتباطها بقوة مؤثرة فى الحوادث ، مثل " لا تسرق" و " لا تضرب امرأة " و " لا تسر فى الطريق عريانا "و " عدم كنس الشوارع ليلا " و " عدم كنسها يوم سفر صاحبها " ظنا منهم أن هذه الأمور تجلب التعاسة وتسبب حوادث مؤلمة . ومثل" التشاؤم من سماع نعيق البوم " وعدم التفكير فى اقتنائها ، وعدم لمس المحرمات ، وعدم ذبح بعض الحيوانات ، وعدم أكل لحم بعض الطيور لارتباطها بأصول قدسية ، أو لارتباطها بأفكار وتصورات خارقة . فأمريكا لا تأكل لحوم الخيل بينما يأكلها الأور بيون ، وأهل الصين لا يأكلون منتجات الأبقار بينما يأكلها المصريون . وهنود البرازيل يأكلون أنواعا من النمل والحشرات بينما لا يأكلها الأوربيون .والعشائر البدائية تحرم أكل توائمها، بينما تعتبر هذه التوائم من أهم أنواع الغذاء الحيوانى عند غيرهم من الشعوب . ومثل الاعتقاد فى التأثير الخارق للشياطين والأرواح الخبيثة ، وأثر هذه الآراء فى أعمال الأفراد .

ويختلف العرف عن العادات فى ارتباطه بالناحية العقائدية والعقلية. أما العادات فهى فى معظمها أفعال وأعمال . ويخضع العرف للتطور شـأنه شأن العادات،غير أن تطوره بطئ ، وفى حدود ضيقة [١] .

القيـم :

هى وسائل مثالية للسلوك . وتشمل كل الموضوعات والظـروف والمبادئ التى أصبحت ذات معنى خلال تجربة الانسان الطويلـة ، مثـل الحق، والخير ، والجمال ، والشجاعة ، والقوة ، والإيثار ، والمهارة الفنية، وضبط النفس ، والدقة، والامانة،والصمت أو الثرثرة ، واتزان ، والعقل ، والانفعال ، والحب ، والحرية ، والعدالة ، والحق، والأمـن،والسـعادة، والحرية، والمساواة .

وتختلف القيم باختلاف السلالة أو الجنس أو الطبقـة فى النسـق الاجتماعى،ومع ذلك تظل قيم ذات عمومية لجميع الأعضاء على الرغم مـن أن الكثير قد يفشلون فى تحقيقها فى سلوكهم الفردى أو الاجتماعى. وكـل ثقافة لها مجموعة من القيم،ولكن درجة تقبل أفراد المجتمع عليها متفاوتة .

ويأخذ النسق القيمى شكل التنظيم الهرمى ، فتوضـع القـيم فى أوليات حسب أهميتها . فقد تكون قيم الحق والجمال والدين بالنسبة لفرد أو جماعة على قمة الهرم القيمى ، وتكون قيم مثل النظم والثروة فى قاعدة الهرم . وقد يأخذ هذا الهرم بالنسبة لفرد أو جماعة أخرى شكلا معاكسا.

وللدين أثر واضح على نسق القيم ؛ إذ تفسر القيم بما لها من قوة فى توجيه أفعال الفرد نحو غايات ومصالح المجتمع فمشـاركة الاعتقـاد

---

[١] د . مصطفى الخشاب .علم الاجتماع ومدارسه – الكتاب الثانى – دعائم علم الاجتماع وحقائقه ص ١٤٦ .

والشعائر تتضمن أن علاقة الجماعة بالمقدس بطريقة مـا يتعلـق بـالقيم الأخلاقية للجماعة . هذه العلاقة الضمنية تظهر بوضوح فى ملاحظة منع جماعة معينة من نوع معين من الطعام أو الحيوانات . فعدم أكل لحم البقر عند الهنود هو قيمة دينية يتمسك بها الهنود جميعا . فالبقرة هـى شـئ مقدس عند الهنود ، وامتناعهم عن أكلها هو قيمة أخلاقية أيضا ، وذلك لأن عدم أكل لحمها يميزهم عن الذين يأكلون لحم البقـر أو الـذين لا يأكلون لحم الخنـزير .

وكانت اللوائح الاخلاقية تحاط بالمقدسات الدينية إذ توجد علاقة بين القيمة الأخلاقية المشتركة بين أعضاء الجماعة، وبـين المقـدس أو الأوامـر الدينية،والعلاقة بين مفهوم الناس للمقدس والقيم الأخلاقية يمكن توضيحها مـن خلال معرفة مفهوم الانسان عن المقدس والذى يفترض عليه قيمة أخلاقية .

ففى المجتمعات الرعوية يأخذ الإله شكل الراعى الصالح ، ولذلك فإن القيام بصفات الراعى الصالح تصبح مثلا للقيمة الأخلاقية ، وتوضح العلاقة بين الإله والمؤمنين به .

ويزود الدين الانسان بهدوء النفس ، وسلامة العقل ، فعالم اليوم ملئ بالمخاطر الجسيمة ، والشكوك والأوهام . وهناك حاجة ماسـة إلي الإحساس بالأمن والطمأنينة .

ومن العوامل المؤثرة فى السلوك الخلقى إرتياد أمـاكن العبـادة . ولقد وجد " هرتشون و ماى " أن مقدار الغش يقل بارتياد الكنيسـة .

كذلك وجد أن الأطفال الذين يرتادون الكنيسة يحصلون على درجات أعلى فى اختبار " مساعدة الغير " أو النزعة نحو مساعدة الآخرين [١] .

وتبين من الدراسات التى أجريت أن المسيحية فى شكلها البروتستنتى تنمى الاتجاهات أو القيم بتنمية الحاجة العالية إلي الانجاز . كما قد يكون من السهل أن نستنتج أن المسيحية البروتستانتية كانت مسئولة إلي حد كبير عن ظهور التحسينات العظيمة التى حدثت فى التنمية الاقتصادية فى كل مكان من العالم فى وقتنا الحاضر .

وقد أظهرت الاختبارات الأولية أن البروتستانت يفضلون استقلال أطفالهم المبكر ، وإجادتهم لمهارات معينة ، وذلك أكثر مما تفعله الجماعات الكاثوليكية الجديدة [٢] .

ويؤكد الدين حق الانسان فى الحياة ، وفى الحرية ، وفى الكرامة ، وفى العيش الهنئ ، وبحيث يكون حرافى تفكيره ، وفى إبداء رأيه ، والتعبير عنه بالوسائل المشروعة . ومع ذلك فهو يضع قيودا على حرية الانسان فيما يجاوز حد العفة والقصد والاعتدال . وحض الاسلام الفرد على أن تكون له كرامته الانسانية ، فلا يناله أذى من قول أو عدوان [٣] .

[١] انظر د . عبد الرحمن العيسوى . النمو الروحى والخلقى والتنشئة الاجتماعية فى مرحلتى الطفولة والمراهقة نقلا عن مجلة عالم الفكرة . المجلد السابع ، العدد الثالث ، ١٩٧٦ ص١٤٧- ١٦٥ .

[٢] دافيد ما كليلاند : مجتمع الانجاز — الدوافع الانسانية للتنمية الاقتصادية للتنمية الاقتصادية ص ٢٠١- ٢٠٢

وانظر د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان . الطفل دراسة في علم الاجتماع النفسي ص ٩٢ -٣٩ .

[٣] انظر أحمد الشرباصى . الدين والمجتمع فى ضوء الميثاق الوطنى ص ٢٣
وانظر محمد كامل حفنى . القيم الدينية والمجتمع ص ٨٩.

ويحث الدين الاسلامى المسلمين على السلوك وفقا للقيم الدينية . فهو دين الوسطية قال تعالى: " وجعلناكم أمة وسطا " . والوسط هو الخير . قال صلى الله عليه وسلم : " خير الأمور أوسطها ". والاسلام وسط لأنه راعى مطالب الجسد والروح . وهو وسط بين الروحانية المتطرفة ، والمادية المغالية .

ودعا القرآن إلي التوسط فى الانفاق بين التقتير والتبذير .قال تعالى: " ولا تجعل يدك مغلولة إلي عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما مسحورا " (الاسراء : ٢٩) .

ودعا القرآن عباد الله إلي التوسط فى النفقة والاعتدال . فالفضيلة وسط بين طرفين كلاهما رذيلة ، والاعتدال فى النفقة وسط بين البخل والاسراف . قال تعالى : " والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما " (الفرقان : ٦٧) [١] .

والاسلام وسط لأنه الصراط المستقيم . قال تعالى : " وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به الله لعلكم تتقون " (الانعام : ١٥٣) . والصراط المستقيم هو الطريق الذى لا عوج فيه ولا انحراف [٢] .

ويحض الاسلام الناس علىتأدية الأمانات إلي أهلها،وأن يحكموا بين الناس بالعدل،فالعدل أساس الملك،ذلك أن الحكم بين الناس بالعدل يحفظ بناء المجتمع،ويسد طريق الحقد والنزاع.والعدل مطلوب ولو كان على الوالدين أو الأقربين ، والعدل مطلوب ولو كان صاحب

١- د. عبد الله محمود شحاتة .الدين والمجتمع . ص ٩ .
٢- حسن توفيق شريف . الاسلام وقضايا المجتمع ص ٣ .

الحق مكروها ، أو معاديا إذا حدث نزاع حول الحق ، فإذا ما اختلطت الأمور يرجع إلي كتاب الله وسنة رسوله .

يقول الله سبحانه وتعالى : " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلي أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به، إن الله كان سميعا بصيرا . يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وأولى الأمر منكم ، وإن تنازعتم فى شئ فردوه إلي الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا" (النساء: ٥٨-٥٩)

ويقول سبحانه وتعالى".....اعدلو هو أقرب للتقوي ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون" . (المائدة: ٨)

ومن آداب الاجتماع فى الاسلام رد التحية بأحسن منها أو بمثلها على الأقل ، فالوجه الطلق والبشاشة عند اللقاء من بواعث الألفة والمحبة .

يقول سبحانه وتعالى : "وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ، إن الله كان على كل شئ حسيبا " . (النساء : ٨٦)

ويحث الاسلام على عدم حكاية المفاسد وتداول الكلام عن الأخطاء ، فهذا يفقد ثقة الناس فى مجتمعهم ويضعف عزائمهم ويكسر نفوذهم . والله لا يحب الجهر بالسوء من القول ، وينهى عنه ولكن يجوز الجهر بالسوء إذا وقع على الانسان ظلم ، وهو يريد أن يرفعه ، فإذا ارتفع عنه فلا داعى للحديث فيه وتعميق الاحساس بما حدث من الظلم . يقول تعالى : " لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ، وكان الله

سميعا عليما ، إن تبدو خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كـــان عفوا قديرا " (النساء : ١٤٨-١٤٩) [1].

ويعتبر الاسلام أن الاعتداء على الفرد اعتداء على الجماعة كلها، والاحسان إلي الفرد إحسان إلي الجماعة كلها . يقول الله تعالى: " مــن قتل نفسا بغير حق أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومــن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا " (المائدة : ٣٢) .

وقارن الاسلام بين الخير والشر ، والهدى والضـــلال ، والحـــق والباطل ، والمؤمن والكافر ... لا يستوون .

يقول سبحانه وتعالى : " وما يستوى الأعمـــى والبصـــير ، ولا الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحيـــاء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور إن أنت إلا نذير" (فاطر : ١٩ - ٢٣) .

ويحث الاسلام على مسارعة الجميع إلي الاصلاح بين الطوائـــف المتقاتلة . حتى يسود السلام وتعم العلاقات الطيبـــة . فـــإن اســـتجابوا للإصلاح كان خيرا ، وإن أبت طائفة باغية وركبت رأسها فعلى الجميع أن يقاتلوها حتى يعود العدل ، وترجع الجماعـــة إلي أمـــر الله بـــالأخوة والمحبة.فإن رجعت كفوا عنها القول وباشروا الصلح بالعدل وإزالة آثـــار الظلم والعدوان .

يقول الله سبحانه وتعالى : " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلـــوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى

---

[1] د . عبد الهادى الجوهرى . دراسات فى علم الاجتماع الاسلامى ص ٦١- ٦٢ .

تفئ إلي أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسـطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقـوا الله لعلكم ترحمون " (الحجرات : ٩- ١٠) .

ويدعو الاسلام إلي العلاقات الطيبة ، وينهى عن كل مـا يضـر بالعلاقات ، وينهى عن سخرية الأفراد أو الجماعات بعضهم لبعض ، وعن ذكر عيوب الآخرين ونقائصهم بالقول أو الإشارة ، ومن مناداة الأخ أو دعوته بما يكره من الألقاب أو الأوصاف . كما ينهى عن ظن السوء بغير دليل وعن التجسس والغيبة . وصور القرآن المغتاب فى أبشع صورة وأقبح حالة كمن يأكل لحم أخيه وهو ميت .

يقول سبحانه وتعالى: " **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم مـن قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن، ولاتلمزوا أنفسكم بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** " . ويقول تعالى : " **ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسـوا ولا يغتـب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتـا فكرهتمـوه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم** " (الحجرات : ١١ -١٢) [١] .

ويدعو الاسلام المسلم إلي الصدق وينأى به عن الكذب . عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسـلم : " **إن الصـدق يهدى إلي البر ، وإن البر يهدى إلي الجنة ، وأن الرجل ليصدق حـتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدى إلي الفجـور، والفجـور**

---

[١] د . عبد الهادى الجوهرى . دراسات فى علم الاجتماع الاسلامى . ص ٦٣ .

يهدى إلي النار ، وأن الرجل ليكذب حتى يكتب عنـــد الله كـــذابا " (متفق عليه) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "آية المنافق ثلاث :إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلــف ، وإذا أؤتمن خان " (متفق عليه) .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم . حملهم على أن يسفكوا دماءهم ، واســتحلوا محارمهم " (رواه مسلم) .

وعن ابن عمر وعائشة رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه ســيورثه " (متفق عليه) .

وعن ابى شريح الخزاعى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليــه وسلم قال :" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحســن إلي جــاره ، ومن يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يــؤمن بــالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت " .

وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليس منا من لم يرحم صــغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا " (أبو داود والترمذى) .

ويدعو الاسلام إلي الجليس الصالح - لا جليس السوء .عــن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إنما

مثل جليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير . فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد عنده ريحا طيبا . ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة " (متفق عليه) [١] .

الرقابة الاجتماعية أو الضبط الاجتماعي Social Control:

يقصد بالرقابة الاجتماعية كافة العمليات والإجراءات المقصودة وغير المقصودة والوسائل والأساليب التي يتبعها المجتمع لحفظ النظام والإشراف على سلوك الأفراد ، وحملهم على أن يسلكوا طبقا للمعايير والقيم والنظم الاجتماعية السائدة في المجتمع .

وقد عرف جلن [٢] الرقابة الاجتماعية بأنها : مجموعة من الإجراءات أو الوسائل كالإيحاء والإغراء والضغط والإلزام ، أو كل أي وسيلة أخرى بما في ذلك القوة المادية التي بواسطتها يجعل المجتمع جماعة فرعية منه Subgroup تسير وفق الأنماط السلوكية المتعارف عليها .

والرقابة الاجتماعية هامة لأن الفرد لو ترك دون رقابة فإنه سوف يضرب بالمعايير الاجتماعية عرض الحائط . وهنا يصبح الضبط أو الرقابة الاجتماعية ضرورة ملحة .

وتتخذ الرقابة الاجتماعية أشكالا متعددة ، فقد تتخذ شكل القوة المادية أو المعنوية . والقوانين الجنائية و المدنية والتجارية تعتبر من أهم مظاهر الرقابة . كما قد تتخذ شكل الإيحاء والإغراء كالفن الذي يغرس في نفوس الأفراد السير على الأنماط الاجتماعية ، وكذلك الصحافة

---

[١] د. عبد الهادي الجوهري . دراسات في علم الاجتماع الاسلامي ، ص ٦٤ -٦٦ .
[٢] د. حسن شحاتة سعفان . أسس علم الاجتماع ص . ٢٤٨ .

والإذاعة المسموعة والمرئية.كما تعتبر الترقيات والعلاوات والدبلومات والجوائز والاحتقار والفصل(الرفت) أشكالا من الرقابة الاجتماعية .

ويعتبر الضبط الاجتماعى أحد المهام الرئيسية للدين حيث يقوم الدين بالإشراف على سلوك الأفراد والجماعات،وحملهم على أن يسلكوا طبقا للمعايير والقيم والنظم الاجتماعية السائدة في المجتمع .

صحيح أن هيئات أخرى تقوم بتعزيز ما تقوم به الهيئة الدينية وذلك كالأسرة والمدرسة والحكومة والقانون،إلا أن الهيئة الدينية تبقى لها الدور الرئيسى في هذا المجال،وذلك بما تملكه من استخدام أساليب الجزاء المختلفة .

ويعتقد جورج ليند برج[١] أن الضبط الاجتماعى يختلف باختلاف الأديان والعصور والمجتمعات.ويعتبر أن رجال الدين يمثلون طبقة إجتماعية كاملة أهم وظائفها تربية الشباب وتعليمهم والمحافظة على تقاليد المجتمع والإشراف على ممارستها ، وتدعيم القيم والأعراف . ويضيف أن بعض الثقافات يمارس رجال الدين فيها المهام السياسية والقضائية والتنفيذية .

وهكذا يتبين مقدرة البناء المعيارى على فرض نفسه على الأفراد بما يملكه من سلطة معنوية مستمدة من الدين.فللدين أثره الفعال في سلوك الإنسان ، وفي شتى أمور دنيا الناس وآخرتهم ، وفي الحرب والسلام وفي الزواج والموت وفي الزراعة والتجارة ، وفي الحضارة والمدنية .

ففيما مضى كانت هناك ديانة قديمة ، وهى ديانة زراعية مصحوبة بأعياد الربيع ومواكب ألعابها ومزاراتها وطقوسها الجنسية وأغانيها الغرامية ولما أسست المدن الاقطاعية لم تعد هذه الأعياد الزراعية كافية في ضمان

١- أنظر د.سامية محمد جابر.النظم والجماعات الاجتماعية والضبط الاجتماعى، ص ص١٩٥ — ١٩٦ .

النظام الطبيعي . وهنا من الواجب أن يكون هناك رقابة مستمرة حتى تجرى الأمور في المدينة على خير وجه .

وهكذا يرث الشريف ذلك الطابع المقدس الذى كانت تتصف به الأعياد . وإذا احتفظت الأماكن المقدسة بقيمتها السحرية فالسبب في ذلك يرجع إلي أن هذه القوى السحرية تندمج في القيمة الغيبية لرئيس المدينة(Granet La Civilisation Chinoise) .

وتحث التعاليم الدينية الناس على المثابرة في حياتهم ، وتنمى الطريق إلي حياة أفضل . وهى ترعى الفضيلة الاجتماعية ، وتضع القواعد والقوانين التى تنظم العلاقة بين الفرد والمجتمع ، وتسد حاجات الأفراد المعنوية والانفعالية ، وتقدم طرق لإشباعها . إنها تمنحهم الخوف والأمل والشك والإخلاص ، والشعور بالعجز والشعور بالقوة . إنها مصدر الابتسامة والبكاء ، والحب والتسامح والغفران . فما من فرد من الأفراد ، إلا ويبتهل في بعض اللحظات سائلا — من أنا ؟ ومن أين أتيت ؟وما هى عقيدتى ؟ .

الفصل الثالث عشر

الدين والعمليات الاجتماعية Social Processes

لا يعيش الأفراد فى المجتمع منفصلين الواحد عن الآخر ، ولكنهم يرتبطون بعلاقات وروابط ، ويتصل الواحد بالآخر مما ينتج عنه ما نسميه بالتفاعل الاجتماعى . ويقصد بالتفاعل الاجتماعى التأثيرات المتبادلة التى تحدث بين الأفراد والجماعات بحيث يؤثر كل فرد ويتأثر بالآخر ، إذ يبدأ كل شخص بفعل اجتماعى action ، يعقبه رد فعل reaction يصدر عن شخص آخر . ويحدث ذلك فى محاولة من الأفراد لحل مشاكلهم . وفى كفاحهم من أجل الوصول إلى الأهداف .

وينشأ عن التفاعل الاجتماعى ما نطلق عليه" العمليات الاجتماعية" وهى أنماط التفاعل المتكرر للسلوك،وأساليب مميزة للتفاعل الاجتماعى توجد فى الحياة الاجتماعية.أنها سلسلة من الحوادث المترابطة التى تؤدى إلى نتائج محددة يمكن التنبؤ بها،وقد تكون استمرار فى مجرى الحوادث الاجتماعية دون تغيير وقد تتضمن تغييرا في النظم الاجتماعية ، وفي مجرى الحوادث الاجتماعية .

التعاون :

تشتق كلمة تعاون من كلمتين لاتينيتين ، فكلمة co تعنى together وكلمة operari وتعنى عملWork. والتعاون عملية اجتماعية ، وهو الشكل الرئيسى للعلاقات والتفاعل داخل الجماعات . فالناس لا يستطيعون أن يجتمعوا على غير تعاون ، أو دون أن يشتركوا معا فى العمل من أجل السعى وراء المصالح المشتركة . ويقصد بالتعاون اشتراك فردين أو أكثر ، أو جماعتين أو أكثر لإنجاز عمل معين أو تحقيق غاية أو هدف مشترك ، أو السعى وراء المصالح المشتركة .

والتضامن Solidarity لفظة تدل على تبعية متقابلة بـين جهتين تقتضى ان ما يقع لإحداها يكون ذا تأثر فى الجهة الأخرى. وشاع هـذا الاستخدام لدى الكثير من علماء الاجتماع .. فيرى بعضهم أن التضامن نوعان : ميكانيكى – أى آلى ، ويرجع إلي اندماج الفـرد فى مجتمعه وأخذه بعاداته وتقاليده وعواطفه وشعوره ، وعضوى قائم على تقسيم العمل والتزام كل بوظيفته وما عليه من واجبات[١].

وقد ظهر فى أوروبا وفى فرنسا بالذات ، مذهب التضامن ،وكان مما قاله أشهر أصحاب هذا المذهب ، وهـو " ليـون بورجـوا " : أن الشخص يولد ، وعليه دين للمجتمع الذى يدخل فيه ، وهذا الدين الذى فى ذمته نحو الحاضر يتحتم عليه أن يدفعه للمستقبل ، وذلك بعمله على زيادة الأموال المادية والمعنوية التى ستخلف للأجيال القادمة . وقال أحد علماء القانون الذى أخذ بهذا المذهب أن للدائن حق أخذ دينه من أحد الدائنين على أساس تضامن المدينين جميعا فى سداد الديون [٢].

ويقوم الإسلام على أن أفراده وحدة تتعاون وتتضامن فى مواجهة الحياة ، وتتعاون فى حمل أعبائها ، ويساعد بعضهم بعضا فى الأزمـات . يقول سبحانه وتعالى : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان،واتقوا الله فإن الله شديد العقاب "(المائدة :من الآية ٢) .

ولقد شهد العالم الاسلامى فى السنوات الأخيرة دعوة إلي ضرورة تضامن دول العالم الاسلامى بل وتوحدها، خاصة وأن عدد أفراد الكتلة

---

[١] تصدير ومراجعة د . ابراهيم بيومى مدكور . معجم العلوم الاجتماعية ص ١٤٨.
[٢] انظر حمزة الجميعى الدمهوجى . الاقتصاد فى الاسلام ص ٢٤٤
وانظر محمد عطية الإبراشى . روح الاسلام ص ٢٨٠ .

البشرية الاسلامية فى العالم يصل إلي ألف مليون نسمة فهناك مثلا نحـــو أربعين دولة إسلامية ،وهى تلك الدول ذات السيادة والتى تتمتع بعضوية هيئة الأمم المتحدة .

والتضامن الاسلامى والتعاون بين الدول الاسلامية أمر مطلــوب ومرغوب فيه .

ويتخذ التضامن فى الاسلام معنى إنسانيا قال الله تعالى : "**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب** " (المائدة : ٢) . وقال جل شأنه : " **واعتصموا بحبـــل الله جميعا ولا تفرقوا** " (آل عمران : ١٠٣) . وقال ســبحانه : " **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** " (آل عمران : ١٠٥) وقـــال ســبحانه "**والمؤمنـــون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** " (التوبة : ٧١) .

وتعددت الأحاديث النبوية التى تـــدعو المســـلمين إلي الاتحـــاد والتعاون: قال صلى الله عليه وسلم : **ولا تقـــاطعوا ولا تـــدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا** " . وقال عليه الصلاة والسلام :"**يد الله مع الجماعة** " .

ويعنى كل هذا أن المسلمين يجب أن يتحدوا . والأخـــوة الحقـــة تستلزم التعاون والتعاطف والتكامل للتغلب على ما يعترض المسلم مـــن صعوبات. والمؤمن الكامل هو الذى يشارك أخاه فى الســـراء والضـــراء والسعادة والشقاء [١] .

---

[١] د . عبد الهادى الجوهرى . دراسات فى علم الاجتماع الاسلامى ص ص ٧ـ ١٠ .

وللتضامن فى الاسلام صورا عديدة ،منها الوحدة ، والتكامـــل ، والتكافل الاجتماعى ، والتعاون ،والتنسيق ، والتعاطف . ففيما بين الدول الاسلامية يكون التضامن والتعاون فى الصور الآتية :

التضامن لحل مشكلات التضخم السكانى :

الواقع أن معدل النمو السكانى فى معظم الدول الاسلامية ، أعلى من معدله العالمى، فبينما يبلغ المعدل العالمى ٢%فى السنة يصل فى بعـــض البلاد الاسلامية إلى ٣% أو أكثر ، ولكنه مع ذلك ينخفض فى بعضـــها الآخر عن المعدل العالمى . ومعنى ذلك أن هناك تباينا واضحا بين البلاد الاسلامية فى معدلات نمو سكانها [١].

والواقع أن فتح باب العمل فى الدول النفطية العربية ،وخصوصـــا دول الخليج العربى قد أوجد متنفسا هاما للعمالـــة المتـــوفرة فى الـــبلاد الاسلامية الأخرى المزدحمة ، وساهم فى حل بعض مشكلات هذه الدول، كما ساهم فى نفس الوقت فى سرعة تنفيذ برامج التنميـــة والتطـــوير فى الدول النفطية ذاتها .

التضامن فى المجال الزراعى:

يظل الانتاج الزراعى وما يرتبط به من انتاج حيوانى الأساس الذى يعتمد عليه الاقتصاد القومى فى أغلب دول المسلمين . ومن الثابـــت أن العالم ومنه معظم الدول الاسلامية تقاس من أزمة غذائيـــة مســـتحكمة وتزداد هذه الأزمة يوما بعد يوم بسبب ارتفاع معدلات النمو السكانى ، وتزايد الطلب علـــى الغـــذاء وتصـــاعد أســـعاره بشـــكل جنـــونى ،

---

[١] نفس المرجع ص ص ٣٣ ــ ٣٥ .

وتناقص خصوبة الأراضى الزراعية فى كثير من البلاد وازدياد ملوحتها بسبب رداءة الصرف .

ومما زاد المشكلة تعقيداً أن بعض الدول التى كانت تساهم فى تجارة الحبوب الغذائية بما تصدره من فوائض محاصيلها مثل الاتحاد السوفيتى والأرجنتين لم تعد تكفى نفسها فتحولت إلى الأسواق العالمية لاستيراد ما يكفيها وخصوصا من القمح والأرز والسكر فارتفعت الأسعار بدرجة أرهقت ميزانيات الدول الفقيرة.ومن بينها معظم الدول الاسلامية غير النفطية ، وأصبحت المساعدات التى تقدمها بعض الدول النفطية إلى العديد من هذه الدول فى آسيا وأفريقيا تستنفذ فى دفع أثمان المواد الغذائية المستوردة.ولذلك لابد أن يمتد التضامن الاسلامى إلى جذور المشكلات ولا يكون قاصرا على تقديم المساعدات المالية من الدول الغنية إلى الدول المحتاجة .

ويتميز التكافل الاجتماعى فى الاسلام بالتكافل الروحى والتكافل المادى . ويهتم الاسلام ببث دعائم التكافل المعنوى . فهو الأساس التى يقوم عليه التكافل المادى ، ويجعل الاسلام أفراده بجتمعه جسما واحدا يشعر بشعور واحد ، ويقف فى الحياة موقفا واحدا [١] . أما التكافل المادى فهو يقوم على دعائم التكافل المعنوى . فقد حث القرآن الكريم على الصدقة والنفقة على الأقارب والجيران والمحتاجين ، وكذلك مساعدة الفقراء والأرامل واليتامى . قال تعالى : " من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم " (الحديد : ١١) .

---

[١] د . مصطفى عبد الواحد، المجتمع الاسلامى ص ص ١٣٩ - ١٤٠ .

وهناك رباط عام يضمن تحقيق التكافل المادى ،وهو فريضة الزكاة التى تمسح آلام البؤس والعوز ويظلل المجتمع بظل الرحمة والحنان . فقد أوضح الله على لسان عيسى عليه السلام انها أفضل ما وصاه الله به ، قال تبارك وتعالى:" **وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا** " (مريم : ٣١).

وأوصى الله سيدنا اسماعيل عليه السلام بأنه كان يأمر أهله بهما ، فقال الله تعالى ،: " **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا** " (مريم : ٥٥) .

والزكاة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد إلي فقرائهم** . وهى فريضة مادية ، ومع ذلك فهى ترتبط بالإيمان ، ويقرر لها قداسة العبادة .

والتكافل الاجتماعى فى الاسلام يضع فى اعتباره أن للفرد ذاته مصلحة خاصة في أن يقف عند حدود معينة فى استمتاعه بحريته ، وأن للمجتمع مصلحة عليا لابد أن تنتمى عندها حرية الأفراد . ولذلك يقرر الاسلام مبدأ التكافل الاجتماعى بين الفرد وأسرته ، وبين الفرد والجماعة وبين الجيل والأجيال المتعاقبة .

أما التكافل بين الفرد والجماعة فإنه يوجب على كل منهما تبعات، ويترتب لكل منهما حقوقا فكل فرد مكلف أولا أن يحسن عمله الخاص لأن ثمرة العمل الخاص ملك للجماعة وكل فرد مكلف أن يرعى مصالح الجماعة كأنه حارس لها . والتعاون بين جميع الأفراد واجب

لمصلحة الجماعة فى حدود البر والمعروف ، والأمة مسئولة عن حماية الضعفاء فيها ورعاية مصالحهم [١].

التنافس Competition :

التنافس مظهر طبيعى فى المجتمع ، وهو شكل من أشكال التفاعل الاجتماعى ،وعملية اجتماعية تعبر عن التنازع والتعارض الاجتماعى . ويحدث التنافس بين شخصين أو أكثر ، أو جماعتين أو أكثر ، تحاول كل منهما تحقيق نفس الغرض ونفس الهدف ، وذلك فى جميع مجالات النشاط والحياة الاجتماعية ، بحيث تصل إليها قبلها أو تحصل على أكبر نصيب من هذا الهدف أو تلك الاهداف .

ويرجع التنافس إلي أن حاجات الانسان متعددة وموارد المجتمع وفرصة قليلة ومحدودة . ومن هنا تقوم المنافسة فى سبيل الحصول على تلك الحاجات . والتنافس قد يتخذ شكلا فرديا كما يحدث بين أفراد المجتمع الواحد وقد يتخذ شكلا جماعيا ، كما يحدث بين جماعة وأخرى . وقد يكون تنافسا شخصيا كما يحدث بين شخصين يريد كل منهما كسب معركة انتخابية . وقد يكون غير شخصى كما يحدث حين يتقدم عدد من الأفراد لا يعرف الواحد منهم الآخر للحصول على وظيفة .

ويقوم التنافس على جانب نفسى أساسه الطبيعة النفسية فهو يشبع حاجات الانسان إلي الأمن ، وحاجته إلي أن يلقى تقدير الآخرين . فالفرد لا يستطيع أن يغفل رأى الآخرين فيه ؛ مما يحثه دائما إلي أن يتفوق عليهم ، ويكون فى طليعة أقرانه .

١- د. السيد محمد بدوى . علم الاجتماع والنظم الاقتصادية ص ٢٠٢ .

الصراع Social Conflict :

تأخذ المنافسة فى العادة مظهر سلمياً ، أما إذا اشتدت وطأة التنافس واتخذت موقفا عدائيا سميت صراعا . الصراع إذن هو أقوى درجات التنافس ، وأشدها عنفا ، وهو رفض لعملية التعاون .

والصراع عملية اجتماعية تحدث عن قصد وتعمد بين فردين أو أكثر أو بين الجماعات ، أو بين الطبقات فى المجتمع الواحد متمثلا فى الصراع بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال ، أو بين الفلاحين والإقطاعيين ، أو بين الأحزاب السياسية ، أو بين المجتمعات بعضها وبعض . ويعود هذا إلي الكراهية والعداء ، وتعارض المصالح والأهداف ، فحين تتجانس المصالح تقل حدة الصراع ، وحين تتعارض المصالح تزداد حدة الصراع . ويسعى كل من هذه الجماعات إلي تحقيق مصالحها وأهدافها مع إبادة وتدمير الجماعات الأخرى ، مستخدمة فى ذلك كافة الأساليب سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة ، وباستخدام العنف الفيزيقى ، أو بدونه .

إن الأشراف والسوقة هم دائما أحفاد الشعوب الغالبة أو المغلوبة على أمرها.ولما كان هؤلاء وهؤلاء قد احتفظوا بتقاليدهم الدينية،فإن الصراع العنصرى يستمر أيضا داخل المجال الدينى.وحينئذ يؤدى انتصار السوقة فى نهاية الأمر إلي عودة الأفكار القديمة التى كان يظن أنها قد انقضت مع الزمن،والتى كتب لها البقاء على الرغم من ذلك فى قلوب الشعوب .

وقد يقع صراع بين الهيئة الدينية والهيئات الأخرى ، أو صراع بين الهيئات الدينية وهيئات دينية أخرى ،مثل :الهيئات الاقتصادية،والتعليمية ،

والحكومة [١]. وقد يقع الصراع بين رجل وآخر داخل الديانة الواحدة ، ويتمثل هذا فى محاولة رجل دين أن يزيح عن طريقه آخر ، ويقضى عليه، ليحل محله .

وقد تنجم صراعات ناتجة عن التناقض الموجود فى الجوانب المختلفة للبناء النظامى للمجتمع .·هذا التناقض يتيح إمكانية صراع القيم. ومن المعروف أنه فى أوقات التغير السريع يواجه أعضاء المجتمع الانسانى من وقت لآخر قيمة غير ثابتة ومستقلة . ولاشك أن معظم أفراد المجتمع فى مجرى حياتهم يحتاجون فى مراحل معينة إلي قبول قيم جديدة ،.وتعلم أنماط جديدة من السلوك وإدراك الظروف المختلفة التى يمكن أن تتضمن قيمة أو أخرى .

وفيما بين الناس ، فإن الشيطان هو مصدر الصراع والعدواة والبغضاء بين الناس . يقول جل جلاله : "**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** " (المائدة : ٩١) .

والقتال فى الاسلام فريضة دينية وواجب اجتماعى فى نفس الوقت، لأنه يقوم على دفع الظلم ومحاربة الفساد وحماية الحرمات وإقرار الحقوق ،والتكافل فى تحقيق ذلك بين جميع القادرين من أبناء الأمة على أداء هذه الفريضة . يقول سبحانه وتعالى : " **وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ،واجعل لنا من لدنك وليا**

---

[١] See B.j Skinner, Science and Human Behavior P. 353 .
وانظر د.سلمية محمد جابر. النظم والجماعات الاجتماعية والضبط الاجتماعى ص ١٩٨ .

واجعل لنامن لدنك نصيرا " (النساء : ٣٥) . ويستهدف القتال ابتغاء وجه الله ، لا الفخر ولا الغنيمة .

وقد قيد الاسلام الحرب ، ودعى إلي رد العدوان بالعدل والتقوى. بقوله سبحانه وتعالى : " وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقـــاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " (البقرة : ٩٠)

ويقول عز وجل : "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مـــا اعتدى عليكم،واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين "(البقرة :١٩٤). والتقوى هى التزام حدود الله فلا بغى ولا إسراف ، ورعاية حرمة الدماء والأعراض والكرامة الانسانية ، فلا تمثيل بجثة ولا إهدار لدم أسير [١].

التـــوافق :

يعتبر التنافس والصراع من الأمور الطبيعية فى كافة المجتمعـــات . ولما كان التنافس والصراع لا يمكن أن يستمرا إلي مـــالا نهايـــة دون أن تصاب الجماعة بالشلل والجمود كان لابد أن تلجأ الجماعـــة إلي طـــرق أخرى تحقق استمرارها وبقاءها ، ويتأتى ذلك عن طريق التوافق والتوافق هو عملية اجتماعية تشير إلي الحلول السلمية والتراضى والصـــلح بـــين الأطراف المتنافسة أو المتصارعة ليتخلصوا من الإرهاق والتـــوتر الـــذى يترتب على التنافس والصراع .

ويتخذ التوافق أشكالا متعددة تتوقف على نوع العلاقـــة بـــين الأطراف المتنازعة من ناحية تفوق إحداها على الآخر من حيث القوة أو

١- محمد كامل حتة . المرجع السابق ص ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

النفوذ ، كما تتوقف على الحضارة السائدة ، والنظام السياسى . ومن هذه الأشكال :

١- الاستسلام

٢- المهادنة

٣- التوفيق

٤- الوساطة

٥- التحكيم

٦- التسامح

وتمتلئ الحياة فى المجتمع الواحد بعمليات التنافس والصراع، وكذلك العلاقات بين المجتمعات والدول،لذلك فلابد من توافر عمليات التوافق لامتصاص التنافس والصراع.فالتجارة ونمو الزراعة تفضى إلي اختلاط الشعوب اختلاطا كبيرا.وفى هذه الحالة تعبر عن محاولة التوفيق بين المذاهب الدينية عن محاولة التوفيق بين الشعوب من الوجهة الاجتماعية .

فالصراع بين الكاثوليك والبروتستانت لم تستطع إحداهما أن تحطم الأخرى . وقد أجرى التسامح بينهما على أساس التسامح . فأوقفت كل من الكنيستين اضطهاد أعضاء الكنيسة الأخرى ، بينما تمسكت كل منهما بأن الأخرى كنيسة خاطئة [1] .

التنشئة الاجتماعية :

تعتبر التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات الاجتماعية ، فهى تحول الطفل من كائن بيولوجى أو مادة إنسانية إلي كائن اجتماعى .

---

[1] See Paul B.Harton &Chester Hunt, op. cit,304.

وهى تشكل السلوك الانسانى والاجتماعى للفرد،وهى الدعامة الأولى التى ترتكز عليها مقومات الشخصية.وهى العملية التى تتعلق بتعليم ما يجب وما لا يجب أن يفعله الفرد فى ظل الظروف المختلفة.وهى تكسب أفراد المجتمع القيم (ما يعتبر خيرا أو شرا)،والرموز الرئيسية للانساق الاجتماعية التى يشارك فيها،والتعبير عن هذه القيم والرموز فى معايير تكون الأدوار التى يؤديها هو والآخرون.وهى تعرف الفرد بتوقعات السلوك .

وتعنى التنشئة الاجتماعية إلى جانب ذلك تقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ، فهى تؤدى إلى هوية تامة identification بين مصالح الأفراد ومصالح الجماعة ، بل تؤدى إلى هوية تامة بين مصالح الجماعة ومصالح الجماعات الأخرى . والشخص المنشأ نشأة اجتماعية كاملة ليس إلا ذلك المواطن الصالح الذى يراعى العرف والتقاليد والعادات السائدة بين أفراد مجتمعه .

وقد ينظر إلى التنشئة الاجتماعية من زاوية المسافة الاجتماعية Social Distance ، والتى تعنى التعاطف الموجود بين أفراد الجماعة .وهذا التعاطف قد يكون فى صورة تقارب أو تباعد بين الأفراد ، وعلى قدر تقارب الأفراد وتباعدهم تكون درجة تنشئتهم الاجتماعية [1].

ويلعب الدين دورا هاما للفرد ، فيؤثر فى عملية التنشئة الاجتماعية ، والتى لها ارتباط بالشعائر الدينية سواء عند الولادة ، والبلوغ،والزواج ، وكل المناسبات المرتبطة بدورة فى الحياة .

---

[1] د.حسين عبد الحميد أحمد رشوان- المجتمع -دراسة فى علم الاجتماع ص ٢٢- ٢٣٨ .

وقد أكد الغزالى أن التنشئة الاجتماعية للطفل تتطلب كثيرا من الجهد والصبر والعناية. ويقول: [١] " اعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبى أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل نقش ، ومائل إلي كل ما يمال به إليه " .

التكيف الاجتماعي :

التكيف الاجتماعي عملية اجتماعية تتضمن نشاط الأفراد والجماعات وسلوكهم الذى يرمى إلي تحقيق التوفيق والمواءمة والانسجام والتساهل بين الأفراد ، أو بين الجماعات المختلفة ، أو بين الأفراد وبيئتهم. ويقوم التكيف على التحمل والتضحية ... كل يضحى بجزء من حريته أو من مصالحه فى سبيل الصالح العام ، والهدف المشترك ، حتى لا يحدث تضارب بين الأفراد فى الجماعة الواحدة ، أو بين الجماعات بعضها وبعض أو بين الاتجاهات القديمة والجديدة .

ومؤدى ذلك أن يصبح الفرد جزءا من المجتمع وعنصرا منسجما معه ، فلا يشعر بوطأة نظمه ، ولا يضيق ذرعا بأوضاعه ، بل ترسب هذه النظم والأوضاع فى تكوينه ، وتصبح جزءا من أهم مقومات شخصيته ، إذ أن عدم التكيف يؤدى إلي صراع .

والدين وسيلة للتكيف. فالمأساة والضغوط بالنسبة للانسان أمر قائم فى طبيعة الموقف الانسانى . ففى كل المجتمعات هناك فجوة قد تكون

---

[١] د . موسى محمود أبو حوسة – تصور الغزالى لعملية التنشئة الاجتماعية . مقال بمجلة دراسات (سلسلة العلوم الانسانية ، المجلد الثامن عشر) العدد الرابع ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ص٢٢٢.

واسعة أو ضيقة بين توقعات الناس والآمال المحددة لهم ثقافيا وبين إمكانية تحقيقها ، ولهذا فإن الطرق العلمية والعملية المتطورة لا يمكن أن تكــون مناسبة لكل المواقف الانسانية .

وعليه يكون التكيف ضرورة ملحة للناس فى كل مكان مع هذه المناسبات التى لا يمكن التحكم فيها . ولذلك كــان اعتنــاق الــدين والاعتقادية والأساطير الدينية من أهم الوسائل المستخدمة مــن جانــب الانسان للتكيف مع مواقف هذه الضغوط ، إذ تلعــب دورا هامــا فى التوفيق واستيعاب الأزمات .

ويرى ليفى ستروس [١] أن الأساطير الدينية ليست إلا تعبيرات أو صيغ رمزية تحل صراع القيم المتضمن فى المجتمعات التى تحتوى أبنيتها على تناقضات بنائية . وهذا يضع الكثير من الناس الذين يعيشون حياة عاديــة فى مشكلة أخلاقية . فالأساطير تحاول أن تسمح للمجتمع بالاستمرار فى تحقيق أهدافه رغم وجود هذه التناقضات ، وتؤدى إلى الــتخلص مــن التوترات الانفعالية الناجمة عن هذه التناقضات .

ويعرف الناس جيدا موقف الموت ، وأنهم سوف يموتون ، ويقوم في كل مجتمع تفسيرات دينية للموت.وبالرغم من أن هــذه التفســيرات قدمت الكثير من الاعتقادات التى تتعلق بالحياة بعد الموت،إلا أن أهم سمة لهذه التفسيرات هى أن الدين يعطينــا القــدرة علــى التكيــف مــع هذه الحقيقة .

---

[١] د . محمد أحمد بيومى . علم الاجتماع الدينى ص ٢٢٧.

كما يعمل الاعتقاد بالحياة بعد الموت على طمأنينة الأحياء ، الذين يدركون علاقتهم بالأموات ، أو يترقبون ما سوف يحدث من هؤلاء الأموات . ويخبرنا عالم الانثروبولوجيا Reo F0rture بأن هناك اعتقاد بين سكان Manus الذين يعيشون فى Bismark Archipelago، بأن أرواح الموتى تظل موجودة بين الأحياء ، وتقوم بالدور الأخلاقى لرجال الشرطة والمحافظة على قيم وأخلاق القرية .

وتعترى حياة المجتمعات مواقف الحيرة ، والضغوط ، والقلق ، وعدم تحقيق التوقعات ، ولا شك أن الدين ، وما يمارسه أعضاء المجتمع من ممارسات وشعائر دينية كفيل بأن يحقق للمجتمع توازنه وتكيفه .

الفصل الرابع عشر
الدين والأسرة

الأسرة وحدة اجتماعية مكونة من أفراد تربطهم عوامل بيولوجية واحدة سواء أكان هؤلاء من جيل واحد كالإخوة،أم من أجيال متعاقبة كالأجداد والآباء والأحفاد.فالأسرة أصغر مجموعة منظمة من أفراد، ولذلك فهى أساس المجتمع،وما المجتمع إلا مجموعة من الأسر [١].

ويرتبط الدين بالأسرة ارتباطا شديدا،فالدين له دور كبير فى النظم الأسرية:ونظم الزواج والطلاق والنفقة وغيرها من الأمور الأسرية. فالمجتمعات البدائية التوتمية تعتقد أنها تنحدر سلاليا من حيوان أو طائر أو نبات أو شئ وهو المسمى بالتوتم.وقد أدت العبادة التوتمية إلي وجود نظام الزواج الخارجى Exogamy .

وقد أشار ماكلينان [٢] إلي أنه حيث توجد هذه العبادة تنتشر ظاهرة عداوة الدم التى تنشأ عن الالتزام الدينى بأخذ الثأر ، وحيث تنتشر عادة الأخذ بالثأر تشيع عادة وأد البنات .

وكانت هناك علاقة وطيدة جدا بين الديانة الكونفوشية والعائلة فى الصين القديمة— حيث كان نظام عبادة الأجداد.ويبدو الارتباط بين الدين والأسرة فى الأسرة اليونانية والرومانية القديمة،فإذا عاشت أسرتان إحداهما بجوار الأخرى،ولكل منها آلهة مختلفة،فى إحداها تساهم الفتاة منذ طفولتها فى ديانة أبيها،وتدعو موقده،إذ أن هذا الموقد الأبوى هو آلهها . فإذا ما طلبها شاب من الأسرة المجاورة زوجا لها،فإن الأمر بالنسبة لها شيئا

١- انظر د . جمال الدين محمود . أحوال المجتمع الاسلامى ص ٢٩ .
٢- د . أحمد الخشاب . الاجتماع الدينى ص ٢٣ .

آخر غير مجرد الانتقال من منـزل إلي منـزل آخر،إنما تهجر الموقد الأبوى لتدعو منذ الآن موقد الزوج ، فهو تغيير للدين وقيام بشـعائر أخـرى وتلاوات أخرى[١] .

وفى بلاد الإغريق كانت العائلة التى ينتسب فيها الابن إلي أمه قبل العائلة البطريكية ، تبدو الأساطير التى تتحدث عن النساء يقتلن أزواجهن أو أولادهن من الذكور . ويرتبط مجئ : " أبولون "،وهزيمة " الأمازون " (نساء محاربات من آسيا الصغرى) بيد سلطة الرجال فى العائلة . ومنذ ذلك الحين لجأت النساء إلي العبادات السرية .وتفسر لنـا الاستعاضـة بحقوق الأب عن حقوق الأم الانتقال من عبادة الأرض التى تمثل الأم إلي عبادة السماء التى تمثل الأب . ثم يقتحم المعبود الذكر الديانات السـرية التى ظلت الأرض موضوع عبادة .

وكان الدين هو الدافع الوحيد الذى حمل الأسرة الرومانية على أن تسمح لأعوانها وحلفائها من الطبقة الوسـطى علـى الالتحـاق بهـا والاجتماع معها حول النار المقدسة . كذلك كان دين العبادة المنـزلية هو السبب فى وضع المتبنى فى منزلة الابن الحقيقى ، حتى تستمر العبادة ، وتستمر سلامة الموقد، وتستمر سلامة القرابين المنـزلية ، إذ لم يكن ذلك مسموحا إلا لمن كان له ابن .

وكان الانسان عندما يتبنى ولدا وجب عليه قبل كل شئ أن يلقنه عبادته . ولذلك كان على الولد المتبنى أن يتنازل عن عبادة الأسرة القديمة . كذلك منح الولد المتبنى الحق فى وراثة العرش .

١- فو ستيل دى كولانج . المدينة العتيقة ص ٥٤ .

وكان الزواج فى الأسرة اليونانية والرومانية القديمة يمكن فصمه إذا ما كانت المرأة عاقرا . ويعتبر الطلاق شرعيا [١] .

هذا وقد سمحت الديانة اليهودية القديمة بزواج الأب من ابنتـــه ، وزواج الرجل من أختين ومن أمثلة ذلك زواج ابراهيم عليه السلام مـــن أخته ، وزواج يعقوب بالأختين ليا وراحيل ابنتى لابان . وفى عصر داود عليه السلام كثر الزواج بين الإخوة والأخوات فى الأسر المالكة .

وقد نص سفر أشعيا على أنه إذا اقترنت المطلقة برجل آخـــر،ثم توفى زوجها الثانى أو طلقت منه لا يحـــق لزوجهـــا الأول إعادتهـــا إلى عصمته.

وفى سفر التثنية حرمت الديانة اليهودية الزواج بـــين الأقـــارب الآتيين [٢] :

١- الزواج من امرأة الأب
٢- زواج الرجل من أخته بنت أبيه أو بنت أمه
٣- زواج الرجل من حماته
٤- الزواج من ابنة الابن أو ابنة البنت
٥- الزواج من العمة أو الخالة
٦- الزواج من امرأة العم
٧- الزواج من امرأة الاخ
٨- الزواج من امرأة وبنتها

١- د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان . تطور النظم الاجتماعية وأثرها فى الفرد والمجتمع ص ١٠٠ ـ ١٠١ .
٢- د . فؤاد حسنين على . اسرائيل عبر التاريخ فى البدء ص ٢٠١ .

٩- الزواج من أختين معا

والزواج فى المسيحية عقد مقدس يربط بين رجل واحد وامرأة واحدة ، ولا يفرق بينهما إلا الموت . ولا يفسخ هذا العقد إلا لعلة الزنا . والمهر يعتبر ثانويا فى الزواج المسيحى ، إذ أن الزوج لا يدفع مهرا إلا طبقا للعادات المحلية .وتحرم المسيحية تعدد الزوجات .

وتجعل الكاثوليكية للعزوبية قيمة دينية كبيرة ، جاء فى الاصحاح السابع من رسالة بولس الرسول الأول إلي أهل " كورنثوس " : من زوج فحسنا يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن " . وتحرم الكاثوليكية على القسيس الكاثوليكى الزواج . وقد تبين أن المتزوجين من الكاثوليك أقل عددا منهم بين البروتستانت . فقد أجريت دراسة محلية فى غضون سنة ١٩٣٠ – ١٩٣٣ فى ثلاث مدن أمريكية هى بروكلن ، وسيراكوز ، التابعان لحكومة نيويورك ، وكولومبوس التابعة لحكومة أوهيو ، تناولت ١٢٥٠٠ أسرة من العرق الأبيض ، تبين منها أن نسبة المتزوجين فى سن ٣٠ – ٣٤ عند الرجال هى ٦٥ % عند الكاثوليك ، و٧٨ % عند البروتستانت ، وعند النساء ٦٦% ، و ٨٠% [١] .

ويمنع الدين المسيحى الزواج خلال الصوم الكبير وقبل الميلاد Avent، إلا أنه قل الانتباه إلي الزمن السابق للميلاد ، وبقى الاعتبار للصوم الكبير ولا سيما أواخره .

لذلك نجد أن شهر آذار(مارس) عند الأوربيين تقع فيه النهاية الصغرى لعقود الزواج . كما أن النهاية العظمى للزواج تقع غالبا فى

١- د. عبد الكريم اليافى . في علم السكان ص ١٧٤ .

المجتمعات المسيحية بنيسان (ابريل) بعد الخروج من الصوم – أى هى قريبة من عيد الفصح .

وقد اهتم الاسلام أشد الاهتمام بالأسرة ، ورفع من شأن المرأة ، وكوّن شخصيتها ، وأكد حريتها وكرامتها كابنة وزوجة وأم وامـــرأة . وقرر الاسلام أن الجنس البشرى يخلق من نفس واحدة خلقها الله ، وهى آدم ، ثم خلق منها زوجها ، وهى المرأة ، ثم بث منهما رجال ونساء .

يقول سبحانه وتعالى : " يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان علـــيكم رقيبـــا " (النساء:١) . ويقول سبحانه وتعالى : " يا أيها الناس إنا خلقناكم مـــن ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " (الحجرات) .

ونظم الفقه الاسلامى أحكام الأسرة من زواج وطلاق وحقـــوق أولاد ، وميراث ووصية ووقف .

ولقد كان الفقه الاسلامى يطبق فى مصر منذ الفتح الاسلامى لها فى عصر عمر بن الخطاب فى كافة مناحى الحياة ؛ كالمعـــاملات المدنيـــة والتجارية ، والمالية والضريبية ، وفى المجالات الإدارية والجنائية والدولية ، وعلى مسائل الأحوال الشخصية واستمر هذا الوضع حتى أواخر القـــرن التاسع عشر ، حيث استوردت مصر القوانين الغربية خاصـــة القـــانون الفرنسى ، ولم يبق إلا مسائل الأحوال الشخصية التى تطبق عليها أحكام الشريعة الاسلامية .

ولقد ترك لغير المسلمين فى مصر ان ينظموا أحوالهم الشخصية وفقا لمعتقداتهم الدينية وبشروط معينة . فالمسيحى يكون قانون أحواله الشخصية هو الديانة المسيحية ، واليهودى يكون قانون أحواله الشخصية هو الشريعة اليهودية . ومتى توافرت الشروط اللازمة لتطبيقها ، والتى منها الاتحاد فى الطائفة والملة ، وعند عدم توافر أحد هذه الشروط تطبق أحكام الشريعة الاسلامية باعتبارها الشريعة العامة فى مصر . ويلاحظ أن بعض قوانين الأحوال الشخصية فى مصر كقانون الميراث والوصية والوقف تطبق على المسلمين وغيرهم .

ونظرا لتعدد المذاهب الاسلامية فهناك المذهب الحنفى ، والمالكى، والشافعى ، والحنبلى ، والظاهرى ، والأباضى ، والشيعى الزيدى ، والشيعى الإمامى ، ظهر بعد التضارب فى الأحكام ، حيث يحكم القاضى طبقا لمذهبه .

ولتلاشى هذا التضارب صدر فى أواخر القرن التاسع عشر فرمان من الدولة العثمانية إلي محمد على والى مصر يتضمن تخصيص القضاء والإفتاء بمذهب الإمام أبى حنيفة .

وقد حث الاسلام المسلمين على الزواج.ومن أهدافه الكبرى : الذرية والإنجاب.فقد خلقنا الله قادرين على التناسل والتكاثر.ففى هذا عمارة الأرض واستمرار الحياة إلي ما شاء الله،قال تعالى:"والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة "(النحل : ٧) .

وحدد الاسلام المحرمات من النساء ، فقد حرم الزواج من الآتيين، قال تعالى : " حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم

وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ، وأمهات نسائكم وربائبكم اللآتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ، وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما " .

ويتحدد المحرمات من النساء فى التحريم المؤبد ، والتحريم المؤقت ، وتنحصر أسباب التحريم المؤبد في :

١- القرابة النسبية

٢- المصاهرة

٣- الرضاع

وهذه الحرمة ثابتة لا تزول بحال من الأحوال ، ولا يجوز للرجل أن ينكح أية امرأة من هؤلاء المحرمات .

أما المحرمات تحريما مؤقتا ، فالتحرم هنا يكون مؤقتا عندما يقوم سبب شرعى يمنع تزوج المرأة ، وذلك كالجمع بين الأختين ما دامت الزوجة الأولى فى عصمته ، وعلى قيد الحياة ، وكذلك الجمع بين امرأة وعمتها أو خالتها ، وزوجة الغير ، والزيادة على أربع والمشركات،والمطلقة طلاقا بائنا ، فإذا زال السبب زال التحريم ، وأصبح الزواج بالمرأة حلالا .

ورغب الاسلام الناس فى الزواج . يقول سبحانه عز وجل : **"فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ان لا تعدلوا فواحدة "** (النساء :٣) . وهنا وضع الاسلام شرطا للتعدد ،

وهو شرط العدل بين الزوجات ، والذى لا يستطيع الانسان أن يحققه بينهن . يقول سبحانه وتعالى : " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم" (النساء : ١٢٩)

ومن الأحاديث النبوية يقول صلىالله عليه وسلم : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه الصوم فإنه له وجاء "

والأصل فى الاسلام الزواج بواحدة " فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة" (النساء : ٣٠) ، ولكن فى ظروف معينة يسمح بالزواج بأخرى ، شرط العدل .ولكن القرآن الكريم ينص صراحة على " ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين الناس ولو حرصتم " . (النساء : ١٢٩) .

ولا يهدف التعدد إلي إرضاء الغريزة الجنسية ، وإنما هو ضرورة مسموح بها فى الحالات مثل : المرض العضال ، أو العقم ، أو القوة الجنسية للرجل ، أو علاج بعد الحروب ، وقتل الكثير من الرجال .

وقد سمح الاسلام بنظام تعدد الزوجات . وهناك من يعتقد أن هذا النظام مناف لمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة . فهو يعطى للرجل حقوقا لا يعطيها للمرأة ، ولا يصون كرامتها . وقرر الاسلام أن السماح للرجل بالتعدد دون المرأة يرجع إلي طبيعة المرأة وقيامها بعملية الحمل حيث يتعذر تحديد نسب الابن اجتماعيا وقانونيا . وقد أعطى الاسلام هذا الحق للرجل لخير المرأة عامة ، وزيادة فرص الزواج أمامها ، وحماية للأسر والأبناء من الضياع .

ولقد أعطى التشريع الاسلامى المرأة الحق " أن تشترط فى عقـــد الزواج ألا يتزوج عليها غيرها . " وبمقتضى هذا الشرط يكون لها الخيار فى أن تطلب فسخ الزواج ... ولو فات الزوجة أن تشترط هذا الشـــرط فإن الشريعة تعطيها الحق فى طلب الفرقة [١] .

ويمر الزواج بالخطوات الآتية :

الخطبـــــة

والخطبة من مقدمات الزواج ليتعرف كل من الـــزوجين علـــى الآخر، فيفهم أخلاقه ونفسيته . وعلى ذلك أبيح للخاطـــب النظـــر إلي مخطوبته والجلوس معها فى وجود محرم لها . وفى ذلك قال الرسول الكريم للمغيرة ابن شعبه حين خطب امرأة (انظرت إليها) فقـــال .لا .فقـــال صلى الله عليه وسلم : **انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**) .

وكما يجوز للخاطب أن ينظر إلي مخطوبته ، يجوز لها أن تنظر إلي خاطبها ، بل هى أولى بذلك .

ومادامت الخطبة عقدا فيلزم لانعقادها توافر إيجاب وقبول .كمـــا يلزم أن تكون المخطوبة ممن تحل للخاطب ، فلا يجوز خطبة المحرمات من النساء .

ونهى الاسلام عن خطبة المخطوبة ، يقول صلى الله عليه وسلم :

" لا يبيع أحدكم على بيعة أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن الله له" .

---

[١] انظر زكى الدين شعلان . الزواج والطلاق فى الاسلام ص ٤٣ .

وقد أجمع الفقهاء على أن ما عجل من المهر يجب رده إلي الخاطب حالة عدوله عن الخطبة ، سواء أكان العدول من الخاطب أو المخطوبة ، لأن المهر لا يستحق إلا بعقد الزواج .

أما بالنسبة للهدايا المقرر فى المذهب الحنفى أن للخاطب أن يسترد القائم من هداياه سواء أكان العدول منه أم من المخطوبة ، تأسيسا علـى أن هذه الهدايا فى حقيقتها هبة ، والهبة يجوز الرجوع فيها ما لم تخرج عن الموهوب له .

وللإمام مالك رأيان : أولهما بأنه ليس للخاطب حق الرجوع على المخطوبة فى شئ ، وليس له أن يسترد ما قدم من الهدايا . وثانيهما : أنه إذا كان العدول من جانب المخطوبة جاز للخاطب أن يرجع بكل هداياه سواء فى ذلك القائم منها ، او الهالك . أما إذا كان العدول من الخاطب فليس له أن يرجع عليها بشئ من الهدايا .

عقـــد الزواج

أركان عقد الزواج الإيجاب والقبول . والإيجاب فى عقد الـــزواج هو ما صدر أولا من العاقدين للدلالة على إرادته فى إنشاء العقد ورضائه سواء صدر منه كلاما أم غيره كالكتابة والإشارة . والقول ما صدر ثانيا بقصد إتمام العقد سواء ما صدر منه كلاما أم غيره .

وكما ينعقد الزواج بالمشافهة ينعقد بالكتابة . كان يبعث الرجل إلي من يريد الزواج بها كتابا يبلغها فيه بارادته فى الزواج منها ، فتحضر المرأة لدى وصول الكتاب إليها شاهدين عليهما وتقبل الزواج .

وينعقد الزواج كذلك بالإشارة إن كان أحد الطرفين أصم ، مـــا دامت إشارته تدل على إرادته فى الزواج أو القبول . واختلف الفقهاء فى حالة الأخرس الذى يعرف الكتابة ، فقال بعضهم أن قبوله أو إيجابه يجوز بالإشارة ، وقال البعض الآخر لابد من إثباته بالكتابة لأن الكتابـــة أدل على المراد من الاشارة ، وأبعد عن الاحتمال .

ولعقد الزواج شروط أربعة هى :

١- شروط انعقاد

٢- شروط صحة

٣- شروط نفاذ

٤- شروط لزوم [١]

ويعتبر المهر فى الشريعة الاسلامية شرطا أساسيا لقيام الزواج .

الـــولاية

الولاية فى الزواج هى الولاية على النفس لاشتمالها علـــى ولايـــة التزويج . والولاية على النفس تنقسم شأن ولاية إجبار وهى الولاية على الصغير والصغيرة بكرا كانت أو ثيبا،ومن يلحق بهما من الكبار غير المكلفـــين، وولايـــة ندب أى استحباب،وهى ولاية على البالغة العاقلة بكرا كانت أم ثيبا .

وتثبت الولاية للعاصب النسبى بنفسه على ترتيب الإرث والحجب فتثبت للبنوة والأبوة والإخوة والعمومة . وتشمل البنوة الابن وابن الابن وإن نزل .والأبوة تشمل الأب والجد الصـــحيح وإن عـــلا . والأخـــوة وتشمل الأخ الشقيق والاخ لأب وبن الأخ الشقيق ، وابن الأخ لأب وإن

---

[١] د. شكرى الدقاق ود. محمود سمير عبد الفتاح . الأحكام الأساسية للشريعة الاسلامية ص ص٥٧ ـ ٦٣ .

نزل . وتشمل العمومة الشقيق والعم لأب وابن العم الشقيق ، وابن العم لأب وإن نزل .

وينبغى أن تتوافر الشروط الآتية فى الولى :

١- أن يكون الولى عاقلا.

٢- أن يكون بالغا .

٣- أن يكون أهلا للولاية .

٤- اتحاد الدين إذا كان من يراد تزويجه مسلما .

وليس كل عقد زواج يتوقف صحته على الولى. فمتى كان المتزوج كبيرا عاقلا انعقد زواجه صحيحا نافذا لازما وليس لأحد الاعتراض عليه،ولو كانت الزوجة أقل كفاءة أو دفع لها أكثر من مهر مثلها حتى ولو كان سفيها مبذرا لماله.

وكذلك الحال بالنسبة للكبيرة العاقلة إن تزوجت بالكفء وبمهر مثلها.أما إذا كان زواجها بكفء وكان مهرها دون مهر مثلها فيجوز للولى حق الاعتراض حتى يتم مهر المثل،أو يلجأ إلي القاضى ليفسخ العقد ، وإن كان غير كفء فلا يصح العقد أصلا [١] .

هذا وقد اعتبر فقهاء المذهب الحنفى الكفاءة فى المسائل الآتية :

١- النسب

٢- الاسلام

٣- المال

٤- الديانة

---

[١] انظر د.شكرى الدقاق ود.محمود سمير عبد الفتاح،نفس المرجع السابق ص ص٧٦-٨٥ .

٥- الحرفة

تربية الأبناء

تقع المسئولية العظمى على الوالدين فى تربية الولد لأنهما يمثلان البيئة الأولى فى تنشئة الطفل . ولذلك أولى الاسلام عناية كبيرة للزواج ووضع الضوابط الدقيقة والمعايير السليمة التى تحقق للناس أسرا قوية متماسكة البنيان ، تبدأ بحسن الاختيار لكلا الزوجين ، وتنتهى بتطبيق الآداب التى شرعها الاسلام للمعاشرة [١] .

الطلاق

الطلاق لغة هو رفع القيد . ويعنى فى الفقه قيد الزواج الصحيح فى الحال وفى المال . ويكن سرد الأسباب التى تدعو إلى الطلاق فى الآتى :

١- وجود عيوب جسمية أو خلقية بالزوجين أو أحدهما .

٢- اختلاف طبائعهما وتباين أخلاقهما وميولهما .

٣- إلحاق الأذى من الزوج لزوجته قولا وفعلا .

٤- تضرر الزوجة من بُعْد زوجها عنها لغيابه أو حبسه .

٥- كون زواجهما غير محقق لأهم مقاصد الزواج وأغراضه ، وهو التوالد والتناسل .

وقد سمح الاسلام بالطلاق ، ولكنه شرع لحكمة ، وهى إنهاء الحياة الزوجية فى حالة تعذر واستحالة استمرارها واستنفاذ جميع سبل الاصلاح لإعادة الوئام بين الزوجين . وقد اتخذت كل الوسائل التى تمنع وقوع الطلاق ، إذ يمكن اختيار حكمين من أهل الزوج وأهل الزوجة

---

[١] د. كمال الدين عبد الغنى المرسى . من قضايا التربية الدينية فى المجتمع الاسلامى ص ١٦٨ .

يكونا أحرص على التوفيق ، وإذا عجزت كل هذه المساعى ، فليس هناك مناص من الطلاق ، وهو بغيض . يقول عليه الصلاة والسلام " إن أبغض الحلال عند الله الطلاق"

وللزوج أن يطلق زوجته فى أى وقت متى كان أهــلا لإيقــاع الطلاق دون حاجة إلي قضاء القاضى .

أما إذا كانت الزوجة هى التى تريد التخلص من الزوجية ، فقــد أجاز الاسلام لها الالتجاء إلي القضاء .

والحكمة فى أن يكون الطلاق بيد الزوج لا بيد الزوجــة ، لأن الغالب فى النساء سرعة التأثر والانفعال والانقياد للعاطفة أكثر من الانقياد والخضوع لما يقتضيه العقل والتفكير السليم . أما الرجال فإن الأمر الغالب منهم الأناة وضبط النفس عند الغضب . ولو جعل الطلاق فى يد المــرأة لكانت الحياة الزوجية غير مستقرة فى أغلب الحالات ، وقد تكون معرضة لهدمها لأقل الأسباب .

وفضلا عن ذلك فإن الطلاق يحمل الرجل أعباء مالية من مؤجل مهر ونفقة عدة ، فضلا عما يلزمه من بذل المال فى سبيل الزواج بأخرى، مما يجعل الرجل لا يقدم على الطلاق إلا عنــد الحاجــة الماليــة وبعــد التروى.وهذا بخلاف الزوجة ، إذ هى غير مطالبة بذلك .

الخُلْــع

الخُلْع لغة تعنى النــزع ، والإزالة ، فيقال — مثلا — خلع الرجل ثيابه. والخُلْع فى اصطلاح الفقهاء هو إزالة ملك النكاح ، كالمبــارأة فى مقابل بدل ، مع قبول الزوجة .

ويجوز الخلع على أن تقوم الزوجة بإرضاع ولدها الصغير ،مـــدة الرضاعة بلا أجر ،وعلى أن تحضنه مدة معينة معلومة بدون أجر . فإذا لم تقم بما التزمت به لوفاة الولد الصغير أو لوفاتها هى ، أو لخروجها عـــن أهلية الحضانة ، أو لإمتناعها عن الرضاع ، والحضانة ، كـــان لزوجهـــا الذى خالعها أن يرجع عليها أو على ورثتها بقيمة أجـــر الرضـــاع ، أو بقيمة أجرة الحضانة عن المدة كلها ، أو عما بقى منها حسب الأحوال . إلا إذا كانت قد شرطت عند الخلع ، ألا يرجع عليها بشـــئ إذا مـــات الصغير أثناء مدة الرضاعة أو الحضانة .

ويصح الخلع على أن تنفق الزوجة على ولدها الصـــغير ، مـــدة معلومة كخمس سنوات ، وإذا لم تقم بذلك لوفاة ولدها ، أو لوفاتها ، أو لامتناعها بعد ذلك ، فللزوج أن يرجع عليها ، أو على ورثتـــها بقيمـــة نفقتها فى المدة كلها ، أو فيما بقى منها .

وإذا كان الزوج هو السبب فى الشقاق ، وكـــان نـــافرا مـــن معاشرته لها ، ويريد مفارقتها ، ويطيب له أن يأخذ شيئا من زوجته نظير طلاقه لها ، كان ما أخذه منها كسبا خبيثا ،يجب عليه ان يتبرع به لقوله تعالى : " وإن اردتم استبداله زوج مكـــان زوج وآتيـــتم إحـــداهن قنطارا،فلا تأخذا منه شيئا اتأخذونه بهتانا وإثما مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلي بعض وأخذن منكم ميثاقـــا غليظـــا"(ســـورة النساء: ٢٠ —٢١)

وهكذا نهى الله سبحانه وتعالى الأزواج على أن يأخذوا شيئا من المهر ،عند إرادتهم تطليق زوجة ، والزواج بأخرى .

وإذا كانت الزوجة هى السبب فى الشقاق بينهما ، وان الاسـاءة والنفور من جانبها ، فهى تكرهه وتبغضه وتسعى إلي مفارقته ، فانه يجوز فى هـذه الحالة أن يأخذ الزوج منها بدل الخلع ، إذا كان البدل مساويا للمهر الذى دفعه إليها ، أو أقل منه . يقول سبحانه وتعالى: " **فإن خفـتم أن لا يقيمـا حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت منه** " (البقرة : ٢٢٩) .

المرأة والميراث :

للمرأة باعتبارها بنتا وزوجة وأما– حق الميراث فقد كانت المرأة فى الجاهلية ليس لها حق الميراث،فكانت تحرم منه،ويؤول كـل شـئ إلي الأولاد الذكور،ولأنهم يؤهلون للقاء الأعداء،وسيبقون حافظين لأمـوال القبيلة،فلا تخرج إلي قبيلة أخرى،قد تكون منافسة لهـم،أو ذات عـداء معهم.فجاء الاسلام يقرر لها حـق المـيراث فريضـة مـن الله ، قـال سبحانه:"**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصـيبا مفروضـاً** ". (النساء : ٧)

وقد جعل الاسلام نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ، لا للتقليل من شأنها ، وإنما يرجع ذلك إلي أسباب اجتماعية ، واعتبارات اقتصادية ، ومن ثم لا نعجب عندما يقـول الحكـيم الخـبير : "**يوصـيكم الله في أولادكم: للذكر مثل حظ الأنثيين** " . (النساء : ١١) .

الفصل الخامس عشر

الدين والسكان

تستخدم كلمة الديموجرافيا Demography فى اللغة الانجليزية للتعبير عن السكان . وهى كلمة مكونة من أصلين يونانيين ، الأول ديموس Demos ونعنى ناس أو سكان أو بشر والكلمة الثانية Graphie أو Graphen أو Graphe ومعناها وصف أو كتابة . ومن ثم فالكلمة تعنى وصف البشر أو الكتابة عن الناس والسكان ، وذلك من حيث حجمهم Size of population ، ونموهم ، ومعدل خصوبتهم ، ومعدلات المواليد والوفيات ، وأسباب زيادتهم أو نقصانهم ، وتوزيعهم الجغرافى على مستوى العالم ، أوفى منطقة محدودة كالحضر والريف ، ودرجة كثافتهم ، وكذلك تركيبهم من حيث السن ، والجنس ، والنوع ، والمهنة ، والتعليم ، وعمليات الهجرة بأنواعها المختلفة ، وخصائص المهاجرين ، على الوطن الأصلى ، وعلى المناطق التى يقصدونها .

ويلعب الدين سواء فى المعتقدات الدينية المبكرة ، أو فى الديانات السماوية دورا هاما فى زيادة النسل أو نقصانه . ولقد كانت الزرادشتية ، وهى ديانة فارسية قديمة تعتبر أن غرس شجرة وحراثة حقل وإيلاد مولد ثلاثة أعمال صالحة وينصح كتاب للأوستا بقوله : " أيها الشاب تزوج يخلفك ولدك ولا تنقطع سلسلة الكائنات .

أما من مات بلا ذرية فيحرم من القرابين التى يقدمها الأبناء ، فيصبح آلها تعيسا يميل إلي الانتقام . وفى هذا حث على التكاثر .ولا يزال هذا الاعتقاد فى الهند والصين . فالرجل إذا ما صار أبا سدد بذلك دينه

نحو أرواح الأجداد ، واستحق الابن ميراث الأب كلـــه ، فالتناســـل أو الانجاب هنا واجب ديني .

وعند الشعوب البدائية يبدو النسل واجبا دينيا نحو الأجداد والآباء. وقد وصف فوستيل دى كولانج Fustel de Coulange فى كتابه " المدينة العتيقة La cite´ Antique أنه لابد من تقديم القرابين فى كل جيل لأرواح الأجداد التى أصبحت بمثابة آلهة لكى ترضى وتطمئن فى حياتها الأخرى ، ولا يتم ذلك إذا انقطع النسل . ومن مات بلا ذرية حرم من تلك القرابين والعبادات التى توجه إليه . وغدا إلها تاعسا يعمد إلي الانتقام .

وفى قوانين المانو نصا جاء فيه : متى أصبح الرجل أبا بعد أن يولد له أول مولود سدد دينه نحو الأرواح ، واستحق الولد الأول جمله الميراث.

وقد تطرقت الأديان السماوية إلي موضوع السـكان ، فتـــذكر التوراة أن الله أوصى آدم بزيادة نسله ذكرا كان أم أنثـــى خلقهـــم الله وباركهم ، وقال لهم أثمروا واكثروا ، واملأوا الارض ، وأخضـــعوها ، وتسلطوا على البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب على الأرض . ويعد العقم عند اليهود لعنة كبيرة لأطفال عندهم تـــراث الله ، وسهام فى يد الرجل القوى .

واهتمت الديانة المسيحية بنظام الزواج ووحدانيته ، فالزوجة مع زوجها جسدا واحدا . وانصب الاهتمام إلي زيـــادة النســـل ، وكثـــرة الانجاب ، ومنع الاجهاض . وذكر بعض فلاسفة الكنيسة مـــن أمثـــال

القديس أوغسطين (٣٥٣ -٤٣٠ م) . بأن هدف الزواج هو إنجاب البنين فحسب [١] .

وفى مبدأ العصور الوسطى كان القلق السياسى والبؤس سببا فى نقصان المواليد ، ومع ذلك فقد كان الرهبان من أكثر العاملين نشاطا على زيادة النسل بإصلاح الأخلاق وتحويل الغابات إلى أراضي يمكن زراعتها .

وآثرت بعض النحل للمتدين أو الراهب العزوبة وفضلتها . يوجد ذلك فى المكسيك والبيرو وبتاغونيا والتبت والهند . وقد كان العفاف ضربة لازم على الكاهنات الرومانيات المدعوات بالفستاليات ، وهن عذارى يصطفين من أنبل بيوتات روما .

وجعل المذهب الكاثوليكي للعزوبية قيمة دينية كبيرة . جاء فى الاصحاح السابع من رسالة بولوس الرسول إلي أهل كورنثوس " من زوج حسنا يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن . " واعتبر القديس توما الاكوينى (١٢٢٥ — ١٢٧٤) العزوبة حالا صالحة تلائم الحياة التأملية . إلا أنه وقفها على صفوة الناس ، وحبذ الزواج للدهماء .

ولاترى الكنيسة الكاثوليكية تدخل الأزواج فى منع الحمل . وترى أن منع الحمل يجب أن يكون عن طريق الامتناع عن المعاشرة الزوجية ، أو ممارستها فى الفترات التى يؤمن فيها الحمل — أى التى لا يحتمل أن تحمل أثناءها الزوجة .

---

[١] انظر د . ثروت اسحق .علم الاجتماع ودراسة السكان ص ص ٣٧ ـ ٣٩
وانظر د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان . السكان من منظور علم الاجتماع ص ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

أما رجال المذهب البروتستنتى فقد أجازوا استخدام موانع الحمل . وهكذا نجد أن سكان المناطق الكاثوليكية لا يطبقون قواعــد مــالتوس للسكان فى تقليل المواليد . وعلى ذلك يختلف حال هذه البلدان عما عليه الحال بالنسبة للمناطق التى تدين بالمذهب الحر .

وهكذا تبين أن معدلات الخصوبة ترتفع بين الكاثوليك عنه بــين البروتستانت واليهود . وتبين ذلك من الدراسة الــتى نشــرها ويلتــون باسكال Whelton Bascal فى كتابه " العوامل الاجتماعيــة والنفســية فى الخصوبة " ، والتى أجريت على مقاطعة انديانا بولس Indianapolis عــام ١٩٥٠ ، والدراسة التى أجراها شــارلز ويســتوف Charles Westaff ، وزملاؤه عن " نمو الأسرة فى المناطق المتروبوليتية " عام ١٩٦١ ، وطبقت بصفة خاصة على منطقة برنستون Prenceton بصفة خاصة .

وتكشف معدلات الخصوبة بين يهود الولايــات المتحــدة عــن انخفاض واضح عن معدلاتها بين السكان البيض الامــريكيين (١,٢٥- ٢,١٣ على التوالى فى عام ١٩٣٥ . وقد ظل هذا الانخفاض سمة واضحة لليهود حتى بعد الارتفاع النسبى لمواليد الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٥ (٢,٨٠-٣,٢٧) بين اليهود وباقى السكان على التوالى . وحتى أثنــاء الانخفاض الذى سجلته معدلات الخصوبة فى أمريكا بصفة عامة منذ عام ١٩٧٠ (١,٤٧ بين اليهود فى مقابل ٢,٢٤ بين كل السكان البيض .

ويؤثر الدين الاسلامى كثرة النسل . يقول سبحانه وتعالى : " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " . ويقول تعالى :" ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم " . وفى حديث نبوى شريف يقــول

رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **تزوجوا الودود الولود ، فإنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة** " . (أبو داود والنسائى)

دخل الأحنف بن قيس على معاوية ، ويزيد بين يديه . وهو ينظر إليه إعجابا به ، فقال : يا أبا بحر ما تقول فى الولد ؟ فعلم ما أراد — فقال يا أمير المؤمنين ، هم عمادُ ظهورنا ، وثمر قلوبنا ، وقرَّةُ أعيننا ، بهم نصول على أعدائنا ، وهم الخلف لمن بعدنا ، فكن لهم أرضاً ذليلةً ، وسماءً ظليلةً ، أن سألوك فأعطهم ، وإن استعتبوك (وطلبوا منك الرضا) ، فأعتبهم ، لا تمنعهم رفدك (عطاءك) فيملوًّا قُربك ، ويكرهوا حياتك ، ويستبطئوا وفاتك . فقال : " درُّك يا أبا بحر ، هم كما وصفت " [١] .

إلا أن كثرة النسل مشروطة باتفاقها مع الموارد الاقتصادية للأسرة يقول الصحابى عبد الله بن عباس:" أن كثرة العيال أحد الفقرين،وقلة العيال أحد اليسارين"ويقول عمرو بن العاص:" إياكم وكثرة لعيال وتضييع المال" .

وقد أباح الاسلام تعدد الزوجات.وفى ظل ذلك تحظى الزوجة الأولى عادة بأكبر عدد من الأطفال بالمقارنة مع الزوجات الأخريات لنفس الزوج .

وعموما نجد أن للديانة أثر فى زيادة عدد سكن المدن المقدسة . ويتمثل هذا فى مدن روما ،ومكة ، والقدس .

وفى وقتنا الحالى لم يعد الدين بالنسبة للأوربى والأمريكى ذا أثر قوى فى تكوين الفرد العقلى والثقافى . ومن ثم انخفض معدل المواليد . ومع ذلك دلت الأبحاث الخاصة بالخصوبة والتوالد أن الزوجين الذين لا

---

[١] السيد سابق،فقه السنة . المجلد الثانى ص ٩ .

يزالان متماسكان بالنواحى الدينية ينجبان عددا من الأطفال أكثـــر ممـــا ينجبه الزوجان اللذان ضعفت فيهما الناحية الدينية . فقد أثبتت البيانات الاحصائية فى دراسة الأمريكيين Fredman and Whelpton أن العـــائلات المتدينة قلما تنظر إلي الوسائل الحديثة فى تنظيم النسل نظرة جدية.ومن ثم تمتنع عن استخدامها . ومن ثم تزيد معدلات الانجاب إذا تأصل الدين فى نفوس الناس .

والهجرة ظاهرة اجتماعية وجدت ومازالت توجد فى كل زمـــان ومكان ، وهى تعنى الارتحال ، والانتقال الفيزيقى للأفراد والجماعات من مكان إقامة دائمة اعتادوا عليه إلي منطقة أخرى لمدة قد تقصر أو تطول ، وتمتد لتشتمل الحياة الباقية للشخص بأكملها إنما كل حركة عبر الحدود عدا الحركات السياحية .

وينظر إلي الهجرة باعتبارها المصدر الثانى للتغيرات الـــتى تعتـــرى البناء السكانى من حيث الحجم والكثافة والتركيب النوعى والعمـــرى . فصافى الهجرة (بين الهجرة الداخلية والخارجية) إذا أضيف إليه صـــافى الزيادة الطبيعية (معدل المواليد — معدل الوفيات) ينـــتج عنـــه النمـــو السكانى ، كما تتغير الخصائص الديموجرافية كالعمر والنوع ومســـتوى التعليم والمهنة .

ويعبر عن الهجرة بالمقاييس الآتية :

١- معدل الهجرة الوافدة = $\frac{\text{عدد المهاجرين إلي المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}} \times ١٠٠٠$

٢ – معدل الهجرة المغادرة = $\frac{\text{عدد المهاجرين من المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}}$ ×١٠٠٠

٣- معدل الهجرة الصافى = $\frac{\text{عدد النازحين - عدد الوافدين}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}}$ ×١٠٠٠

والهجرة ليست نتيجة لاسباب طبيعية(فياضـانات)أو لأسـباب اقتصادية فحسب(كإجداب التربة)،بل هناك أسـباب أخـرى أوردهـا دوفنتين فى الآتى:"يرجع كثير من الرحلات– إن لم يكن معظمها فى بعض الأقطار كبلاد " التيبت " أوأفريقيا الاسلامية إلي أسباب دينية : ونعنى بها جذب بعض المراكز مثل بيت المقدس، وروما ، وسـانت جـاك دو كمبوستل (في أسبانيا) و" لورد " (في فرنسا) ومكة و" لاهسـا " (في التبت) ، و"بنارس " (في الهند)....وتعد جغرافية الحج فصلا جوهريا فى جغرافية الارتحال ، وينبغى أن يضاف إلي الحج هجرة الديانات ، وطـرد الشعوب التى تنكر سلطة رجال الدين أو الشعوب الملحدة ، والحـروب الدينية ، والحروب الصليبية وحركات التبشير . وهكذا نجد أن الظـواهر الدينية تتحمل مسئولية كثير من الهجرات الإنسانية "[١] .

ويمثل السن حجر الزاوية فى التنظيم الاجتماعى للمجتمع ، حيث تتحدد الأدوار والمسئوليات الاجتماعية وفقا للمرحلة العمرية التى يصـل إليها الفرد . ويرتبط بعامل السن مدى حيوية الأفراد ، واتجاهاتهم نحـو النمو .فهو يلقى الضوء على نسبة المواليد والوفيات . ويعتبر أحد العوامل المحددة لعملية الإنجاب . كما يرتبط بعامل السن ما نطلق عليـه حجـم القوى العاملة ، ويحدد عامل السن كذلك المكانة الاجتماعية للفرد[٢] .

١- روجيه بلستيد المرجع السابق ص ١٨٤ .
٢- د. حسن عبد الحميد احمد رشوان . السكان من منظور علم الاجتماع ص ٤٤ .

ويبدو هناك إرتباط وثيق بين الدين وعنصر السن / العمر .فهناك علاقة بين الدين والشباب . فعلى مستوى العالم نجد اهتماما متزايدا من جانب الشباب بالبحث عن"بدائل " دينية على حساب الأديان التقليدية المتوارثة . ففى أمريكا مثلا ، نجد اهتماما بالاديان التى لها الطابع الصوفى مثل البوذية أو الهندوسية . ويرجع هذا إلي أن هذه الأديان تتميز باتجاهاتها الذاتية فى مقابل الاتجاه الجمعى للاديان التقليدية. فالاتجاه السائد الآن بين الشباب أنهم ليسوا فى حاجة إلي من يعلمهم أى شئ فى الحياة ولكن ينبغى أن تعطى لهم الفرصة ليخبروها بأنفسهم . ولهذا نجد العديد من الشباب فى المجتمعات الغربية يحاولون الانسحاب من الحياة العامة كمحاولة لمعرفة أنفسهم أو التوصل إلي الراحة العقلية والنفسية . وانتهى الأمر إلي ذلك التفشى الواسع للانحلال الخلقى والجنسى واستخدام العقاقير المخدرة بين الشباب . ونجد كذلك اتجاهات أخرى للشباب متمثلة فى بعض الحركات الاحيائية أو المحافظة على الأشكال المتوارثة من التراث أو الفكر الدينى . بينما نجد جماعات أخرى اتخذت من العنف سبيلا لاهدافها الدينية كمحاولة منها للسيطرة على القوة فى المجتمع . هذا بخلاف الجماعات الالحادية التى ترى أن الأديان وما تحتويه تمثل نوعا من المغالطات التى يجب أن يتجرد منها عقل الانسان .

الفصل السادس عشر

الدين والتربية

مصطلح التربية Education مأخوذ من اللغة اللاتينية ، والتى تعنى القيادة ، أى يقود خارجا ، ومنه جاء يقود الولد-أى يرشده ويهذبه .

ويصعب تعريف التربية تعريفا جامعا مانعا ، فقد عرفت تعريفات متعددة ، وكل تعريف يعكس إما وجهة النظر الشخصية عند صاحب التعريف ، أو يعكس ميدان المعرفة التى تخصص فيه .

وفى معاجم اللغة العربية نجد التربية من ربّى الرباعى ، أى غذى الولد ، وجعله ينمو .وأصل ربى الولد — ربا يربو — أى زاد ونما . ومن العلماء من جعل أصلها ربَّ .يقال ربَّ القوم — أ ى ساسهم ، وكان فوقهم ، وربَّ النعمة زادها،ورب الولد رباه حتى أدرك .

وكان فلاسفة العرب يسمون هذا الفن " سياسة " . ويقولون عن الذى ينشئ الولد ويرعاه " المؤدب " و" المهذب " والمربى " و " المعلم ". وتدل كلمة المؤدب على العلم والأخلاق .وتفيد كلمة " المعلم " تلقين العلم قبل كل شئ ، فتكون مهمته عرض المعلومات والعلوم والمعارف على الطلاب ليحفظوها . ولذلك كان التعليم شيئا ، والتربية شيئا آخر . فالتربية تحمل معنى أخلاقيا ، والتعليم يحمل معنى علميا .

ومن العلماء من اتخذ النزعة الفردية منهجا له . ويمثل هذا الاتجاه المدخل الحيوى / البيولوجى ، والمدخل السيكولوجى . فهى عند اصحاب النزعة الحيوية تعنى عملية تكيف adaptation . وفى علم النفس ترادف التربية كلمة " التعليم " . ويعترف علماء النفس بالاستعدادات والقدرات

الموروثة عند الأفراد ، فيقول البعض أن التربية هى العملية التى بها نكشف الغطاء عن هذه الاستعدادات وهذه القدرات .

واتجه الفلاسفة اتجاها مثاليا .وهى تعنى عندهم أن نبلغ بالطفل درجة الكمال والجمال نفسيا وجسميا وأخلاقيا . ويتمثل هذا فى تعريفات أفلاطون وأرسطو وكانط [١] .

أما علماء الاجتماع فينظرون إلي التربية باعتبارها ظاهرة اجتماعية، فعندما يتواجد الفرد فى حالة تفاعل مع غيره من أفراد مجتمعه ، تنبثق التربية كظاهرة محددة لأنماط التفاعل والضوابط التى تشكل العلاقات الاجتماعية [٢] .

وتعتبر التربية عند علماء الاجتماع وسيلة للمحافظة على بقاء المجتمع واستمراره وثبات نظمه ومعاييره الاجتماعية Social Norms ، وقيمه،وخبرات ومعارف الأجيال السابقة.وتحقق التربية هذا الهدف بنقلها التراث الثقافى للجيل الجديد . وبذلك يكون دور التربية هو تنمية السلوك الانسانى وتطويره وتغييره لكى يناسب كل ما هو سائد فى مجتمع ما.

وتهدف التربية فى نظر علماء الاجتماع إلي إعداد وتشكيل الفرد للقيام بأدواره الاجتماعية فى مكان ما وزمان ما ، على أساس ما هو متوقع منه فى هذا المجتمع . ولما كانت فلسفة التربية وأهدافها وأساليبها ومعاييرها تحددها ثقافة المجتمع ، فإن عملية التربية تختلف من مجتمع إلي

١- انظر د. محمد أحمد كريم وآخرين . الأصول الاجتماعية للتربية ص٥٠١-١٧
وانظر د. محمد حسانين البطح. التربية الاسلامية ودورها فى بناء الحضارة الاسلامية ص١٥-٨٢
٢- F.T. Brown, Educational Sociology , P. 185.

آخر . فدور التلميذ يختلف من مجتمع إلي آخر ، كما يختلف من مرحلة تعليمية إلي مرحلة أخرى .

وتعد التربية أفراد المجتمع للقيام بأدوارهم الاجتماعية المتوقعة منهم في مجتمعهم ، ومن التفاعل بكفاءة مع بيئتهم الاجتماعية والمادية الطبيعية بصورة تمكنهم من الاسهام الفعال فى بناء مجتمعهم وتطويره وتقدمه .

ويتوقف تعريف التربية كذلك على نوع الثقافة التى توجد فيها التربية . فهى تعنى ثقافة المجتمع - أى طريقة الحياة وأسلوب العيش فى المجتمع . ويشمل ذلك الحياة الفكرية من آراء ومعتقدات وأديان واتجاهات وميول وعادات وتقاليد وأعراف ولغة .

وهناك التربية الغير المقصودة . وهى تتم تلقائيا ، وبشكل لا شعورى عن طريق المحاكاة ، بحكم وجود الفرد فى المجتمع . فهى عملية تكيف بين الفرد وبيئته الطبيعية والاجتماعية . وهناك التربية المقصودة ، وهى التعليم الرسمى المقصود، وهو الذى تقوم به المؤسسات التعليمية التى انشأها المجتمع لهذا الغرض كالمدارس والكليات والجامعات . وعلى ذلك فهى ترتبط بالتعليم ارتباطا وثيقا .

ويرتبط الدين بعملية التربية والتعليم ارتباطا وثيقا. فالديانة الكونفوشوسية القديمة تؤكد مجموعة من العادات والتقاليد والأحداث التى تعكس مدى حرص الشعب الصينى القدىم على حب التعلم والتعليم ، وإنشاء المدارس المتخصصة المختلفة لتعليم النشأ سواء من أبناء الطبقات الحاكمة أو الحاشية أو رجال الدين علاوة على وجود نظام تعليمى وتربوى يكرس أساسا للتعليم العسكرى ، ولتنظيم الجيوش وإدارتها ، أو

إلي إنشاء قوات نظامية للحفاظ على الأمن الداخلي وحماية الأفراد من القلاقل الداخلية .

وبالإضافة إلي ذلك كانت مؤسسات الدولة الصينية تهدف إلي تخريج موظفين عموميين ومهندسين أكفاء لإنشاء المرافق الحيوية خاصة في المجالات العمرانية والسكانية ، وهذا ما أدى إلي إنشاء سور الصين العظيم. كما لم تنشأ نظم الري الحديثة وإدارة الأنهار والسدود إلا من خلال نظم تعليمية وتربوية متخصصة .

وفي الهند القديمة ، تعتبر قوانين مانو من أقدم التشريعات ، وهي من صنع البراهمة ، والتي كانت من أرفع الطوائف . وقد أشاد حكام الهند بفضل " الجزاء " في حفظ الكيان الاجتماعي واستقرار النظام [١] .

وقد خففت حدة هذا التزمت في تعاليم الديانة البوذية ، والتي نادت بوجوب المساواة بين المواطنين . ودعت جميع الأفراد إلي الاشتراك على قدم المساواة في الطقوس والعبادات ، وذلك على عكس ما كانت تذهب إليه البرهمية من قصر الحياة الدينية على طبقة الدين من البراهمة .

وكانت خريطة بوذا التعليمية فريدة ، ولو أنها كانت مدينة بشئ للحوالين .فكان يتنقل من بلد إلي بلد ، وفي صحبته تلاميذه المقربون .

وكان يكتفي بالزاد الذي يقدمه له أحد المعجبين من سكان البلد الذي يحل فيه . وكانت طريقته أن يقف السير عند مدخل قرية من القرى، ويضرب خيامه في حديقة أو غابة أو على ضفة نهر . وكان يخصص ساعات النهار لتأملاته ، وساعات المساء للتعليم .

---

[١] د. مصطفى الخشاب . علم الاجتماع ومدارسه-تاريخ الفكر الاجتماعي تطوره ,ص ١٨.

وكانت محادثات بوذا تجرى فى صورة أسئلة وضرب الأمثلة الخلقية والحوار . وأحب عباراته التعليمية المقتضبة إلي نفسه هى الحقائق السامية الأربع التى يقول فيها رأيه : أن الحياة ضرب من الألم ، وأن الألم يرجع إلي الشهوة ، وأن الحكمة أساسها قمع الشهوات ، ويأتى ذلك عن طريق العزلة والخلاص ، وفكاك أنفسنا مما يشغلها من شئون العيش .

ومن تعاليم بوذا على الانسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير ، فالكراهية لا يمكن أن تزول بكراهية مثلها ، إنما تزول الكراهية بالحب [١] .

وشمل التراث الفكرى فى مصر الفرعونية العديد من العلوم والصناعات والحرف المختلفة ، وعكست كذلك الجانب الدينى الروحى والأخلاقى . وحرص المصريون القدماء على تعليم أبناءهم الشعائر الدينية وإقامة الصلوات والاعتقاد عموما بعملية تناسخ الأرواح والحياة بعد الممات لتضفى على الشخصية المصرية سواء من طبقة الحكام أو رجال الدين أو الأفراد العاديين نوعا من الالتزام الأخلاقى والدينى خلال حياتهم أو أيضا بعد الممات . وهذا ما ظهر واضحا من خلال اعتقاد المصريين بالمحاكمات التى كانت تجرى بعد الممات . وقد ظهر ذلك واضحا فى القصة الفرعونية الشهيرة أوزوريس ، وفى اهتمامهم عموما بمجال الطب والصحة والعلاج .

وكانت الديانة أساس قوى لتحديد الممارسات والطقوس والشعائر والصلوات والتى يجب تعلمها منذ الصغر ، وتوجه عامة جميع

---

[١] ول ديورانت . قصة الحضارة - الجزء الثالث من المجلد الأول " الهند وجيرانها ص ص ٧٥ - ٧٧ .

السياسات التعليمية والتربوية . وتهدف إلي تخريج الكفاءات والمهارات اللازمة فى مختلف المجالات ، وذلك فى إطار احتياجات الدولة باعتبارها التنظيم الاجتماعى الأعلى .

وفى اليونان القديمة ، اعتمدت التربية على القيم والأخلاق والروح الدينية السليمة ، وذلك من أجل بقاء واستمرارية صرح الدولة والمدينة . وكانت التربية تستهدف تحقيق أعلى درجات المعرفة العلمية والجمالية والفلسفية ، وارتبط ذلك بحرص الدولة على تربية النشئ وتكوين الروح الدينية والأخلاقية والتربوية [٠١] .

فقد صنف أرسطو المعرفة إلي ثلاثة أنواع رئيسية نظرية وعملية ومنتجة . وهى تقابل العلم الإلهى والرياضى والطبيعى .

وجاءت المسيحية انسانية تنادى بقيمة الفرد بغض النظر عن قوميته وجنسه ومكانته الاجتماعية ، أو كونه رجلا أو امرأة . كما جاءت بالمساواة بين الأفراد ، فليس هناك أغنياء وفقراء ،وسادة ، وعبيد ، وأحرار وأرقاء . وقد حاولت الديانة المسيحية الجمع بين القومية المسيحية والكمال البشرى . ولهذا فإن القرون الأولى اتسمت بالاهتمام بالجانب الأخلاقى . فكان رجل الدين هو المعلم . أما المحتوى فهو الكتاب المقدس مع تعاليم ومثاليات المسيحية . وقد كانت هذه التربية لا تهدف إلي نمو عقلى واجتماعى فقط بقدر ما كانت تهدف إلي تحقيق خلق روحانى .

وتنقسم التربية فى العصر القبطى إلي مرحلتين أولهما : كان المنزل والمدرسة الابتدائية التى كانت تلحق بالكنيسة أو الدير . وثانيهما :

٠١- د . حسين عبد الحميد أحمد رشوان . التربية والمجتمع – دراسة فى علم اجتماع التربية ص ص ٢٣-٢٧ .

مرحلة التلمذة على يد معلم خاص ، إلي جانب المدرسة اللاهوتية التي تؤهل الدارس فيها لوظيفة دينية داخل الكنيسة .

ولم تعرف المدارس اللاهوتية مبان خاصة ، بل كان المعلمون يستقبلون الطلاب بمنازلهم أو فى الأماكن التى يرونها ملائمة لإلقاء الدروس ، وكانوا يعلمون أصول العقيدة مع تفسيرها وشرحها ، إلي جانب الدراسات العلمية البحتة كالهندسة والفلك وعلم وظائف الأعضاء. كما اهتموا بالفلسفة والشعر . ومما يستحق الذكر أن التربية فى المسيحية لم تعترض على تعليم الفتيات ، بل دعت إلي اشتراكهن فى الخدمة الدينية . وجعلت منهن شماسات أى معاونات للراعى فى خدمة السيدات [١] .

وقد كان ابناء الأغنياء ، وأبناء السادة يربون على الثقافة الكلاسيكية فى المدارس العامة Public School الملحقة بالأبرشيات. وكانت حفنة قليلة من أبناء الفقراء تلتحق بالمدارس الخيرية . أما العدد الأكبر من أبناء الفقراء فكان مصيرهم أن يصبحوا صبية مهنيين Apprentices يتعلمون بعض الحرف ، وما يعرض من بعض أصول الدين، والقليل من القراءة لخدمة المهن الصناعية .

وكان النظام الكنسى والتكوين الطبقى للمجتمع هما القوتان الرئيسيتان اللتان قررتا شكل النظام المدرسى،ومتعلقين ببعضهما بعلاقة وثيقة [٢] .

وتؤدى المؤسسات الدينية دور بعض النظم الاجتماعية ، فالكنيسة فى انجلترا ، وأمريكا توجه المدارس وتقيم حفلات للسمر الاجتماعى .

١- انظر د . سعد مرسى أحمد و د . سيد إسماعيل على . تاريخ التربية والتعليم ص ١٢٤ .
٢- ميريتى ثيرنى . التربية والصراع الاجتماعى ص ٤- ٥ .

وتبدأ التربية الاسلامية بالفرد،ذلك أن الفرد عضو فى الجماعة التى يعيش فى كنفها،وواحد من أفرادها ، فإذا احسنت تربية الفرد ، ووجه التوجيه السليم،فمما لاشك أن هذه التربية سوف تشمل الجماعة كلها .

من أجل هذا اعتنى الاسلام اعتناء كبيرا بالفرد،ودعا إلي تربيته ماديا ومعنويا تربية سليمة تقوم على أساس من الأخلاق الكاملة الفاضلة، والعزيمة القوية،والهدف النبيل،حتى يكون قادرا على تحمل المسئولية فى كل موضع يوضع فيه فيؤدى واجبه نحو ربه ونفسه ومجتمعه على أتم وجه.

ويهيب الاسلام بالآباء أن يقوموا بواجب التربية ، ويحذرهم خطر المساءلة عليه ، يقول سبحانه وتعالى :" يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة " (التحريم :٦) . ويقول صلى الله عليه وسلم :" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " (أخرجه مسلم) .

ويحرك الاسلام فى نفس الانسان الإحساس بمراقبة الله فى كل لحظة ، وفى كل خطوة ،وفى كل عمل ، يحرك فى نفسه بمراقبة الله ، وهو يمشي في مناكب الأرض طلبا للرزق . يحرك في نفسه هذا الإحساس وهو يخالط الناس ويعايشهم ويتعامل معهم ، ويحرك فيه هذا الإحساس وهو يربى أبناءه ويتعامل معهم، فالله معه أينما كان. يقول تعال : " ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة" (المجادلة : ٧)

" وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير " (الحديد : ٤)

" يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور " (غافر : ١٩)

" أنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون"(الأنبياء:١١٠)

ومن وسائل الإسلام فى تربية الروح فى قلب الانسان تقـوى الله والخشية منه واللجوء إليه دون سواه ، ويحرك فى قلبه الرضا بقضـاء الله وقدره ، والطمأنينة إليه فى السراء والضراء .

ومن ناحية تربية العقل يدعو الاسلام الإنسان إلي التأمل فى آيات الله فى الأنفس والآفاق وإعمال العقل فيها كي يدرك عظمة الله وإبداعه .

" وهو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شـجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومـن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون " (النحل ١٠ – ١١)

" وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كـل الثمرات جعل فيها من كل زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (البقرة : ١٦٤) .

" أولم يتفكروا في أنفسهم " (الروم : ٨) .

" وفي أنفسكم أفلا تبصرون " (الزاريات : ٥) .

ومن وسائل الإسلام في تربية الروح العبادات .

فالصلاة هى الصلة الدائمة بين العبد وربه وعن طريقهـا يبتعـد الانسان عن الفواحش والمنكرات ويقترب من الله سبحانه وتعالى ويحـب الخير للجميع [١] .

---

[١] محمد حسانين البطح : التربية الاسلامية ودورها في بناء الحضارة الاسلامية ، ص٢٨٦- ٢٩٠ .

الفصل السابع عشر

الدين والاقتصاد

الدين ظاهرة إنسانية محضة.وهو ظاهرة يتميز بها النوع الانساني بأسره،وتختلط بالظاهرة الاقتصادية.حيث للدين أثر كبير فى النشاط الاقتصادي،فقد كتب أحد أتباع ماركس يقول :"ما كان للدين والفلسفة أن يوجدا دون الشروط الاقتصادية التى تجعل ظهورهما أمرا ممكنا .

ويقول فريزر أن الدين التوتمى يرجع إلي أصل غذائى محض . وتحرم الجماعات التوتمية قتل توتمها ، وتحاول الاحتفاظ به وتزيينه ، مع أنه يمكن أن يكون مصدرا من مصادر الانتاج الاقتصادى . ويرى فريزر أن طقوس "الأنتشيوما " ،وهى محور الديانة التوتمية فى استراليا تهدف إلي إكثار الفصيلة التوتمية . كما تهدف المحظورات التى تحمى الفصيلة إلي الحيلولة دون القضاء عليها [١] .

وأكد ماركس فيبر أن السحر مجهود يبذله الهمجى لتسخير الطبيعة فى تحقيق مصالحه المادية ، كشفاء الأمراض ، والمطر الذى يخصب الأرض، والشمس التى تنضج الثمار .

ويرى البعض أن توزيع الأراضى يلعب دورا هاما ، ويفسر بعض الظواهر التى يغلب عليها الطابق الصوفى . وفى بعض المجتمعات البدائية تقام الصلاة فى وقت الزرع ،وتؤدى طقوس الشكر فى وقت الحصاد .

كذلك فإن الظاهرة الدينية المسماة " البوتلاش " تؤدى إلي تركيز الثروة فى أيدى الرؤساء . كما أن النظام الهندى الخاص بتحديد وظائف

١- د. السيد الحسينى . مقدمة الاجتماع الدينى ص ٢٠٧ .

الطبقات يرجع إلي أسباب دينية . كذلك فإن الهيئات النقابية الإغريقية مثل نقابة الحطابين وتجار الخشب ونقابات صناع المعادن كانت طوائف للسحرة فى أول الأمر .

وهناك تفسير سيكولوجى / نفسى قال به "ماكس فيبر" و" نيتشه " .ففى رأيهما أن المسيحية ديانة الجماعة المضطهدة والمرهقة والضعيفة،والخضوع الأعمى لأوامر سادتهم ، فهى القائلة : من ضربك على خدك الأيمن ، فأدر له خدك الأيسر .

وتعبر المسيحية عن عواطف الكراهية التى يشعر بها الأرقاء تجاه سادتهم وهى تسعى لتخفيف آلام الحاجة إلي التحرر والراحة التى يضطرب بها تفكير هؤلاء البؤساء.وهى تؤمن فى الوقت نفسه بالإيمان بوجود الفردوس والنعيم الأبدى تلتمس السعادة طالما كانت تنشدها على هذه الأرض [١] .

وقد اتسمت المسيحية فى عصورها الأولى بالتجرد المادى ، والسماحة،والزهد . وتمثل ذلك فى أقوال آباء المسيحية ، فرددوا ذلك بالنسبة للملكية ، وقالوا : إن الله خلق الأرض لينتفع بها الجميع من عباده. وقد أدى هذا إلي التنديد بالملكية الخاصة التى كانت عند الوثنيين ، وتمجيد الملكية العامة . يقول أحد آباء الكنيسة : إن المسيحيين يعيشون إخوة فى ظل الملكية العامة. أما الوثنيون فنظامهم هو سبب النزاع والقصاص . والمسيحيون فى اتحادهم القلبى والروحى يعتبرون أن كل شئ ملك للجميع ، فالملكية عامة لديهم فيما عدا ملكية النساء . أما لدى الوثنيون ، فعلى العكس ليست هناك ملكية عامة إلا ملكية النساء .

---

[١] يوسف باسيل شمت . علم الاجتماع الدينى ص ١٤٠ .

وأعلن القديس إمبروز أن حق الملكية العامة قد أوجدته الطبيعة . أما حق الملكية الخاصة فقد أوجده التعسف[١] .

ودرس القديس أوغسطين (٣٥٣ ـ ٤٣٠م) ،نظام الملكية الفردية ، وأرجع حقها إلي الذات الإلهية ، فالله وحده هو المالك الحقيقي، وهو الذى يستطيع أن يتصرف فى الملكية كيف يشاء ، وأن يتصرف بإيداعها فى يد الانسان . فملكية الانسان ليست إلا ملكية نسبية لأنها تخضع لإرادة الله . والله يسمح للإنسان بالانتفاع بالخيرات التى تفيض من كرمه ، ولكنه لا يسمح ، ولا يرضى من إساءة حق الانتفاع .

ويضيف أوغسطين أن الله يوزع أشعة الشمس على جميع الناس ، وينزل الغيث على جميع الحقول بدون تمييز . ولكن بعض ظروف الطمع أو الظلم هى التى رجحت كفة بعض الناس بالنسبة للخيرات التى أعطاها الله للجميع . ولو علم الأغنياء ذلك ، ونفذوا إرادة الله بإشاعة السيادة واليسر بين أفراد الشعب لكانوا أغنياء فى الدنيا ، وأغنياء فى الآخرة بدلا من أن يسيئوا استعمال ثرواتهم فيشتروا غنى الدنيا بسعادة الآخرة .

وعلى ذلك يجب على الدولة حماية الملكية وإقرارها ، وإقرار ما يؤدى إليها من بيع وشراء وبدل وهبة وإرث وغير ذلك . وعلى الحكومة أن تحارب التملك غير المشروع كالسرقة والاغتصاب [٢] .

وعرض القديس توماس الإكوينى (١٢٢٥ -١٢٧٤م) لظاهرة الملكية ، وأخذ يردد قول القديس أوغسطين وغيره من أساطين اللاهوت

١- د . حسين عبد الحميد أحمد رشوان . الاقتصاد والمجتمع – دراسة فى علم الاقتصاد ص ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

٢- د. مصطفى الخشاب . دراسات فى الاجتماع الاقتصادى ص ٧٨ .

المسيحى بأن الله خلق الأشياء جميعا ، وهو المالك لجميع ما على الأرض،وعلى ذلك فالملكية الخاصة هى تفويض من الله للإنسان باستخدام ثروات الأرض والانتفاع بخير ثرواتها ، فهى ليست إلا مجرد حق الانتفاع ، منحه مالك كل شئ وهو الله — للإنسان .

ويضيف إلي ذلك أن عدول الانسان عن الانتفاع وزهده فيه يعود على حياته وعلى مستقبله بالضرر . فيجب عليه إذن أن يستخدم المال . ويسخر موارد الطبيعة لمصلحته ومصلحة أقرانه ، ويعمل ما فى وسعه لتقدم وازدياد الرفاهية لبنى الانسان . وإذا ما أصاب الانسان بجهده مالا وفيرا ، فعليه أن يستخدم هذا المال لمساعدة الآخرين ، وأن يكون المال فى يده وسيلة تعينه على أداء الواجب ومساعدة الآخرين .

وهكذا فان الملكية — كما عرض الإكوينى — ظاهرة جائزة شرعا.فهى اصطلاح اجتماعى نافع يحقق الخير العام . وهى ليست شرا فى ذاتها ، وإنما الشر فى الاستئثار بالمنافع وحرمان الفقراء . وهكذا أيد الإكوينى الملكية الفردية ، واستند فى ذلك إلي أن اهتمام الفرد بملكه الخاص يكون عادة أكثر من اهتمامه بملك مشاع بين الجميع ، وبذلك تكون الملكية الفردية خير وسيلة فى نظره لزيادة الانتاج وحسن استغلال الثروة . وعلى المالك أن لا ينسى أن خيرات الأرض إنما خلقت لكى يتمتع بها جميع الناس فواجبه يحتم عليه أن يشرك الآخرين فيما يجنيه من ربح ناتج عن استغلال ما يملك .

وقرر الإكوينى أن الفقر إذا أصبح عاما ، فإن الأشياء يجب أن تصبح عامة ، وملكيتها تصبح مشتركة . واعترف الاكوينى بنظام الرق ،

وسلمَّ بأنه يؤدى وظيفة اجتماعية وندد الإكوينى بالربا ، فهو وسيلة غير شريفة تناهض الدين . ولذلك حرمه تحريما قاطعا ، وقال فيه : أن من يبيع الخمر أو النبيذ يفقد كل حق فيما يبيعه ، بحيث يصبح المشـــترى هـــو صاحب الحق الكامل في استهلاك السلعة والتصرف فيها حسب رغبته . أما إذا أقرض امرؤ صاحبه شيئا من الخمر أو النبيذ ، فإن لـــه الحـــق فى استرداد قدر مساو له أقرضه تماما ، ولا يحق له أن يطلب مقدارا إضـــافيا من الخمر أو النبيذ نظير الخدمة التى أسداها لصاحبه .

وقد كان رجال الدين المسيحى فى العصور الوســطى — أحـــد العوامل الرئيسية فى ظهور الإقطاع .كذلك فإن المـــذهب الكـــاثوليكى هاجم النظام الرأسمالى وعاداه فى العصور الوســـطى . يقـــول القـــديس جيروم:" أن الرجل الغنى هو لص أوابن لص" .كـــذلك اعتـــبر القـــديس أوغسطين التجارة عمل سئ لأنها تبعد الناس عن الله .

وذهب ورنر سمبارتWerner Sombart إلي أن الترشيد،والاعتدال ، وواجب الادخار ، والأمانة والربح والفائدة ،وهى من خصائص الرأسمالية الحديثة يمكن أن نجـــدها فى مبـــادئ الكنيســـة الكاثوليكيـــة وليســـت البروتستانتية هى المسئولة عن ظهور الروح الرأسمالية .فالرأسماليـــة وروح الرأسمالية كانتا تنتشران بسرعة قبل أن يكون هناك بروتستانت .

وفى مقابل هذا الاتجاه ، وفى القرن السادس عشر والسابع عشـــر نمت حركة الاصلاح البروتستانتى جنبا إلي جنب مع التغير الاقتصادى نحو الرأسمالية فى أوروبا الشمالية ، حتى أن التوافق الزمنى والجغرافى بين الدين الجديد والنمو الاقتصادى الجديد – دعى الكثير إلي القول أن البروتستانتية

كان لها أثر كبير في ظهور النظام الرأسمالي . فروح البروتستانتية لم تكن عقبة فى حب التملك ، ونظرت إلي السعى إلي الربح على أنه أمر تتجه إليه إرادة الله ودليل على رضاء السماء . واعتبرت عقيدتهم أن تجمع الثروة يجب أن تستثمر لتنتج ثروة أكبر . وأخذ المذهب البروتستنتى على نفسه مهمة المطالبة بحقوق الطبقات العاملة .

ويقول ماكس فيبر أن هذه الطائفة قدَّست العمل وأوصت بـه ، وأدخلته فى عداد واجبات الانسان .وترى البروتستانتية أن الخلاص الأبدى لا يكون فى الزهد فى الدنيا والعيش فى الصوامع ، بل فى العمل المثمر والعيش المنظم دون إسراف ولا تقتير ، فيزداد بذلك رأس المال ، ويتضخم شيئا فشيئا ، ممهدا الطريق للرأسمالية .

وقد قام فيبر بإحصاءات دقيقة تبين منها أن البلاد التى ازدهرت اقتصاديا تدين بالبروتستانتية،وهى هولندة وانجلترا وأمريكا.أما البلاد التى تدين بالكاثوليكية أو غير البروتستانتية،فقد بقيت متأخرة فى ميدان الاقتصاد .

وعن موقف المسيحية من الربا ، ورد فى العهد الجديد (الانجيل):
" وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأى فضل لكم ؟ .. ولكن افعلوا الخيرات،وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئا ..وإذن يكون ثوابكم جزيلا"(الآيتان:٣٤،٣٥ من الاصحاح السادس من انجيل لوقا) .

وقد أجمع رجال الكنيسة ورؤساؤها ، واتفقت مجامعها على أن هذا التعليم الصادر من السيد المسيح عليه السلام يعد تحريما قاطعا للتعامل بالربا ، حتى أن الآباء اليسوعيين الذين يهتمون غالبا بالميل إلي الترخص والتسامح فى مطالب الحياة ، وردت عنهم فى شأن الربا عبارات صارمة ،

منها قول " سكوبار " : أن من يقول الربا ليس معصية يعد ملحدا عـــن الدين . وقول " الأب بونى " :أن المرابين يفقدون شرفهم فى الحياة الدنيا، وليسوا أهلا للتكفين بعد موتهم "[١] .

وللتدليل على العلاقة بين الدين والاقتصاد نذكر انخفاض أســـعار اللحوم وبعض المواد الغذائية فى المجتمعات المسيحية فى أوقات الصوم .

ويعتبر الاسلام عقيدة وعمـــل.فقـــد حـــث الاســـلام علـــى العمل،والاخلاص فيه وإجادته،وترك الكسل والخمول.وليتذكر كل عامل أنه مسئول عن عمل أمام عالم السر والعلانية يوم الرجوع إليه.يقول سبحانه وتعالى:"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلي عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون"(التوبة: ١٠٥).

وعن أبى صفوان عبد الله بين يسر الأسلمى رضـــى الله عنــــه ، قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" خير الناس من طال عمره ، وحسن عمله " (الترمذى) . وعن جابر رضى الله عنه قـــال : قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا يغرس مسلم غرسا ، ولا يـــزرع زرعا فيأكل منه إنسان ، ولا دابة ، ولا شئ ، إلا كانت له صدقة " .

والعمل شرف. وقد عمل الأنبياء بأيـــديهم ، داود ، ســـليمان ، وكان زكريا عليه السلام نجارا ، كما عمل محمد صلى الله عليه وســـلم بيديه . يقول سبحانه وتعالى :" ولقد آتينا داود منا فضلا ، ياجبال أوِّبى معه والطير ، وألنّا له الحديد ، إن اعمل سابغات وقـــدر فى الســـرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير " (سبأ :١٠-١٣) .

---

[١] انظر د. السيد محمد بدوى . علم الاجتماع الاقتصادى ص١٨٧ ـ ١٩١ .

والعمل نوع من الشكر لأن به يتحقق فائدة ما أنعم به وقليل ما أوجده فى هذا الكون : " واعملوا آل داود شكرا،من عبادى الشكور " .

وحث الاسلام الانسان على العمل باعتباره الطريق الوحيد لتملك المال ، إلا أن الاسلام قد جعل المال مال الله والانسان خليفة الله فى هذا المال . كذلك وإن كان حق التملك فردا مباحا ، إلا أنه جعل للملكية وظيفة فى المجتمع .

والعمل هنا مادى أو معنوى أو مؤلف بينهما ، وهو مشروط بأن يكون نافعا للناس فى الدنيا والآخرة . ويشمل العمل اليدوى والفنى والعقلى ، فالصحة وإحياء الأرض والزراعة والصناعة والتجارة والعمل الفكرى كلها مجالات للعمل حث عليها الانسان .

وجعل الاسلام الحق للعامل فى أن يختار العمل الذى يتلاءم مع قدراته ومهاراته ورغباته مادام عملا مشروعا نافعا . وقد فاوت الله بين خلقه فى الأموال والأرزاق والعقول ، فقال عز وجل : " نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات . " (الزخرف : ٣٢) . وطالب الاسلام بتعجيل دفع الأجر وعدم انقاصه عن القيام بالحاجات الضرورية . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :" اعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه . " .

وفى البيع يقول سبحانه وتعالى :" وأحل الله البيع وحرم الربا " (البقرة : ٢٧٥) . ففى البيع تبادل المنافع وتحقيق الخير للبائع والمشترى وتلبية حاجات الناس لذلك أحله الله . أما الربا ففيه استغلال القوى للضعيف ، واستبداد الغنى بالفقير ، وإرهاق المحتاجين . وحرم الإسلام

أكل الخنزير وشرب الخمر ، مما يعمل على انخفاض أسعار هذه المــواد فى المجتمعات الاسلامية . يقول سبحانه وتعالى : **"حرمت علــيكم الميتــة والدم ولحم الخنزير "** .

ويحترم الاسلام الملكية الفردية ،ونهى عن الاكتناز لكى يدور المال فى المعاملات . فـ[redacted]وظيفة ودور أساسى فى الحياة الاجتماعية ، وأن احتفاظ أشخاص [illegible] يكنزونها حرمان للمجتمع من هذا المال غــير المتداول . فالمال مال الله ، أتاه عباده ، واستخلفهم فيه .

يقول الله تعالى :**" وآتوهم مــن مــال الله الــذى آتــاكم "** (النور:٣٣) ويقول الله تعالى :**" آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكــم مستخلفين فيه فالذين آمنوا وانفقوا لهم أجر كبير "** (الحديد ٧) . أما عن الاكتناز فيقول سبحانه وتعالى :**" والذين يكنزون الذهب والفضــة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليهم فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون "** (التوبة : ٣٤- ٣٥) .

ونهى القرآن الكريم والسنة عن أن يأخذ إنسان مال الآخر بغــير رضاه ، وأن يأكله بالباطل . ومن الأكل بالباطل الرشوة ، وما وجــدت الرشوة فى مجتمع أفسدت موازينه ، وإذا أفسدت الموازين اضطرب أمره ، ولذلك قال تعالى : **" ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلي الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون "** .

وحدد الاسلام قانونا للميراث يوزع الثروة توزيعا عــادلا علــى أساس صلة القربى وصلة الزوجين . وتشمل القرابــة الأبنــاء والبنــات والآباء

والأمهات والإخوة والأخوات يستوى فى ذلك الصغير والكبير ، وعلى أن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين ، وذلك لما يتحمله الذكر من أعباء مالية ، فالذكور هم وحدهم المكلفون بالانفاق . والزوجان يرث كـــل منـــهما الآخر . غير أن نصيب الزوج ضعف نصيب الزوجة . فالميراث حق إعادة توزيع الثروة من جديد بطريقة إلهية عادلة ، ولاشك أن هذا يــؤدى إلي منع الاستئثار بالثروة .

الفصل الثامن عشر

الدين والسياسة

يرتبط الدين بالسياسة ارتباطا وثيقا ، بل وامتزجت السلطة الدينية بالسلطة السياسية ، واستعان كل منهما بالأخرى . فما زال التنظيم السياسى يحقق ذاته في معظم المجتمعات عن طريق المذهب السائد ، كما يحاول الدين تدعيم وجوده بالتوافق مع السلطة السياسية [١] .

وقد أولى هربرت سبنسر اهتماما بالغا بهذا الموضوع ، وربطه بقانونه القائل بالتطور الانسانى . وهو قانون الانتقال من المرحلة الحربية إلى المرحلة الصناعية . فقد كان الكهان فى نفس الوقت مقدمو القرابين والرؤساء المدنيون والحربيون ، وهم الحكام والقضاة والمستشارون السياسيون . وقد رويت آلهتهم من دماء أعدائهم . ولكن طبقة الكهنوت فقدت وظائفها الحربية والمدنية لكيلا تحتفظ إلا بوظيفتها الدينية عندما انتصرت الصناعة ، والتى ترتبط بظهور التعاون بدلا من القهر .

وكان رؤساء القبائل المتأخرة يتمتعون بسلطة سياسية كبيرة بجانب سلطتهم الدينية . فرئيس العشيرة التى تعبد التوتم هو كاهن الجماعة الأكبر، وتعتبره الجماعة صورة حية للتوتم ، وتضفى عليه كثيرا من صفاته، فهو الوارث للإله (التوتم) . وفى ظل هذا النظام كانت كل جماعة تمثل وحدة سياسية مستقلة – بمعنى أن كل جماعة لا ترتبط

---

[١] انظر د . على عبد المعطى ود . محمد على محمد . السياسة بين النظرية والتطبيق ص ٣٢٢ .

بالجماعات الأخرى مطلقا ، ولا يشتركون فى معبود واحد ولا تـــربطهم رابطة الدم .

وكانت التواتم والشعارات والرقصات تنتقل مـــن المهـــزومين إلى المنتصرين ، وكانت السلطة الاجتماعية للرئيس فى المستقبل ترجع بحسب أصلها إلي الميزات الدينية للعشيرة وهذه التواتم والشعارات والرقصـــات مشبعة بقوة غيبية " ألمانا " . وكان الدين هو المـــبرر لإنشـــاء الســـلطة الفردية.ولكي تخرج السلطة السياسية إلي الوجود ، فإنها تتطلب بعـــض التغييرات فى التصورات الدينية الخاصة بالمانا ، والتوتم ، والتى ترتبط بها " البوتلاتش" فى بعض الحضارات [١] .

وعند الشعوب المتبربرة نرى رجالا ونساء هم السحرة التى تنسب إليهم العشيرة ، لهم تأثير واضح فى مجرى الطبيعة ؛ إما لأنهم يســـقطون المطر الذى فيه غذاء لهم ، وإما لأنهم يساعدون الشمس الواهية فى الصباح حتى تنهض إلي الأفق . وقد كان الملوك أبناء هؤلاء الســـحرة مـــازالوا يحتفظون فى كثير من المناسبات بعدد من القوى الخفية . حدث هـــذا فى استراليا وجينيا .

وكان الإسرائيليون القدامى يعتقدون أن الله هو الذى اختار الملك ، وهو الذى يمده بالسلطان ، ويحكم الملك بفضل الله . ويحدثنا العهد القدم مقررا هذا الحق السماوى . وكان نتيجة ذلك تقديس الملك . وقد كان شاؤل وداود يقدمان القرابين متبعين الطقوس الكهنوتية التى من اختصاص كبير الكهنة . كما كان كل من داود وسليمان يبارك الشعب ككاهن .

---

[١] انظر روجيه باستيد . المرجع السابق ص١٩٧ - ٢١٢
وانظر د. أحمد الحسينى . المرجع السابق ص٢٠٠ - ٢٠١

وقبل كشف كولومبوس لأمريكا انصرف ملوك الهنود الحمر من الصباح إلي المساء إلي الأنين من أعماق قلوبهم وأحشائهم يستحدون الضياء والحياة لرعاياهم . كما كانوا يستحدون القوة لأنفسهم ، وقد رفعوا أنظارهم نحو السماء .

وفى اليونان القديمة كان الملك الإغريقى هو الرئيس الدينى ، وهو الذى يقوم بتقديم القرابين ، ويتلو الصلوات ، ويرأس الوجبات الدينية . وكثيرا من الثورات كان يتم من خلال المنازعات الدينية ، كالأساطير الإغريقية الخاصة بالعقاب الذى أنزله (يونيسيوس) لسلالات الملوك يشير بوضوح إلي صراع الشعب الزراعى ضد الارستقراطية كانت تتابع حلقاته داخل عبادة " ديونيسيوس " . ولم يكن الخلاف بين الأشراف والعامة خلافا بين طبقتين اجتماعيتين فحسب ، بل كان بين ديانتين هما ديانة الآلهة الأرضية وديانة الآلهة السماوية . وبالمثل فقد كان الملوك الرومانيون كهنة .

وفى مصر القديمة كان فرعون هو الذى يملك صنوف السحر، ويسيطر على الشمس ،وكان رب الصاعقة ، والذى يجود على الأرض بالماء ، ويكفل انتظام الفصول باشاراته السحرية . وفى مقابل ذلك استعانت السلطة السياسية بكل ما تملكه العواطف الدينية من قوة قاهرة ، حتى تثبت أقدامها . ولما فزع اخناتون من طغيان طائفة الكهنة ،أخفى عمله السياسى خلف إصلاح دينى ، إذ استعاض عن المعبود الوطنى القديم " آمون – رع " ، بالشمس – أى آتون .

وقد كانت الكنيسة الكاثوليكية فى بداية أمرها سلطة روحية محضة ، ثم ما لبثت أن أصبحت سلطة سياسية ، فاهتمت بوظيفة الحكم وطالبت بحقها فى التدخل فى الشئون العامة ، وخاصة عندما قامت السلطات العلمانية بالدعاية ضد الكهنوتية ، ودخلت فى صراع مع البابوية الكاثوليكية . وينطبق هذا على فرنسا خلال حكم الجمهورية الثالثة ، وعلى إيطاليا فى فترة حكم البابوية الكاثوليكية وما بعدها. وفى أمريكا وانجلترا قامت الكنيسة بتوجيه المدارس وتشييد الأندية ، ونشر حب الانسانية ، وإقامة حفلات للسمر الاجتماعى .

وقد انحرف بعض الآباء إلي استغلال الانسان ، والحجر على فكره وحريته ، واقتناء الإقطاعيات والعبيد ، ومحالفة الملوك والقياصرة الطغاة ضد الشعوب ، والمتاجرة بتذاكر الغفران ،حتى اشتعلت النفوس حقدا ومرارة ، وشوهت صورة الدين فى أعين الناس . وكان شعار أشهر ثورتين فى أوروبا دليلا على ذلك :

- شعار الثورة الشيوعية : الدين أفيون الشعوب
- شعار الثورة الفرنسية : اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس[١] .

ويؤكد العلماء أن الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، وإعلان حقوق الانسان ترتبط بحركة الاصلاح الدينى البروتستنتى فى القرن السادس عشر.

١- انظر محمد كامل حته . المرجع السابق ص ص ٢٣٦ -٢٣٧
وانظر د .السيد محمد الحسينى . المرجع السابق ص ٢١٢ .

وفى عصرنا الحالى ، أصبح للأحزاب السياسية الكاثوليكية دور بارز فى العمل السياسى . ففى إيطاليا لقى الحزب الديموقراطى المسيحى تأييدا كبيرا فى الانتخابات من معظم فئات الشعب ماعدا الفقراء .وهو حزب مفتوح لغير العلمانيين — أى يضم العناصر ذات الحمية الدينية [١] .

وفى شيلى تأرجحت القوى السياسية بين الحزب الديموقراطى المسيحى الكاثوليكى وبين الحزب الماركسى F. R. A. P.عام ١٩٦٤ . وانتصر الحزب الديموقراطى المسيحى بقيادة إدوارد فرى Edward Frei . وكان العنصر الأساسى فى حركة الإصلاح البروتستانتى سياسيا . ففى عهد الملكة إليزابيث ظهر نمط من القومية يرتبط بالمذهب البروتستنتى . وكان بقاء انجلترا يتطلب هزيمة أسبانيا الكاثوليكية . وترتبط الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وإعلان حقوق الانسان بحركة الاصلاح البروتستنتى فى القرن السادس عشر .

وقد أشارت دراسات عديدة إلي وجود علاقة بين الدين والسلوك السياسى والإنتساب الحزبى ؛ إذ أصبحت الجماعات ذات المصالح الدينية والأحزاب السياسية عوامل بارزة فى التأثير على نشاط الجماهير .وفحوى هذه الدراسات أن الغالبية العظمى من البروتستانت جمهوريون ، أما الغالبية العظمى من الكاثوليك فهم ديموقراطيون . ففى انتخابات المجلس الفيدرالى عام ١٩٢٤ أدلى الكاثوليك واليهود بأصواتهم للمرشح الديموقراطى ، وأدلى البروتستانت بأصواتهم للمرشح الجمهورى [٢] .

١.
Gianvanni Satori, Political Parties,The Case of polarized and Pluralism in Josef la Palombara &Weiner joseph Myron,Bureaucracy and Political Developmnet,P. 143 .

٢- د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان . التغير الاجتماعى والتنمية السياسية فى المجتمعات المناسبة ص ص ١١٧ — ١٢٢ .

وبالرغم من الفصل نهائيا بين الدين و الدولة ، فإن السلطة السياسية تحتفظ ردحا طويلا من الزمن ببقايا العصر الذى كانت فيه الملكية مرتبطة بالكهنوت . وقد برهن " مارك بلوخ " على ذلك بأن ملك فرنسا كان يشفى داء الخنازير .

ومن ناحية أخرى فإن السلطة الدينية تحلم دائما بالاستحواذ على السلطة السياسة .وقد بين " تريل " أن الجمعيات السرية لدى عبدة الأصنام تهدف إلي استدراج الشبان الذين أتموا طقوس الاطلاع على الأمور الدينية من براثن الرؤساء السياسيين لكى يحتفظوا بهم تحت سيطرتهم الخاصة . وفى الواقع تلعب هذه الجمعيات دورا هاما فى كل مكان تقريبا لدى أنصاف المتحضرين . وقد تنتهى إلي قتل ملوك أو تجريدهم من سلطانهم .

وقد حدث عكس ذلك فى العالم الاسلامى . فالاسلام عقيدة ودولة. ونظام الحكم المستظل بمبادئ الدين لم يدعى فيه الحاكم أنه يستمد سلطة إلهية مطلقة ، ولكنها بيعة وطاعة يقيدها العدل ، وحمل المسئولية بالأمانة الواجبة وإلا فلا سمع ولا طاعة .

ففى أول خطبة للخليفة الأول أبو بكر ، قال : " أيها الناس : قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن صَدَفْتُ (ملت عن الحق) فقومونى.... أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم " .

وقيل مرة لأبى بكر : يا خليفة الله ، فاستنكر ذلك ،وقال : لست بخليفة الله ، ولكنى خليفة رسول الله .

وقال عمر عندما تولى الخلافة : **من رأى منكم فىّ اعوجاجا فليقومه ، فقال أعرابي : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا .**

وحيث أن الاسلام دين ودولة ، فلابد أن يتوافر للدولة رئيسا أعلى يسوسها ويرى أمورها ويتولى إدارة شئونها . وقد يطلق على هذا الرئيس اسم خليفة ، وقد يسمى إماما ، وقد يطلق عليه أمير المؤمنين أو سلطان ، وكلها ألفاظ ترادف معنى واحد هو الرئاسة العامة للدولة الاسلامية فى الدين والدنيا .

ويشترط فى الحكم الاسلامى إقامة العدل .يقول تعالى :" **إن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى** " (النحل : ١) . والشورى قاعدة أساسية من قواعد الحياة السياسية الاسلامية . يقول سبحانه وتعالى:"**وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** "(الشورى : ٣٨). وتعنى الشورى تبادل المسلمين الآراء فيما يخصهم من أمور وقضايا، وعدم تفرد الحكم بالرأى والانفراد فى إتخاذ القرار. فقد أمر الله سبحانه وتعالى الرسول بالشورى . فيقول " **فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر** " (آل عمران : ١٥٩) .

وأمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة الرسول وأولى الأمر .والطاعة تعنى قبول والتزام بالأوامر والتوصيات الصادرة من الحاكم المسلم فيما ليس فيه معصية . وكفل الاسلام للانسان الحرية والكرامة ، وذلك مثل حق الحياة ،وحق العيش فى أمان ، وحق التعليم ، وحق التملك ،وحرية الرأى ، وحرية العقيدة ،وحرية الفكر .

ويمتلئ تاريخ السياسة الاسلامية بالشواهد الدالة على ما للفرق الدينية والمذهبية والطرق الصوفية من دور فعال فى الأحداث التاريخية . فالفرق الدينية السابق ذكرها كان لكل منها دور واتجاه سياسى .

كذلك فإن للدين أثر فى تكوين الإمبراطوريات . ففى ظل الدين المسيحى تأسست الإمبراطورية الرومانية . وفى ظل الدين الاسلامى تكونت الإمبراطورية العربية التى استهدفت نشر الدين الاسلامى فى البلاد المفتوحة . وباسم الدين حدثت الحروب الصليبية مستهدفة بذلك منطقة الشرق الأوسط لاستغلالها والتسلط عليها وتخليصها وتخليص القدس من المسلمين ، ولهم مثل حقوقهم ، وعليهم مثل واجباتهم . وكان للدين أثره فى فصل باكستان عن الهند لاختلاف العقيدة الدينية .

وفى ظل الدين اليهودى تكونت إسرائيل العنصرية الاستعمارية فى قلب الوطن العربى — فى فلسطين — فهى لا تقبل من المهاجرين إلا من كان يهوديا متعصبا . أما أصحاب الديانات الأخرى فهم يلقون الاضطهاد والتعصب.

الفصل التاسع عشر

الدين والطبقات الاجتماعية

الطبقة مفهوم علمي حديث . يطلق عليه في اللغة الانجليزية Class، وفي الفرنسية Classe. وتعني الصنف من الناس أو الأشياء . وتعبر عن التفاوت بين الناس ، فكما تتفاوت طبقات الجو وطبقات الأرض وما شاكلها من الطبقات التي تختلف رأسيا وأفقيا ، كذلك يتفاوت الناس ويختلفون في فرص الحياة . فالطبقة الاجتماعية هي درجة الانسان في السلم الاجتماعي .

ففي المجتمعات يتمخض التفاعل الاجتماعي عن اختلاف في مراكز الأفراد ومراتبهم وهيبتهم نتيجة لتفاعل عناصر هي : الثروة ، والثقافة ، والمهنة ، والدين . فكلما ارتفعت ثروة الانسان وثقافته ومهنته، أو كان رجل دين ارتفعت بالتالي الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها ، والعكس بالعكس . وهكذا يوجد داخل المجتمع الواحد جماعات يتميز بعضها عن بعض هي الطبقات وهي تمثل سلسلة من مستويات المكانة من القمة إلى القاع ، مثله في ذلك مثل الأشخاص ذوي الأوزان والأطوال المختلفة ،حيث يوجد فجوات بين مكانتها ، ومع ذلك فإن هذه السلسلة قابلة للانهيار .

ويمكن تعريف الطبقة الاجتماعية بأنها : " أي جزء من المجتمع يتميز عن باقي الأجزاء بمنزلة أو بمرتبة اجتماعية " .

ويتحكم في هذا التمايز بين الطبقات الاجتماعية مجموعة من المحكات، وهي :

١- الأفراد المهنيون

٢- الملاك والمديرون والموظفون الرسميون (مزارعون ، تجار جملة وقطاعى ملاك آخرون ....)

٣- الكتبة والعاملون معهم

٤- العمال المهرة ورؤساء العمال

٥- البال شبه المهرة .

٦- العمال غير المهرة (عمال زراعيون – عمال غير زراعيين-طبقات الخدم)[١] .

وقد قسم العلماء الأوائل الطبقات إلي ثلاث : طبقة عليا ، وطبقة وسطى، وطبقة دنيا . ومن تلاهم قسموا الطبقات إلي ست ، وذلك بتقسيم كل طبقة منها إلي عليا ودنيا ، وهى :

١-الطبقة العليا العليا: تتكون من العائلات الغنية القديمة والبارزة اجتماعيا، وتمتلك مالا كثيرا لا يعرف الناس مصادره .

٢-الطبقة العليا الدنيا : وهى تتكون من عائلات ليست بارزة اجتماعيا ، ولديها مال كثير امتلكته منذ فترة وجيزة .

٣-الطبقة الوسطى العليا:وهى تشمل رجال الأعمال الناجحين الأفراد المتخصصين،وهم على وجه العموم من أصول عائلية طيبة،ويتمتعون بدخل مناسب .

٤- الطبقة الوسطى الدنيا:وتشمل الكتبة، والعمال ذو الياقات البيضاء ، والنصف متخصصين ، ورجال الحرف الذين هم فى القمة .

---

[١] ر.م. ماكيفر وتشارلز بيج . المجتمع – الجزء الثانى . ص ٦٣٤.

٥- الطبقة الدنيا العليا : وتشمل العمال الدائمين ، وهم فى الغالب لا يستريحون لاستخدام كلمة " دنيا " .

٦- الطبقة الدنيا الدنيا : وتشمل العمال المهاجرين والعاطلين ، والذين يعتمدون دائما على مساعدة الآخرين [١-].

ويعد الدين أحد المحكات المحددة للطبقة الاجتماعية . وهذا البناء الطبقي ليس بناء ستاتيكيا ثابتا ، بل هو بناء قابل للتغير فى معظم المجتمعات . وهو عكس نسق الطائفة Caste System، فهذا الأخير نسق ثابت يتميز بعدم المرونة ، وهو يورث كما تورث الجينات ، ومدعم بمبدأ ديني أو سحرى . وينشأ أعضاؤها على مهن دون أخرى ، وعلى النفور والتقزز من أعضاء الطوائف المخالفة . وأعضاء كل طائفة لا يتزوجون من أعضاء الطوائف الأخرى ، ولا يأكلون معهم ، بل ولا يمسونهم بأيديهم . وفى هذا يعرف جورج لندبرج الطائفة أنها طبقة اجتماعية غير مرنة يولد فيها الفرد ولا يستطيع أن يخرج منها إلا بصعوبة شديدة .

وليس من الممكن تفسير نظام الطبقات فى الهند فى ضوء اختلاف الجنس ، أو بإختلاف العقيدة وحدها . فإذا أردنا فهم الطبقة الهندية وجب علينا أن نقارن بينها وبين الطائفة الدينية . فالأمور المحرمة أو التابو هى التى تحدد فوارق بين الطبقات. أما الامتيازات فترجع إلي ضروب من النفوذ السحرى .

وندلل على ذلك بأننا إذا كنا لا نجد حقيقة نظام الطبقات إلا فى الهند وحدها فإننا نقف فى بلاد أخرى على طبقة الأشراف فى بلاد

[١-] Horton B . Paul. & Hunt L. Chester , sociology , P.P.234-235 .

الإغريق ، وكهنة اليهود ، وكهنة المصريين بصفة خاصة ، وكلها ترجع إلي أسباب دينية .

ويبدو أن سلطة الأشراف كانت فى مبدأ الأمر وليدة اجتماعات الطوائف الدينية فى الشتاء ، ونتيجة للمبارزات والصراع بين شارات العائلات ، وللاختبارات التى تجرى فى طقوس الاطلاع على أسرار الديانة. وهكذا أدت هذه الأمور إلي ظهور تدرج صوفى بين السلطات . ويفسر لنا هذا لماذا كانت الشارات الملكية الأولى ، فى الصين مثلا ، (التنين ، العصفور ، الأصفر أو الأحمر) ، هى شارات طوائف الحدادين، وأرباب النار ، والصاعقة .

وفى مصر الفرعونية القديمة كانت الطبقات الدنيا من المجتمع ، وهم الغالبية العظمى قانعة بما هى فيه من بؤس واستغلال ، على الرغم من وعيها بمظاهر الثراء الفاحش ورغد العيش الذى كان يعيش فيه صفوة القوة السياسية والدينية والعسكرية . وكانت هذه القناعة مصدرها دينى : فالفرعون الأكبر هو (الآلهة) الذى يعبد ويطاع .

ومن ثم كانت هذه الطبقات الدنيا تعمل بلا انقطاع لسنوات عديدة فى بناء مقابر الآلهة والمعابد الخاصة بهم . فكم من الوقت والجهد والمال قد أنفق على بناء الأهرامات ؟ ! ولاشك أن الموارد البشرية والفنية والمادية التى استخدمت فى بناء الأهرامات والمقابر والمعابد لو أحسن استخدامها لصالح عامة المجتمع فى إقامة مشروعات تنموية بشرية وزراعية وصناعية لكان هناك مجتمع فرعونى مختلف تماما ، وكانت هناك نهضة حقيقية شملت كافة قطاعات البناء الاجتماعى .

وينبع نظام الطوائف فى الهند من المعتقدات الدينية الهندوسية المسجلة فى الكتب الهندوسية التى تسمى الفيداس Vedas. وتحدد هذه المعتقدات جهازا قدسيا يتكون من أربع طوائف يطلق عليها فارنا Varna.

وتتكون الطائفة الأولى من البراهمة Brahmans . وهم الكهنة ورجال الدين الذين كان عليهم أن يحفظوا الكون الاجتماعى من خلال الترشيد الدينى والتوجيه النفسى .

والطائفة الثانية هى طائفة الشاترياس Kshatryias ، وهى طبقة المحاربين أو الارستقراطية العسكرية التى من واجبها حماية الكون الاجتماعى والنظام القدسى الطائفى .

أما الطائفة الثالثة فهى ألفايسياس Vaisyas ، وتتكون من الفلاحين والحرفيين والتجار .

أما الطائفة الرابعة والسفلى ، فهى طائفة السفلة أو السودرا Sudras وهى التى تقوم بجميع الأعمال اليدوية فى الوقت التى تقوم فيه بخدمة جميع الطوائف السابقة فى أمن وسلام .

وهذه الطوائف لا تتضمن جميع السكان الهندوسيين حيث لازال هناك ما يسمى بطائفة المطرودين [١].

وفى المسيحية يرى القديس توماس الاكوينى أن خيرات الأرض إنما خلقت لكى يتمتع بها جميع الناس ، فواجب المالك يحتم عليه أن يشرك الآخرين فيما يجنيه من ربح ناتج من استغلال ما يملك .

١- د. محمد نبيل جامع . المنتج فى علم الاجتماع ص ٢٨١ .

ولكن مادامت المزايا التي يتمتع بها المالك تفوق ما يحصل عليه الآخرون فلا مناص من الاعتراف بشريعة التفاوت في الثروة وفي المرتبة. على أن هذا التفاوت يبرره كذلك تفاوت حظ الناس من القوة والذكاء والخصال اللازمة لحسن استغلال الموارد الطبيعية . فكل طبقة ، وكل فرد يجب أن ينال من الأجر ما يلائم طبيعة عمله ، وطبيعة الخدمات التي يؤديها للمجتمع ، ويجب أن يرضى كل إنسان بالمكان الذى وضعته فيه العناية الربانية وأن يحسن خدمة المجتمع في مكانه . فاختلاف المكانة على الأرض لا يمنع من أن يكون الناس جميعا سواء أمام الله [١].

هذا ويوجد تفاوت في فهم الدين تبعا لاختلاف الطوائف ، وحتى لو اعترف أعضاء هذه الطوائف المختلفة بأنهم من دين واحد . فليس هناك وجه شبه كبير بين الطوائف الكاثوليكية لدى كل من الفلاحين والمثقفين ، في حين يوجد ، على خلاف ذلك ، اتفاق ديني غريزى فيما وراء الحدود المذهبية التي تفصل بين الكاثوليكيين المثقفين وبين البروتستانت الأحرار .

ويحتل بعض رجال الدين مكانة عليا في كثير من المجتمعات ، ودخل البعض أعلى من دخل ضابط الجيش ، وإن كان ضابط الجيش يحتل مكانة اجتماعية أعلى من رجل الدين . وإذا ما حيا المواطن المسيحى رجل الدين فإنه ينحني ويلقبه بلقب " أبونا " وإذا ما حيا رجل مسلم رجل الدين فإن ينحني ويلقبه بـ " مولانا " .

---

[١] د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، الاقتصاد والمجتمع ص ١٣٤- ١٣٥ .

وتبدو مشكلة السلطة فى الجماعة الدينية من التحول البيروقراطى للدين . ذلك أن رجال الدين ليسوا جميعا فى مرتبة وطبقة واحدة ، وإنما تتخذ السلطة الدينية أشكالا هرمية . فهم يتدرجون من أعلى المراتب إلى أدناها . وتتوقف درجة نجاح السلطة الدينية على درجة العلاقة بين القادة والأعضاء من ناحية ، ودرجة تمتع القيادة بسلطة كاريزمية من ناحية أخرى .

الفصل العشرون

الدين والتغير الاجتماعى

التغير هو سنة من سنن الحياة . ويتبادر إلي أذهاننا سؤال مـــؤداه هل الدين يغير المجتمع أم العكس . وهنا نجد اعتماداً متبادلا بين الـــدين والمجتمع . فالدين يقوم بدور فى التغير الاجتماعى . كذلك فـــإن هنـــاك مواقف تعضد تأثير المجتمع والثقافة على الاعتقاد والنظم والشعائر الدينية .

وفيما يتعلق بالحالة الأولي ،وهى تأثير الدين فى المجتمع ، فإنه ينبغى أن نميز بين دور الدين كنسق من الأفكار والاعتقادات تؤثر على الأفراد ، وبين تأثيره كمجموعة من التنظيمات الدينية . فالأخلاق البروتستانتية — مثلا— لها دور تاريخى فى التغير الاجتماعى ، بينما كان للحركات الدينية الأخرى دورا مغايرا فى هذا المجال .

ولاشك أن هناك عديدا من الأسباب التى تؤدى إلي إحداث التغير الاجتماعى مثل مواقف الأزمات أو الاحتكاك الثقـــافى. ففـــى أوقـــات الأزمات الاجتماعية نجد الناس يتصرفون بطرق مختلفة . فالبعض يهـــرب من الدين وينشد الخلاص فى الأفكار والنظم العلمانية ، والبعض الآخـــر يميل إلي قبول التفسيرات الأخروية لحالتهم ويخضعون لها فى تصرفاتهم .

وتلعب الأفكار والقيم الدينية دورا هاما فى التغير الاجتمـــاعى . ففى القرنين السادس عشر والسابع عشر ظهرت البروتستانتية كرد فعـــل للأزمة التى واجهت المجتمع الغربى ، فتحولت انجلترا وهولنـــدة والجـــزء الشمالى من أوربا إلي مركز تجارى هام يتميز بالتنظيمات الجديدة .

وقد تبنى هذه المدنية أفراد الطبقة الوسطى الحضرية الذين كانوا يشعرون بالاغتراب عن النظام القائم . فقد كانت تلك الطبقة تدرك أنها ممنوعة بالقانون من القيام بأعمال معينة إلا بعد المساهمة فى التنظيمات الدينية القائمة . وبعد أن أصبحت طبقة التجار الجديدة فى مركز القوة ، بدأت تتطلب التبرير الأخلاقى لتحدى النظام الأخلاقى ، ولتحدى النظام القائم ، ووجدته — كما قال فيبر- فى المبادئ المستمدة من المذهب البروتستنتى ، خاصة الكالفنية .

وكان كالفن على عكس لوثر ، كان بمثابة المصلح الاخلاقى ، صاحب الاتجاهات الراديكالية ، فالكالفانية عامة ، مثل جماعات المتطهرين ، نبذت النظام الاقتصادى والسياسى والدينى القائم . أكثر من هذا فان مقر الكالفنية نفسه كان مركزا تجاريا هاما . ولهذا فليس مستغربا أن نجد الذين انجذبوا لتعاليم كالفن كان معظمهم من الطبقات التجارية الحضرية والمتعطشين للثروة والقوة معا . ولعل ما يميز الرأسمالية الحديثة عن الرأسمالية التقليدية هو أن الرأسمالية الحديثة تتميز بالترشيد وهى موجهة نحو تحقيق الفائدة بطريقة حسابية منتظمة .

إن الاعتقادات الكالفنية لم تتطلب العمل الشاق فقط ولكنها حرمت الاسراف أيا كان مظهره ، كما أنها رفضت النظام الدينى المدرسى للكاثوليكية الخاص بالحياة على دولة الأرض والابتعاد بقدر الامكان عن الماديات وإعداد الانسان للقيام بشعائر طلب العفو الإلهى . وقد أكد كالفن بدلا من ذلك على أن الله يعلم مقدما من سوف ينقذ ومن سوف يستمر فى العذاب الأخروى ، فلا إقامة الشعائر ولا مجهود

الأفراد سيغير ما قرره الله وانطلاقا من هذا الاعتقاد اعتبر الكالفنيون أنفسهم من المختارين الذين يهتمون بالصناعة وجمع الثروات وانكار الذات واعتبروا أن هذا جزءا أساسيا من وظيفة الفرد أو رسالته . وبالتدريج تحول هؤلاء التجار إلي مركز القوة فى المجتمع وبدأت عملية تحدى النظام القائم ، ولضمان نجاحهم تطلب هذا نوعا جديدا من عملية التفسير الأخلاقى [١] .

وللأنبياء أو قادة الدين دور فى تغير القيم ، قيم وأفكار الناس ،وفى سلوكهم كذلك . فقد ظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الجزيرة العربية،وكانت قبل الاسلام ، باستثناء مكة كمركز تجارى ، مجموعة من القبائل المحاطة بالإمبراطورية البيزنطية والفارسية،وبفضل الاسلام والرسول محمد (ص) توحدت هذه القبائل وظهرت امبراطورية إسلامية هزمت فيما بعد الحضارتين البيزنطية والفارسية.وقد امتد الإسلام فى كل الأنحاء ليصيغ نظاما اجتماعيا،استمدت دعائمه من القانون والقيم الاسلامية .

تأثير المجتمع على الدين :

سوف نناقش هنا بعض المواقف التى تعضد تأثير المجتمع والثقافة على الاعتقاد بالنظم والشعائر الدينية .فالمجتمعات الانسانية فى تطور دائم، ولا تثبت على صورة واحدة، ولاتجمد على وضع معين ، ولكنها تتطور من حال إلي حال وتأخذ أشكالا مختلفة فى أساليب الحياة ووسائل المعيشة وطرائق التفكير . فهل لهذه التغيرات تأثير على الأديان المختلفة .

---

[١] د. محمد أحمد بيومى . علم الاجتماع الدينى ومشكلات العالم الاسلامى ص٢٩٥-٣٠٠ .

إن الدين فى جوهره ثابت ، والقيم الدينية لا تتغير ولا تتبدل ، مهما تطورت حياة الانسان واختلفت أساليب تفكيره ومعيشة .. فحين يقول الدين باله واحد منفرد بكمال الصفات ، فإن هذه العقيدة تظل راسخة ، ولا تتغير بتغير الزمن . وحين يقرر الدين مبدأ الجزاء ، بالثواب والعقاب ، فمعنى ذلك أن الله تبارك وتعالى لا تنفعه طاعة من أطاعه ، ولا تضر معصية من عصاه ، ويبقى هذا الاعتقاد أزلى .

كذلك فإن حقوق الوالدين — مثلا — من القيم الدينية التى لا تتبدل ولا تتغير مهما تطورت الحياة الانسانية ، واختلفت صور المجتمع . وكذلك المساواة بين البشر دون النظر إلي الجنس أو اللون أو الغنى أو الفقر ، وتقويم كل فرد حسب ما يحسنه من سلوك وعمل وقول ، لا بحسب ما يدعيه من حسب ونسب وثروة وجاه ، وإقامة العدل ، والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . هذه المبادئ وغيرُها مما يشكل الصورة الكلية للدين ، لا يمكن أن تتغير موازينها أو تتبدل آثارها على اختلاف الزمان والمكان ، لأنها حقائق ثابتة وقيم خالدة .

ولكن المعنى الذى يحمله الدين والتفسير الذى يفهم منه، هذه تختلف من فترة زمنية إلي فترة زمنية أخرى ، ولهذا كان الاجتهاد والاجماع ، والقياس من بين التشريع الاسلامى . فمنذ ربع قرن كانت التقاليد الدينية تمنع المسلمين من الصلاة دون غطاء الرأس ، أما الآن فقد تعوّد الناس على الصلاة ودخول المساجد دون هذا الغطاء .

ونضرب هنا أمثلة تبين مدى تأثير التغيرات الاجتماعية على ديانات البوذية والمسيحية والاسلام ، وذلك لانتشارها من ثقافة إلي أخرى ، وكذلك الاوضاع الدينية عند التحول من بيئة إلي بيئة أخرى .

ففى دراسة عن البوذية تبين أن البوذية القديمة والأصلية عندما بدأت فى الانتشار خارج شمال الهند أبان القرن السادس قبل الميلاد . ومن هناك انطلقت البوذية جنوبا إلي سيلان وإلي الجنوب الشرقى من آسيا وشمالا إلي التبت ومنها إلي الصين واليابان . ولاشك أن البوذية خلال هذه الرحلات قد تغيرت وتعدّلت عما كان يبشر به بوذا نفسه . فلو أننا قمنا بمقارنة بوذية أميدا Amida فى اليابان ببوذية ثرافادا Theravade فى سيلان لوجدنا مفارقات عديدة . اذ أن بوذية ثرافادا استمدت أصلا من الكتابات المقدسة للبالى Pali ، فقد دونت بواسطة بعض الزهاد من سيلان فى القرن الاول المسيحى ويدعى من يعتنقوها أن بوذية ثرافادا تحتوى أصلا على الصورة المبكرة لتعاليم بوذا . ومن ناحية أخرى ، تعد بوذية أميدا واحدة من العديد من الفوارق الخاصة ببوذية " الأرض الطاهرة " Pure land Buddism والتى نجمت عن سلسلة من التطورات المتتابعة من بوذية المهيانا Mahayana التى هاجرت من الهند إلي الصين ثم اليابان . والمقارنة بين بوذية أميدا وبوذية ثرافادا تكشف عن اختلافات شاسعة إلي الدرجة التى يدرك فيها الدارس بصفة قاطعة أنهما لم يصدران عن دين واحد ، وذلك على الرغم من أن رجال الدين البوذيين يؤكدون أن وراء هذه الاختلافات وحدة روحية دينية متصلة يمكن الشعور بها أكثر من وضعها . ولو أننا قبلنا القول بأن البوذية دين واحد فإننا نواجه

اذن بمشكلة تفسير سبب وجود هذه الاختلافات التي يمكن ملاحظتها بسهولة

لاشك أن هذه الاختلافات هي نتيجة تعديلات فى أنساق الاعتقاد والشعائر وأنماط التنظيم الدينى فى البوذية . ففى أنساق الاعتقاد الخاصة ببوذية الثرافادا نجد أن بوذا ليس الها أو نبيا ولكنه فقط دليل Wayshower يرشد للطريق الذى سلكه هو نفسه ويطلب من الآخرين اتباعه بمجهودهم الخاص . بينما نجد بوذية أميدا لا تكترث ببوذا كشخصية تاريخية أكثر من اهتمامها بالأشخاص البوذيين المتسامين مثل أميدا الذى يعد بمثابة مخلص واليه تتجه القلوب مرددة اسمه المقدس طالبة الرحمة والخلاص . كذلك فإن مفهوم " الخلاص " يختلف بين هذين الشكلين من البوذية ، ففى بوذية سيلان نجد أن النيرفانا Nirvana وهى المعادل للخلاص فى مدرسة الثرافادا -عبارة عن حالة روحية أو نفسية من الشعور الذى لا يوصف . ومن ناحية ثانية نجد أن بوذية أميدا ترى أن الخلاص فى الدخول إلي " الأرض الطاهرة " Pure Land وهى بمثابة الجنة لآلاف من الكائنات المتسامية .

كذلك الحال بالنسبة لتلبية الشعائر الدينية في كليهما ، ففي بوذية ثرافادا لا نجد اهتماما بالشعائر باستثناء بعض العشائر المستخدمة من البوذية المبكرة والتى تعد أساسية بالنسبة للنظام البوذى . بينما نجد أن بوذية أميدا تهتم بالشعائر والممارسات الدينية والغناء والاحتفالات العامة .

على أية حال ، فإن تحول البوذية خلال فترة زمنية طويلة وانتقالها من بيئة لأخرى ، لاشك أنه لعب دورا هاما فى التعديلات التى أدخلت

عليها،ولكن يجب أن نؤكد أن تغير البيئة فى حد ذاته لا يعطى كل الأسباب المفسرة للتغيرات التى أدخلت على البوذية.فلا شك أن هناك بعض الخصائص البنائية فى البوذية نفسها بما فى ذلك تطور نسقها الفلسفى،هو الذى ساعد على تأثير البيئة نفسها،بما فى ذلك تطور نسقها الفلسفى،هو الذى ساعد على تأثير البيئة عليها.فالبوذية قد عدلت وطورت فى الهند حيث نشأتها،بعد ثلاثة قرون من موت بوذا بدأ الفلاسفة الهنود فى تعديل المبادئ الفلسفية والأخلاقية التى كان بوذا يلقيها على أتباعه،وبهذا ظهرت بوذية المهيانا كتعديل من الفكر الهندى على تعاليم المؤسس الاول الذى بدأ ينظر اليه على أنه مخلص تنشد رحمته من الجميع .

وما يقال عن البوذية ، يقال عن المسيحية أو الاسلام بعد انتشارهما فى ثقافات ومجتمعات أخرى تختلف كلية عن البيئة الأولى للنشأة . فبالاضافة إلي الاستعارة الثقافية والتطبيع الثقافى وتأثيرهما على تعديل هذه الأديان الجديدة هناك عوامل أخرى متمثلة فى دور الأديان القديمة التى كانت قائمة ومقاومتها للدين الجديد ومحاولتها امتصاصه والتسرب إلي معتقداته ، كذلك يؤثر على تعديل وتغيير الدين الجديد مكانة وقوة الذين يعتنقونه .

وقد يقف الدين معوقا للتغير الاجتماعى فى بعض الظروف . وقد بين إميل دور كايم أن المجتمع يخلق نوعا من التقليدية الدينية تجعل الأفراد يحافظون دون تغيير على ما يشعرون بالخشوع نحو المقدس .وبين مالينوفسكى فى دراسته عن المجتمعات البدائية أن نسق السحر والدين يحاولان منع حدوث تغير اجتماعى فى هذه المجتمعات .

وقد يرجع هذا إلي أن الدين قد يكون معارضا للتغير بعد أن تستغرق الكرزما وقيادتها فى الروتين اليومى للحياة . كذلك فإن خلق أنساق دينية لها مقدساتها ورموزها وشعائرها واستمرارها فترة زمنية طويلة يجعل من الصعب على الأفراد أن يتقبلوا أى تغيير خشية أن تتأثر معتقداتهم بهذا .

ومن ناحية ثانية ، قد ترجع اعاقة الدين للتغير ، إلي أن الدين غالبا ما يطور تنظيم دينى قوى يتميز بالهيراركية الدينية ، ولاشك مثل هذا التنظيم يمنع أى تغير . ولعل السبب الثالث يرجع إلي أن هيئة رجال الدين فى أى دين ، تحاول مقاومة أى تغيير خشية أن تفقد هذه الهيئة قوتها وهيبتها لدى العامة . وأخيرا ، فإن رجال الدين قد يكونوا من الذين يمتلكون الثروات ومن ثم فإن مقاومة التغير حماية لهم ومحاولة للابقاء على الوضع الراهن .

ولهذا فمن العوامل التى تساعد الدين على مقاومة التغير اغتراب الدين القائم عن الحكومة القائمة فى ظروف يحاول كل منهما الحفاظ على الوضع الراهن . وهذا غالبا ما يحدث فى الحكومات التى تحتكر القوى العسكرية مثل مجتمعات أمريكا اللاتينية أو المجتمعات التى تتميز بالبيروقراطية التقليدية مثل الصين القديمة . كذلك فإن الدين قد يستخدم من قبل ملاك الأرض سواء من رجال الدين أو العلمانيين ــ للحفاظ على الحكومات الرجعية فى السلطة من أجل مصالح أولئك الملاك. ويكون الفلاحون فى هذه المجتمعات بسبب جهلهم أيدى عاملة رخيصة ، وليس هذا فحسب ، بل أن إيمانهم بالسحر والخوف يخلق لديهم استعداد لقبول

هيمنة رجال الدين عليهم وسداد ما يفرض عليهم من أموال تلبية للواجبات الدينية .

وجدير بالاشارة هنا أيضا ، ان الحكومات العلمانية عندما تستولى على السلطة فى المجتمع فانها لا تحاول فقط استخدام الدين لاضفاء الشرعية فى مكانتها بل تحاول أيضا استخدام الأنظمة الدينية ورجالها فى تنفيذ الأهداف العلمانية . وعلى الرغم من أن الدين قد يستخدم لمقاومة التغير ، الا أنه من الملاحظ أن الدين على المدى البعيد لا يمنع التغير رغم محاولة استغلاله من الآخرين للقيام بهذا الدور .

وقد تطرق فيبر إلي بعض الطرق التى من خلالها منعت القيم التقليدية ظهور نظام اقتصادى حديث فى الحضارات الهندية والصينية . فالتقاليد الكونفوشوسية فى الصين ظلت لفترة طويلة هى القوة المحافظة على ثبات المجتمع .

كذلك الحال فى العالم الاسلامى ، فان كثيرا من الحكام يحاولون باسم الدين مقاومة التغير . ولكن من المشكوك فيه أن يستمر هذا الوضع طويلا ، ذلك أن مقاومة التغير سوف تؤدى إلي ظهور العنف كوسيلة لتحقيق أهداف عامة .

وفضلا عن ذلك فان الدين ، قد يقف أمام التغيرات المطلوبة للمجتمع الحديث مثل استخدام حبوب منع الحمل أو التعليم العلمانى أو اقتصاد البنوك . وقد تظهر حركات دينية جديدة من وقت لآخر فى هذه المجتمعات الحديثة وعلى الرغم من أن هذه الحركات لها أغراض اقتصادية أو سياسية أو راديكالية الا أن الدافع الدينى لها هو الأساس ، والا ما

وجدت لنفسها القاعدة العريضة من العامة المعضدين لها ولعل خير مثـــال لذلك هو حركة المسلمين السود فى أمريكا والتى تبين دور الدين فى التأثير على السلوك الاقتصادى والاجتماعى والسياسى للأعضاء وبطريقة مباشرة على المجتمع ككل .

وقد يحث الدافع الدينى الشعوب لمقاومة المستعمر.وتعتبر التضحية فى سبيل الوطن من أسمى القيم التى تنادى بها الأديان.كذلك فإن للدين دور آخر فى هذه المجتمعات،اذ أن هناك بعض الحركات الدينية التى تحاول أن توفق بين تعاليم الدين ومتطلبات التحديث للحركات الدينية ، وهنا يكون لهـــا دورا هاما فى بيان عدم وجود التناقض بين ما يؤكده الدين وما تؤكده المـــذاهب العلمانية الحديثة.أكثر من هذا ، فقد تقوم بعض الحركات بترجمة للأفكـــار والقيم فى سلوك علمى بشكل معظم جوانب الحياة الاجتماعية والسياســـية والاقتصادية والتشريعية من أجل اثبات أنه ليس هناك تعارض بـــين الـــدين والعلمانية ، بل إن الأنشطة التى تنبع من توجيه قيمى دينى قد تؤثر بصـــورة أقوى فى نفوس من يقومون بها ، ويحدث نوعا من الرضا الـــذى يـــودى إلى تحقيق الانجاز أو التنمية المنشودة [١] .

وقد يكون للعامل الدينى تأثيرات مختلفة متزامنة فى قطاعات مختلفة من المجتمع ذاته فالدين مثلا قد يكون عاملا وباعثا على التغير فى موقف معـــين ، وقد يكون معوقا للتغير فى موقف آخر ، فقطاع المجتمع الذى يمارس الـــدين دوره فيه ، هو المحك الذى يؤخذ فى الاعتبار [٢] .

وقد يرجع اقتصار فاعلية دور الدين فى التغير الاجتمـــاعى فى المجتمعات الصناعية إلى القوة المتزايدة للانظمة العلمانية خاصة .

١- روجيه باستيد . علم الاجتماع الدينى ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

٢- روجيه باستيد . علم الاجتماع الدينى ص ٣٦٩ .

المراجع

المراجع

أولا : المراجع العربية

١- د. ابراهيم ابراهيم هلال . الدين والمجتمع . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٦ .

٢- د. ابراهيم أحمد سلامة . مناهج البحث فى التربية البدنية . الاسكندرية . دار المعرفة ، ١٩٨٠ .

٣- د. ابراهيم بيومى مدكور . معجم العلوم الاجتماعية ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥.

٤- د. أحمد الخشاب . الاجتماع الدينى — مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العلمية مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٥٩ والطبعة الثانية ١٩٦٤ ، ودار المعارف بالاسكندرية ، ١٩٩٢ .

٥- د. أحمد الشرباصى . الدين والمجتمع فى ضوء الميثاق الوطنى . القاهرة ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ، ١٩٦٣ م .

٦- د. اسماعيل على سعد . الاتصال الانسانى فى الفكر الاجتماعى . الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ٢٠٠١.

٧- د . السيد الحسينى : مقدمة فى علم الاجتماع الدينى . القاهرة، دار الهلال للطباعة والنشر ، ١٩٨٤ .

٨- السيد سابق . فقه السنة . المجلد الثانى . القاهرة ، الفتح للإعلام العربى . الطبعة الحادية والعشرون ، ١٩٩٩ .

٩- د . السيد عبد العاطى السيد ود. محمد أحمد بيومى . علم الاجتماع الدينى والمجتمع . دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٧ .

١٠- د. السيد محمد بدوى . علم الاجتماع والنظم الاقتصـــادية . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٠ .

١١- د . السيد محمد بيومى . علـــم الاجتمـــاع الاقتصـــادى . الاسكندرية دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٨ .

١٢- أنور الجندى . المخططات التلمودية . اليهودية والصهيونية . القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٧٧ .

١٣- د . ثروت اسحق . علم الاجتماع ودراسة السكان . جامعة عين شمس . د . ن . ١٩٥٨ .

١٤- د . جمال الدين محمود . أحوال المجتمع الاســـلامى . وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٨٣ .

١٥- د . حسن الشرقاوى الأخلاق الاسلامية . الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ .

١٦- د . حسن توفيق شـــريف . الإســـلام وقضـــايا المجتمـــع . الاسكندرية ، المركز العربى للنشر والتوزيع ، د . ت .

١٧- د . حسن شحاتة سعفان . أسس علم الاجتمـــاع . مكتبـــة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٤ .

١٨- د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان . الانثروبولوجيا فى المجال التطبيقى ، الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨٩ .

١٩- ـــــــــــــ . تطور النظم الاجتماعية وأثرها فى الفرد والمجتمع . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٣ .

٢٠- ـــــــــــ . الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية في علم الاجتماع . الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١ .

٢١- ـــــــــــ . المجتمع – دراسة في علم الاجتماع . الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٢ .

٢٢- ـــــــــــ دور المتغيرات الاجتماعية في الطب والأمراض – دراسة في علم الاجتماع الطبي . المكتب الجامعي الحديث ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٩ .

٢٣- ـــــــــــ . الاقتصاد والمجتمع – دراسة في علم الاجتماع الاقتصادي ، الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ٢٠٠٢ .

٢٤- ـــــــــــ . السكان من منظور علم الاجتماع . الإسكندرية ،دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠١ .

٢٥- ـــــــــــ . التغير الاجتماعي والتنمية السياسية في المجتمعات النامية – دراسة في علم الاجتماع السياسي الاسكندرية ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١ .

٢٦- ـــــــــــ . التربية والمجتمع . دراسة في علم اجتماع التربية . الاسكندرية ، المكتب العربي الحديث ، ٢٠٠٢ .

٢٧- ـــــــــــ . العلم والبحث العلمي – دراسة في مناهج العلوم . الاسكندرية . المكتب الجامعي الحديث ، الطبعة السادسة ، ١٩٩٥ .

٢٨- ـــــــــــ . علم الاجتماع الأخلاقى . الاسكندرية . المكتب العربى الحديث ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٢ .

٢٩- ـــــــــــ . الطفل – دراسة فى علم الاجتماع النفسى. الاسكندرية . المكتب العربى الحديث ، ١٩٩٨ .

٣٠- د. حمزة الجميعى الدمهوجى . الاقتصاد فى الاسلام ،١٩٩٧.

٣١- ذكى الدين شعبان . الزواج والطلاق فى الاسلام . القاهرة ، دار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ .

٣٢- د .ذكى نجيب محمود . المنطق الوضعى . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ .

٣٣- د . سامية محمد جابر . علم الاجتماع المعاصر – النظم والجماعات الاجتماعية والضبط الاجتماعى– الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦ .

٣٤- د . سعد مرسى أحمد و د . سيد اسماعيل على . تاريخ التربية والتعليم . القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٣ .

٣٥- د. سميرة أحمد السيد . علم اجتماع التربية . دار الفكر العربى. د . ت .

٣٦- د. شكرى الدقاق ود. محمود سمير عبد الفتاح . الاحكام الأساسية فى الشريعة الاسلامية ، الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ٢٠٠٠ .

٣٧- د . عاطف وصفى . الانثروبولوجيا الاجتماعية . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٧ .

٣٨- د . عبد الكريم إليافى. فى علم السكان . مطبعة جامعة دمشق، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

٣٩- د . عبد الله محمود شحاتة . الدين والمجتمع . القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت .

٤٠- د . عبد المنعم عبد العزيز المليجى . تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٥ .

٤١- د . عبد الهادى الجوهرى . دراسات فى علم الاجتماع الاسلامى.مكتبة نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة ، ١٩٨٣ .

٤٢- د . عبد الهادى الجوهرى . أصول علم الاجتماع . القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٦ ، ١٩٩٨.

٤٣- د . على إسلام الفار . الانثروبولوجيا الاجتماعية . الجزء الأول – دراسة المجتمعات البدائية . الشركة القومية للتوزيع ، ١٩٦٨ .

٤٤- د . على إسلام الفار . الانثروبولوجيا الاجتماعية – الدراسات الحقلية فى المجتمعات البدائية والقروية والحضارية . الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة ١٩٧٦ ، والطبعة الخامسة ١٩٨٤ .

٤٥- د . على سامى النشار . نشأة الدين – النظريات التطورية والمؤلهة ، الاسكندرية ، دار النشر الثقافة ، ١٩٣٩ .

٤٦- د . على عبد الرزاق حلبى وآخرون . علم الاجتماع . الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠١.

٤٧- د . على عبد المعطى د . محمد على محمد. السياسة بين النظرية والتطبيق . دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٤ .

٤٨- د . فؤاد حسنين على . إسرائيل عبر التاريخ – فى البدء . دار النهضة العربية ، د . ت .

٤٩- د . قبارى محمد إسماعيل . الانثروبولوجيا الوظيفية . القاهرة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٨ .

٥٠- د . جمال الدين عبد الغنى المرسى . من قضايا التربية الدينية فى المجتمع الاسلامى . د . ت ، ١٩٩٩.

٥١- د . محمد إبراهيم الفيومى . مقدمة فى علم الاجتماع الدينى . القاهرة ، مكتبة الأزهر ، ١٩٧٥ .

٥٢- د . محمد أحمد الغمراوى . الاسلام فى عصر العلم . القاهرة ، ١٩٧٣ .

٥٣- د . محمد أحمد بيومى . علم الاجتماع الدينى . الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨١ .

٥٤- د . محمد أحمد بيومى وآخرون . علم الاجتماع . الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية .

٥٥- ــــــــ . علم الاجتماع الدينى ومشكلات العالم الاسلامى . الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٧ ، ٢٠٠٢ .

٥٦- ــــــــ . القضايا الرئيسية فى تحليل الدين . دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨١ .

٥٧- د . محمد أحمد كريم وآخرون . الأصول الاجتماعية للتربية – محطة الرمل – الاسكندرية ، مطبعة الجمهورية ، ١٩٩٧ .

٥٨- محمد الغزالى . فقه السيرة . القاهرة ، دار الدعوة للطبع والنشر ، الطبعة السادسة ، ٢٠٠٠ م .

٥٩- د . محمد حسانين البطح . التربية الاسلامية ودورها فى بناء الحضارة الاسلامية ، حولية كلية أصول الدين ، د . ت .

٦٠- د. محمد سليمان فرج . تيسير العقيدة والعبادات فى القرآن والسنة . د . ن ، د . ت .

٦١- د . محمد عاطف غيث . أسس وموضوعات علم الاجتماع الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، د . ت.

٦٢- ———— . تطبيقات فى علم الاجتماع . الاسكندرية . دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٠ .

٦٣- د . محمد عبد الله دراز . الدين . بحوث ممهدة لتاريخ الأديان. د . ت .

٦٤- محمد عطية الإبراشى . روح الاسلام . القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٩ .

٦٥- د . محمد على محمد . علم الاجتماع والمنهج العلمى . دراسة فى طرائق البحث وأساليبه . الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١ .

٦٦- محمد فريد وجدى . دائرة معارف القرن العشرين . لبنان . دار المعرفة للطباعة والنشر ، المجلد السادس ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٦ .

٦٧- محمد كامل حته . القيم الدينية والمجتمع . دار المعارف ، ١٩٨٣ .

٦٨- محمد متولى الشعراوى . تفسير الشعرواى ، العدد ٧١ ، أخبار اليوم ، قطاع الثقافة .

٦٩- د . محمد محمود الجوهرى وآخرون . ميادين علم الاجتماع . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ .

٧٠- د . محمد نبيل جامع . المفتتح فى علم الاجتماع . الاسكندرية، دار المطبوعات الجديدة ، د .ت .

٧١- د. محمود بسيونى . الفن والتربية . الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ١٩٨٤ ، ______ . آراء فى الفن الحديث . دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ .

٧٢- د . مصطفى الخشاب . دراسات فى علم الاجتماع الاقتصادى . القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٥٧ .

٧٣- د . مصطفى الخشاب . علم الاجتماع ومدارسه – الكتاب الثانى – دعائم علم الاجتماع وحقائقه ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ .

٧٤- د. مصطفى الخشاب . أوجست كونت . القاهرة ، ١٩٥٠ .

٧٥- د. مصطفى عبد الواحد . المجتمع الاسلامى . بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٤ .

٧٦- د. مصطفى محمد السيد أبو عمارة . أضواء على رواية المجهول عند أهل الحديث ، حولية كلية أصول الدين .

٧٧- يوسف باسيل شلمت . علم الاجتماع الدينى . حلب . منشورات مكتبة الأمنية ، ١٩٤٦ .

٧٨- يوسف كمال محمد . مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ، المختار الإسلامى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤ .

ثانياً : المجلات

٧٩ – مجلة المسلم المعاصر . العدد ٣ ، ١٣٩٥ هـ .

٨٠ – ــــــــــ . السنة الثانية ، العدد ١٠ ، ١٩٧٧ .

٨١ – ــــــــــ . السنة الثالثة ، العدد ١٠ ، ١٩٧٧ .

٨٢ – ــــــــــ . السنة الرابعة ، العدد ١٣ ، ١٩٧٨ .

٨٣– ــــــــــ . السنة السابعة ، العدد ٢٥ ، ١٩٨١ .

٨٤– مجلة دارسات . سلسلة العلوم الانسانية ، المجلد الثامن عشر ، العدد الرَابع ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م .

٨٥ – مجلة عالم الفكر ، المجلد السابع ، العدد الثالث ، ١٩٧٦ .

ثالثا : المراجع الأجنبية (مترجمة)

٨٦ – باستيد،روجيه.مبادئ علم الاجتماع الديني.ترجمة.محمود قاسم.القاهرة،مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥١ .

٨٧- داو،جروف ساموبل.المجتمع ومشاكله.ترجمة . إبراهيم رمزى . وزارة المعارف العمومية ، ١٩٨٣ .

٨٨- دى كولانج،فوستيل.المدينة العتيقة–دراسة لعبادة الاغريق والرومان وشرعهم وأنظمتهم–ترجمة عباس بيومى–ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية .

٨٩- ريد ، هربرت . معنى الفن . ترجمة سامى خشبة . القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٤٩ .

٩٠- ديورانت،ول.قصة الحضارة–الجزء الثالث من المجلد الأول–الهند وجيرانها ترجمةد. زكى نجيب محمود القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – الطبعة الثانية ١٩٥٧ .

٩١- كيرتى ، ميرتى . التربية والصراع الاجتماعى . ترجمة محمد حواء رضا ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٢ .

٩٢- ماكليلاند ، دافيد . مجتمع الانجاز – الدوافع الانسانية للتنمية الاقتصادية – ترجمة د . عبد الهادى الجوهرى ود . محمد سعيد فرح. القاهرة مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٠ .

٩٣- ماكيفر ، ر.م بيج ، شارلز . المجتمع – الجزء الثانى – ترجمة د. السيد محمد الغزاوى وآخرين مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٦ .

٩٤- وليامز،ريكوند.المجتمع والدين.ترجمة وحنة سمعان.الاسكندرية، مكتبة الصفوة،١٩٩٠.

٩٥- ووكر،كينيث.مرضى وأطباء.دار التعاون للطبع والنشر، ١٩٦١ .

المراجع الأجنبية

96- Berger,Peter.,L.,The Sacred Conopy.Elements of Sociological TheOry of Religion, New Yoork ,DOuhleday & Company, Inc.,1996.

97- Biessanz,John&Biessanz,Mavis,Modern Society ,An Introduction to Social Science,Englewood Cliffs,N.J Prenice, Hall,Inc.,1956.

98- Brown,F.t., Educational Sociology , 1955.

99- Dayes,R.R.,Towards the Sociology of Religion,Sociology and Social Reseach,V.36, No,4, March,April, 1954.

100- Edelstein ; Ludwing, Greek Medicine in its Relation to ReligiOn and Magic , Reprinted From Bulletin of Institute of the History of Medicine,Nol. V.,No,3, March ,1937 .

101- Green , A.W.,Sociology An Analysis of Life in Moden Society,New York,Mac Millan Hill Book Company,1964.

102- Greenwood ,Earnest,Experimental Sociology,A study of Method , New York , Kings Crown Press , 1954 .

103- Horton, Paul B. & Hunt , Chester L. Sociology New York,Mac Graw Hill Book Company,Fourth Edition,1976 .

104- James,W., The Varieties of Religious Experience,New York , Modern Libra , 1937.

105- La Palombara , Joseph , The Politis of Mass Society, Routlege and Kegan,London 4 th Impression , 1972.

106- Lewis,H.D.and Slater,R.L.,The Study of Religion, Meeting Paints and Major Issues, Baltimore, Penguin Book, 1966.

107- Lewis,John,Anthropology,Made Simple,London,W.H. Allen,1966.

108- Lienhardt, Goodfrey, Social Anthropology, New York , Oxford University Press, 1966.

109- Marshall, E.Jones,P.H.D.,Bassical Sociological Principles,Ginn &Company,1949.

110- Moberg,L.O.,The Church as a Social Institution, Englewood Clif, N.J., Prentice Hall, 1962.

111- Morris,C.R.,Atypology of Norms,A.S.R.,Nol.21,1956.
112- Nash, Manning , The Golden Road to Modernity, Village Life in Contemporary Burna, New York, John Wiley, 1955.
113- Nisbet, R.A.,The Sociological Tradition,London, Heinemaun, 1967.
114 - Nottingham, E.K.,A Sociologieal View, New York , Random House, 1971.
115 – Parsons , T., The Social System, Glencoe, The Free Press, 1951.
116 – Robertson , R.,The Sociological Interpretation of Religion,New York , Schochon Books , 1970.
117 – Schopes , Han – Joachin , The Religion of Mankind , Their,Origin and Development.Trans by R.and Winston, New York, Doubleday& Company, Inc. 1968 .
118 – Simmel ,G.,A Contribution to the Sociology of Religion,A J . S., Vol., LX, Part 2 , No.6 May 1955 .
119 – Skinner,B. ,J.,Science and Human Behavior,the Free Press, New York , 1958 .
120 – Tylor,Edward,Primitive Culture,London,John Murry, 1871.
121 – Tylor, Edward , Anthropology,An Introduction to the Study of Man and Civilization, London , Watts and Company , 1946 .
122 – Yinger,J.M.,The Scientific Study of Religion.London, The Mac Millan Company , 1970 .
123- ——— , Religion , Society and Individual,The Mac Millan Company , 1957 .
124 – International Encyc Lopaedia of Social Science.

للمــؤلف

١- الاستعمار فى القرن العشرين . الاسكندرية ، الهيئة المصــرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

٢- الادعاءات الصهيونية والرد عليها . الاســكندرية ، الهيئــة المصرية للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥ .

٣- ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثامنة ، ٢٠٠١ .

٤- علم الاجتماع وميادينه . الاسكندرية ، المكتــب الجــامعى الحديث ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٣ .

٥- العلم والبحث العلمــى – دراســة فى منــاهج العلــوم . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة السادســة ، ١٩٩٦ .

٦- أصول البحث العلمى.الاسكندرية،مؤسسة شباب الجامعــة، ٢٠٠٣ .

٧- فى مناهج العلوم . الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعــة ، ٢٠٠٣ .

٨- المجتمع – دراسة فى علم الاجتماع – الاسكندرية ، المكتــب الجامعى الحديث ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٢ .

٩- المجتمــع والتصــنيع – دراســة فى علــم الاجتمــاع الصناعى.الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٥ .

١٠- السكان من منظور علم الاجتماع . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ٢٠٠١ .

١١- الاقتصاد والمجتمع – دراسة فى علم الاجتماع الاقتصادى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ٢٠٠٢ .

١٢- التربية والمجتمع – دراسة فى علم اجتماع التربية ، الاسكندرية، المكتب العربى الحديث ، ٢٠٠٢ .

١٣- الأسرة والمجتمع – دراسة فى علم اجتماع الأسرة ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ٢٠٠٣ .

١٤- القانون والمجتمع – دراسة فى علم الاجتماع القانونى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ٢٠٠٣ .

١٥- المدينة – دراسة فى علم الاجتماع الحضرى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٩ .

١٦- دور المتغيرات الاجتماعية فى التنمية الحضرية – دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٣ .

١٧- بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور / عبد الهادى الجوهرى.دراسات فى علم الاجتماع الحضرى . د . ن ، ١٩٩٤ .

١٨- بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور / عبد الهادى الجوهرى . علم الاجتماع الحضرى . علم الاجتماع الحضرى – مفاهيم وقضايا ، جامعة القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٧ .

١٩- مشكلات المدينة– دراسة فى علم الاجتماع الحضرى. الاسكندرية ، المكتب العربى الحديث ، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢.

٢٠- بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور / عبد الهادى الجوهرى . دراسات فى علم الاجتماع الحضرى . (مشكلات المدينة) . المكتبة الجامعية ، ٢٠٠١ .

٢١- علم الاجتماع الريفى.الاسكندرية،المكتب العربى الحديث، ٢٠٠٣ .

٢٢- تطور النظم الاجتماعية وأثرها فى الفرد والمجتمع . الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٣ .

٢٣- الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثالثة٢٠٠١.

٢٤- التغيرات الاجتماعية والتنمية السياسية فى المجتمعات النامية – دراسة فى علم الاجتماع السياسى .الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١ .

٢٥- العلاقات العامة والإعلام من منظور علم الاجتماع . الاسكندرية . المكتب الجامعى الحديث . ١٩٩٧.

٢٦- العلاقات الانسانية فى مجالات : علم النفس ، علم الاجتماع ، علم الادارة ، الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٧ .

٢٧- العلاقات الاجتماعية فى القوات المسلحة – دراسة فى علم الاجتماع العسكرى . الإسكندرية المكتب ، الجامعى الحديث ، ١٩٩٧.

٢٨- علم الاجتماع الأخلاقى . الاسكندرية ، المكتب العربى الحديث ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠١ .

٢٩- الفولكور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٣ .

٣٠- علم اجتماع المرأة بالاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٨ .

٣١- التطرف والارهاب من منظور علم الاجتماع . الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠١ .

٣٢- الجريمة – دراسة فى علم الاجتماع الجنائى.الاسكندرية،المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٥ .

٣٣- مشاكل وقضايا معاصرة .الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٧ .

٣٤- أضواء على الحياة الاجتماعية ، الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٧ .

٣٥- سلوكيات . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ٢٠٠١.

٣٦- مشاهد من الواقع الاجتماعى . الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ٢٠٠٣.

٣٧- الطفل – دراسة فى علم الاجتماع النفسى – الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٠ .

٣٨- الأسس النفسية والاجتماعية للابتكار – دراسة فى علم الاجتماع النفسى – الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث،الطبعة الثانية ، ٢٠٠٢ .

٣٩- دور المتغيرات الاجتماعية فى الطب والأمراض – دراسة فى علم الاجتماع الطبى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ .

٤٠- علم الاجتماع الطبى لشعب التمريض بالمعاهد الفنية الصحية . القاهرة،وزارة الصحة بالاشتراك مع منظمة الصحة العالمية ، ١٩٩٧ .

٤١- الانثروبولوجيا فى المجال النظرى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧.

٤٢- الانثروبولوجيا فى المجال التطبيقى . الاسكندرية . المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨٩ .

٤٣- بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور / عبد الهادى الجوهرى . دراسات فى الانثروبولوجيا . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٢ .

٤٤- الانثروبولوجيا فى المجالين النظرى والتطبيقى . الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ٢٠٠٣ .

٤٥- العلمانية والعولمة من منظور علم الاجتماع . مركز الاسكندرية للكتاب ، ٢٠٠٤ .

الفهرس

